A.U.B. LIBRARY

نصيحة مخلصة : اقرأ هذا الكتاب الى آخره مرتين
كل فصل الأمر .
أخي تأمل : واخبرني عن ذلك

﴿ العلّامة الدكتور نجيب بك محفوظ ﴾

أستاذ الولادة وأمراض النساء في كلية الطب المصرية

ورئيس هذين الفرعين في مستشفى القصر العيني

392.5
H12dA

ذكراً وأنثى خلقهم

او

مرشد الشبيبة

بقلم

نقولا الحداد

تحليل النسبة الفلسفية بين الرجل والمرأة . شوطا الحياة . الحياة الاستعدادية والحياة الزوجية ، العفة والطهارة تجاه الدعارة والموبقات ، الحب وشأنه في العشرة الجنسية ، مقدمات الزواج واحواله

28226

عني بنشره

الياس انطون الياس

صاحب

المطبعة العصرية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
بعد مراجعة الناشر

Published by
E. A. Elias
P. O. Box 954
Cairo, *(Egypt)*

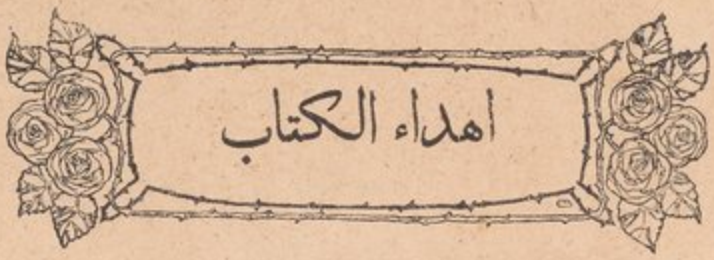

صديقي العلاَّمة النظامي الدكتور نجيب بك محفوظ

من بين دفات كتابيك « فن الولادة » و« أمراض النساء » ، ومن صفوف تلاميذك وتلميذاتك في كلية الطب المصرية ، ومن أفواج مرضاتك في مستشفى القصر العيني والمستشفى القبطي ومستشفى كنشنر الخ — من هذه جميعاً تصدر مواد الاساس الذي تضعه للامومة المصرية لكي يتسنى لها اصدار نشء سليم قوي . فان شئت أيها الفاضل فاقبل هذا الكتاب ملحقاً لعملك المجيد .

لقد وقفتَ جهادك على تقوية حياة الأمة الجسمانية . وأظن هذا الكتاب يفيد بعض الفائدة في تقوية الحياة الادبية . من بين يديك يمر رجال الغد ونساؤه . فليتهم يعرجون على مواضيع هذا الكتاب قبل أن يخوضوا بحر الحياة الاجتماعية .

فان لم يجدوا فيه الفائدة الجليلة فلابد أن يجدوا في هذه السطور اعجابي بخدمتك الوطنية واعظامي لقدرك العلمي ؟

المخلص

نقولا الحداد

فهرس

تمهيد – الغاية القصوى من الحياة ٩

ا – دائرة الحياة ١٠

ب – معنى الزواج من الوجهة البيولوجية ١٦

ج – معنى الزواج من الوجهة الاجتماعية ٢٢

د – روحانية الحياة الزوجية ٢٨

ه – ماهو الحب الروحاني ٣٧

و – الحب الحضاني ٤٥

ز – حاصل البحث ٥٠

الفصل الاول – الحياة التأهبية ٥٣

ا – الثالوث الانساني ٥٥

ب – حياتك الجسمانية ٥٨

ج – حياتك العقلية ٦٦

د – حياتك الاقتصادية ٧١

الفصل الثاني – الحياة الروحانية ٨١

ا – العفة ٨٢

ب – السيلان ٨٦

ج – الزهري ٩٢

د – العادة السرية ١٠٣

ه – حياة الفحش ١٠٥

الفصل الثالث - الموبقات المتملكة	١١١
ا - ادمان المسكرات	١١٣
ب - الافيون ومشتقاته	١٢٤
ج - الكوكايين	١٣٠
د - الحشيش	١٣٣
ه - التدخين	١٣٥
الفصل الرابع - طهارة الفتاة	١٤٠
ا - المراهقة والبلوغ	١٤١
ب - الطمث وآلامه وامراضه	١٥٠
ج - العادة السرية	١٦١
الفصل الخامس - الحب - نعمة الله	١٦٧
ا - اي حب	١٦٨
ب - حذر الفتيات	١٧٢
ج - المحبة الصداقية	١٧٥
د - عشرة الفتيان والفتيات	١٨٣
الفصل السادس - الصراط المستقيم الى الزواج	١٩١
ا - اساسيات الحب الزواجي	١٩٢
ب - المحاذير - سنة الوراثة	٢٠١
ج - الموبقات الموروثة	٢٠٧
الفصل السابع - الزواج محجة الصواب	٢١٥
ا - لا ندحة من الزواج	٢١٦
ب - من لا يجوز أن يتزوج	٢١٨

ج — متى ؟ ومن ؟ ٢٢١
د — تعدد الزوجات ٢٢٦
هـ — انتخاب الالف ٢٢٩
و — التعاقد ٢٣٩
— ملحق في تناسب الزوجين من حيث السن ٢٤٨

تنبيه — في وسط صفحة ٢٥ « حرية العائلة » . والصواب « حرمة العائلة »
وفي راس صفحة ١٠٨ «غزو المرأة المصون» والصواب « المصونة ». وأما سائر الاغلاط المطبعية فطفيفة يمكن أن ينتبه لها القارىء

مقدمة

بعد صدور كتابنا « الحب والزواج » الذي كانت ابحاثنا فيه نظريات سيكولوجية لم يبق بدٌّ من العودة الى الموضوع من جهاتهِ العملية . فادرنا ابحاثنا في هذا الكتاب حول محور ارشاد الناشئة الى الصراط المستقيم المؤدي الى الحياة الزوجية التي لا حياة سعيدة للانسان بسواها كما ترى في تضاعيف تمهيد الكتاب

وكان حق التمهيد المشار اليه أن يكون ملحقاً بكتابنا « الحب والزواج » لأن البحث فيهِ سيكولوجي محض، ظهر منه ان الهدف الذي ترمي اليهِ الحياة الانسانية هو المثل الأعلى من التمتع بالجمال، وأن وجهة التطور انما هي البلوغ الى المثل الأعلى من الجمال ، كما أنه من حق الفصل الاخير من كتاب « الحب والزواج » أن يكون من جملة فصول هذا الكتاب لأنه عمليٌّ أكثر من نظريٌّ . وكان حق ذلك الكتاب أن يسمى « بفلسفة الحب » فقط . وهذا يختص بموضوع الزواج . فالكتابان مكملان أحدهما للآخر كتكملة كل من الرجل والمرأة للآخر ، اذ لا يخفى عليك ان مآل الحب للزواج ، ولا زواج من غير حب

وانما لما الفنا كتاب الحب والزواج لم يكن في عزمنا أن نؤلف هذا الكتاب لاننا كنا نظن ان ذلك يستوفي موضوعي الحب والزواج معاً . فلما فرغنا منه شعرنا بلزوم تأليف هذا الكتاب وتخصيصه بموضوع الزواج والاستعداد له . فجاء بعونه تعالى مرشداً أميناً للفتيان والفتيات في طريق الحياة الامين المؤدي الى السعادة . ولنا الأمل أن يرى قرّاؤه اننا قد خدمنا به الناشئة خدمة خالصة صادقة

وقد وجهناه الى ناشئتنا العزيزة آملين أن تجده المنارة التي تستنير بها نفوسهما، [illegible] والأمال المضللة في بحر الحياة

واذا كنا قد وجّهناه الى الناشئة من فتيان وفتيات منذ سن المراهقة الى دور الزواج فليس المعنى أنه ليس ضرورياً أن يقرأه غيرهم ، بل نحن نرى انه واجبٌ على كثير من الوالدين أن يقرأوه بانعام نظر ليكون في كثير من الأحوال مرشداً لهم في تدريب أولادهم في السراط المستقيم. ونعتقد أن معظم الامهات في شرقنا اذا أطلعن على فصلي طهارة الفتاة والحب يجدن فيهما كثيراً من الارشادات الثمينة التي كانت كلها أو جلها تخفى عليهنّ

ولما انتهينا من تأليف هذا الكتاب شعرنا بالحاجة الى تأليف كتاب ثالث متمم له يشتمل على الارشادات اللازمة للزوجين في غضون حياتهما الزوجية الطويلة . فان فسح الله الاجل وفزنا بتوفيقه عدنا الى هذا الموضوع في كتاب ثالث .

مصر ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢٧

نقولا حدّاد

ب - ما هذا الهاتف السري

١ — هاتف القلب

تتحيَّر شديد الحيرة (رجلاً كنت او امرأة) اذ ترى شخصاً ، فيخفق له قلبك ، ويهتف له لبك ، وتشعر في نفسك بميلٍ لعناقه أو لمجالسته ، أو لتصبيّهِ ، أي لتمتيع النظر فيه على الأقل ؛ حتى اذا مضى عنك شعرت بقوةٍ تدفعك للحاق بهِ ، كأنه مضى مختلساً شيئاً منك ، وتود استرداد هذا الشيء . أجل انه اختلس منك ذلك التمتع . واذا صدَّت حكمتُك طيشَك عن اللحاق به شعرت بانقباض في نفسك ، لأنَّ فراقه حرمك ذلك التمتع . أجل تتحير بهذا العارض الذي عرض لك ، وتستغرب ان عواطفك لم تُثر هذه الثورة عند رؤيتك أشخاصاً آخرين . ومثلَ هذا الشعور تشعر كلما تكرر لقاؤك بذلك الشخص . وقد يحتدم هـذا الشعور حتى يستغرِق كل لبك وقلبك ، وترى أن مخيلتك قد تقيدت بطيف ذلك الشخص دون سواه — لا تجد تفسيراً لهذه الحركة النفسانية الاَّ في لفظة « حب » . ولـكنك اذا تماديت في التفكير تجد ان لفظ « الحب » غير كافٍ لتفسير هذه الحركة النفسانية ، بل تسائل نفسك : ما هو هذا الحب الذي له هذا الفعل في النفس . ما هذا اللفظ بتفسير لهذه الحركة النفسانية ، بل هو تعبير عنها فقط . واما طبيعة هذه الحركة فتبقى غامضة

٢ — هاتف الدم

نتّجه الى جهة اخرى من الحركات النفسانية التي تشابه هذه الحركة التي بسطناها آنفاً . تشعر الأُم بمثل ذلك الشعور تجاهَ ابنها . ولا يكفها عن ضم طفلها وعناقه مانع أدبي . فهي تكون أسعد حالاً حين تتمتع بضمه الى صدرها وتقبيله ، وتكون أشـد انقباضاً واتعس نفساً حين يُمنع عنها — كذلك هي تعبر عن هذه الحركة النفسانية بلفظ « الحب » ، ولـكن اللفظ لا يفسر طبيعة هذه الحركة

الطفل يشعر بمثل هذه الحركة نحو امه أو مربيته أو من يدللهُ ويلبي مطالبه . ونسمي شعوره هذا « حباً » أيضاً

نتجه الى جهة اخرى من هذه الحركات النفسانية ونتأمل الطفل ، ولديه دمية جديدة ،فانه يندفع بكلتيه اليها ويقبض عليها واذا كان لا يزال في عامه الاول يضعها في فمه .وان كان يفهم انها ليست مما يؤكل فيكتفي بأن يلعب بها ، أو بأن يحرزها ويحتفظ بها . واذا انتزعتها منه أعول وولول .وقد يأبى أن تقايضه بشيء سواها ، حتى ولو كان أغلى قيمة . هذا ضرب من الحب أيضاً . ولكن ما هي طبيعته ؟ وكيف نستخرج نواميسه ؟

٣ — هاتف الحياة

ننزل الى أعمق من هذا ايضاً . ننزل الى درجة الحيوانات فنجد شيئاً من هذا بين الذكر والانثى ، وبين الأم والاولاد ، ونعبر عنه بالحب ايضاً . هنا نجد الحب أضعف . الذكر والانثى لا يتوادان الاَّ في فصل معين . وتندر الأنواع التي يتلازم فيها الذكر والانثى كتلازم الزوجين ولو مدة فصل ، وأندر من هذا ان يتلازما فصلين أو فصولاً متواليه . وكذلك ينقضي هذا الحب بين الامهات والبنين حالما ينضج الطفل ويدرك سن البلوغ

ننزل الى الجراثيم المفردة الخليات (المكروبات) التي لا ذكورة فيها ولا انوثة ، او انها تتولّد بالانقسام او التبرعم . فنجد بينها انواعاً اذا اوشكت تنقرض لقحل البيئة لها ، لأي سبب كالجفاف أو نحوه ، تتدانى منها جرثومتان وتندمجان معاً حتى تصيرا جرثومة واحدة . ثم تتطور هذه الجرثومة الجديدة ، وتتكيف حتى تصبح كيساً يحتوي على عدة بزيرات ،تكمن فيها الحياة مدة طويلة ،الى أن يتيح لها الحظ .فتقع في بيئة صالحة لنموها ، فينفجر الكيس وتفرخ البزيرات ، فتصبح جراثيم كأمها الاصلية. هذا ضرب من الحب ايضاً ؛ وهو كالضروب السابق وصفها ، كان سبباً لبقاء النوع

ننزل ايضاً الى بسط الجراثيم التي هي أبسط من هذه . خذ أي نوع منها . خذ الاميب مثلاً تَرَها وهي تنكمش تارة وتمتد اخرى لتنتقل من مكان الى آخر — تراها

اذا صادفت ذرة ترابية مثلاً انكمشت عنها . ولكن اذا صادفت جرثومة اخرى من نوع آخر كالجرثومة المسماة داي أتوم Diatom (وهي بشكل الشعيرة) تصطدم بها حتى يدخل طرف هذه في تلك ، وتلك تجتذبها الى داخلها وتهتضمها وتتغذى بها

مثل ذلك تفعل الكرية البيضاء التي في الدم فانها اذا صادفت كرية مثلها تصد عنها . ولكنها اذا صادفت مِكروباً مَرَضياً التفّت حوله والتهمتهُ

فترى مما تقدّم أن بين الاميب «والداي اتوم» و بين الكرية البيضاء ومكروب الستربتوكوك مثلاً تجاذباً يقضي بتداخل الواحدة بالاخرى . والغرض من هذا التجاذب حفظ حياة أحد الفريقين ، او اندماج الفريقين في حياة واحدة جديدة . ويمكننا أن نعبر عن هذا التداخل أو التجاذب بلفظ الحب لما بينه و بين ما تقدم من صنوف الحب ، من المشابهة

٤ — هاتف الجماد

نترك الاحياء وننزل الى الجماد ، فنجد ضروباً عديدة من هذا التداخل أو التجاذب او التحاب في المعمل الكيماوي «الطبيعي» الذي يشتغل فيه البروتوبلاسم (اي المبدأ الحيوي) . تجد الف ضرب من هذا التحاب بين العناصر العضوية الاربعة : الهيدروجن والاوكسيجن والكربون والنتروجن . وفي بعض الاحوال يشترك معها الكبريت والفصفور . فهي تتعاشق على صور مختلفة متعدّدة ، ومن تعاشقها تتكون المواد المتنوعة من زلال مختلف الاشكال ، ومن مواد دهنية وسكرية ونشائية وكُحُلية وبنزنيّة الخ .

وفي المعمل الكيماوي الذي تشتغل فيه عوامل الطبيعة المختلفة ترى بين العناصر الكيمية تعاشقاً عجيباً غريباً . في الطبيعة نحو ٩٠ عنصراً بسيطاً بعضها أعشق لبعض منها لبعض آخر . مثال ذلك الكلور اعشق من النيتروجين للفضة . فاذا ادنيت كلوريد الصوديوم الى نيترات الفضة اخذت الفضة الكلور وتركت النتروجين للصوديوم . والملم بالكيمياء يعلم جيداً طبائع العناصر ، وتعاشقها الذي يسمونه «الفة

كيمية » . فهذه الالفة تختلف شدّة بين العناصر . فكأنّ للعناصر سجية الاختيار كما للبشر

في عملية التبلور شيء من الالفة أيضاً ، بحيث ان الاملاح الكيماوية تتبلور كل نوع مع نوعه ، فلا تلتئم الدقيقة الاّ مع دقيقة من نوعها

نرتفع الى الافلاك فنرى أن الكواكب تدور بعضها حول بعض ، وكل سيّار يدور حول شمسهِ ، ولكل شمس سيارات مختصة بها تلازمها ، فلا تنفصل من افلاكها . اذاً بينها تعاشق يسمونه جاذبية

نلتفت الى العالم الاجتماعي فنجد في كل قوم أو جماعة أو قبيلة الفةً تضم الافراد في اقوامها . فمهما اختلط الناس في المدن ترى روابط الجنسية تضم كل جنس الى جنسهِ

٥ — ملتقى الهواتف الجاذبية

ماذا نفهم من كل ما تقدم ؟

نفهم أن بين المواد والعناصر وافراد الناس قوة تضم كل نوع الى نوعهِ ، وكل جنس الى جنسه ، وكل الفٍ الى الفهِ . فما هي هذه القوة ؟ بعد هذا الشرح يقوم في ذهنك أن هذه القوة هي الجاذبية . فالحب اذاً جاذبية . والجاذبية والحب لفظان مترادفان . هذه القوة مثبوتة في كل ظاهرة من ظواهر الكون . بيد انها تختلف اسلوباً وحدّةً . ولكل اسلوب تعبير خاص يدل عليه للتميز بين الاساليب . فالجاذبية بين البشر تسمى حباً ، وبين الذكر والانثى تسمى عشقاً أو غراماً . وبين افراد القوم الواحد تسمّى وداداً أو صداقة ، وبين العناصر المادية تسمى الفة كيمية ، وبين الاجرام تسمى جاذبية .

وهو معلوم أن الجاذبية سرٌّ لا يزال فوق ادراك الانسان ، ولكن الانسان فهم كثيراً من نواميسها . وهكذا الحب ، وهو ضرب من الجاذبية ، لا يزال كنهه سرًّا ، وانما في وسع الانسان أن يتفهم نواميسهُ ، ويعلم اساليبه ومفاعيله وتأثيراته . ولذلك يكون بحثنا في الحب موجهاً الى استخراج هذه النواميس وتحديدها وتفهم أساليبها . ففي بحثنا في الحب البشري نتحقق لماذا يكون الحب بين قيس وليلى ولا يكون بين قيس وسلمي ، وما الذي اوجد هذه الجاذبية أو الالفة بينهما ولم يوجدها بين احدهما وثالث

الغاية القصوى من الحياة

أ - دائرة الحياة

١ً — لماذا نحيا ؟
٢ً — مآل الحياة الى الرقيّ
٣ً — التمتع ذريعة الرقي
٤ً — دورا الحياة
٥ً — تأهب الانسان فى الحداثة
٦ً — الزواج هو غرض الحياة الاسمى

ب - معنى الزواج من الوجهة البيولوجية

١ً — الذكورة والانوثة
٢ً — جوهر التناسل المزدوج
٣ً — اشتقاق الذكورة والانوثة
٤ً — لماذا الذكورة والانوثة ؟
٥ً — غرض التنوع الارتقاء
٦ً — تمايز الذكورة والانوثة
٧ً — الذكورة والانوثة نصفا واحد

ج - الحياة الزوجية من الوجهة الاجتماعية

١ً — معنى الزواج الاجتماعي
٢ً — الزواج نظام اجتماعي
٣ً — الاختصاص الزيجي
٤ً — الحضانة
٥ً — الغريزة العائلية
٦ — حرمة العائلة
٧ً — الامانة الزوجية وقداسة العرض
٨ً — اختيار القرين
٩ً — عظم شأن الزواج

د - روحانية الحياة الزوجية

١ً — ظواهر الزوجية
٢ً — سر الزوجية الروحاني
٣ً — التمتع بالجمال الهدف الاول
٤ً — روحانية الجمال
٥ً — سر الارتقاء فى تعاظم الجمال
٦ً — وظيفتا الرجل والمرأة

٧ً — توازن وظيفتي الزوجين ٨ً — الادلة على روحانية الزواج
٩ً — روحانية الزواج علة الرقي ١٠ً — سمو معنى الزواج
١١ — كيف تكون روحانية الحياة الزوجية سبب الرقي ؟

هـ — ما هو الحب الروحاني ؟

١ً — الحب تفاعل الجمال بالنفعية ٢ً — الغرضان لتقارب الرجل والمرأة
٣ً — نقاوة الحب ٤ً — طهارة الحب الروحاني
٥ً — الزواج سعيداً وتعساً ٦ً — النعرة الشهوانية تعرض الحب للخطر
٧ — استقلال قوة النفعية في الرجل ٨ً — ضعف النزعة النسلية عند المرأة
٩ً — امانة المرأة ١٠ً — تصورات الحب
١١ — ضعف الحب لا يقلل النسل ١٢ — لا تتأنق المرأة لتحريض الغريزة التناسلية
١٣ — لماذا تلبس المرأة ، ١٤ — النعرة التناسلية تستغني عن تحريض الجمال
١٥ — حشمة المرأة ١٦ — الحب الروحاني هو العامل في تطور المدنية

و — الحب الحضاني

١ً — لا تناقض بين الطبيعتين الحيوانية والانسانية
٢ً — امتداد الحب الروحاني الى البنين ٣ً — طول مدة الحضانة وغايته
٤ً — اشتراك الرجل مع المرأة في الحضانة ٥ً — تأثير الحضانة في الرقي
٦ً — تأثير الحضانة في الصبي ٧ً — تأثير الحضانة في البنت

ز — حاصل البحث

ا — دائرة الحياة

لماذا نحيا !

الحياة ، وهي جزء من الكون المستدير ، دائرة . نعيش لنعمل ، ونعمل لنعيش . ولماذا نعيش ونعمل ؟

قيل : لكي نتمتع . ولماذا نتمتع ؟ أو ما هي الغاية من تمتعنا ونتيجتهُ ؟

نعيش ونعمل ونتمتع لكي « نمو ونكثر ونملاء الارض » .

أول من عرفناه يقول هذه الحكمة هو الفيلسوف موسى الحكيم . وقد عزاها الى الخالق . اذ قال « انموا واكثروا واملأوا الارض » . ولا بد أن يكون قد قالها حكماء قبله في اشور وبابل وعيلام الخ ومادي وفارس ومن سبقهم .

وقد اكتشفوا هذه الحكمة البالغة من الواقع المشاهد ، اذ كانت الارض التي عرفوها مملوءة بشراً ، وبشرها اكثر من وحوشها وبهائمها . وقد رأوا أن الانسان اكثر المخلوقات سعياً وعملاً ، واكثرها تمتعاً ، واكثرها نموًّا وعدداً ، واقدرها في الجهاد لاجل الحياة .

٢ — مآل الحياة الرقي

وقد تتراءى لك هذه الفلسفة فاهية ، أو أنها فلسفة لا يصح السكوت عندها ، اذ يقوم على أثر قيامها في الذهن هذا السؤال : ما الغاية القصوى من امتلاء الارض بشراً ؟

والجواب في لسان الطبيعة .

في الطبيعة قوة سرية مكنونة ، تلعب في العناصر . وقد شرعت منذ القديم تركب من هذه العناصر مركبات ، وتحل مركبات لتركيب منها مركبات أعظم وادق صنعاً ، وهكذا دواليك الى ان انشأت الحياة . وما زالت تركب وتحلّ الى أن أنشأت الاحياء العليا فالانسان . وستظل تركب وتحل الى أن تملأ الارض أناساً أرقى وأعلى الى ما شاء الله . فمآل الحياة الانسانية الاستمرار في الارتقاء الى ما شاء الله .

تلك وظيفتها وهذه غايتها . ولا تسل ما هي بغيتها من هذه الغاية ، لأن عظم الغاية وشرفها يكفيان أن يكونا بغيةً فيها . وهل أسمى وأشرف من أن تتحول عناصر الطبيعية الى بشر في قمة الرقي يملأون الأرض ؟

سمّ هذه القوة ما شئت . سمّها الله الخالق القدير

نحيا ، لنعمل ، لنتمتع ، لنملأ الارض حياةً راقيةً . هذه هي الدائرة المشتقة أو المقتبسة من الدائرة الكونية العظمى .

اذا لم نتمتع فلا نملأ الارض ، واذا لم نعمل فلا نتمتع ، واذا لم نحيَ فلا نعمل ، واذا لم يكن مآل وجودنا الرقي فلا نحيا ، أي لا تبقى حياة على الارض

اليك تفصيل هذه الدائرة

٣ — التمتع ذريعة الرقي

لا يخفى عليك أن الغرض الرئيسي من جميع أعضاء الجسم هو العمل ، أي أن جميع الاعضاء أدوات للعمل . وكلها متعاونة في العمل لخدمة الحياة الجسمانية ، حتى العقل الذي تخدمه جميع الاعضاء الفسيولوجية له القسط الاول من العمل . فلا موجب لمزيد اسهاب في أن أحد اغراض الحياة وأولها هو العمل .

ثم أنه معلوم جيداً أن الغرض من العمل ليس استمرار الحياة الفردية الى أن ينتهي أجلها فقط بل تمتع هذه الحياة بملذاتها .

والانسان يمتاز على الحيوان بأن الجانب الاعظم ، والأعظم جداً ، من عملهِ ، هو للتمتع ، والجانب الاقل جداً منـه هو لاستمرار الحياة . والحيوان بالعكس يعمل ليبقى حياً ، وقلما يتمتع .

ولهذا السبب الانسان ينمو ويكثر ويرقى اكثر جداً من الحيوان .

وهنا يقتضي الأمر اسهاباً في بيان أن تمتع الانسان يفضي الى نمو نوعه وكثرته ، ثم الى ارتقائهِ .

يكاد تمتع الحيوان ينحصر في شهوته التناسلية ولا يتخطاها . أما تمتع الانسان فيتخطاها الى تمتعات عديدة لا تكاد تحصى ، وكلها تحبب بالحياة وترغب في استمرار النوع ونموهِ وتفوُّقه على سائر الانواع .

فقد اكتسب الانسان عن مهارة الطبيعة في صناعتها خاصة الجمال أو الفن الجميل . وتهذَّب جهازهُ العصبي ، وترقى جداً في ابتكار الجمال والابداع فيه وفي التمتع به أيضاً .

فجميع المظاهر الاجتماعية وأنظمة الاجتماع انما هي مطوَّلات الفن الجميل . فأي شيء في مظاهر الحياة البشرية الاجتماعية لم يكسَ ثوب الجمال ؟ تأمل كيف تأكل وتشرب وتنام وتسكن وتلهو وتطرب . الست تتمتع في كل ذلك بلذات متنوعة ؟ وهل اللذة الاَّ اندماج النفس بالجمال . لاحظ الفرق بينك وبين الحيوان من هذا القبيل وأنظر ما أعظمه فرقاً ، فتعلم أن لك خاصة الانفعال بالجمال التي ندرت للحيوانات ، وقوة ابداع الجميل والتفنن بهِ .

بقي أن نعلم كيف أن هذين التمتع والتفنن يفضيان الى نمو النوع ورقيه تلبية لأمر الطبيعة ، أو عما ما يفضي اليه تدبيرها وما يتقنه فنها

تعمق في هذا البحث ما أمكن

٤ً — دور الحياة : التأهب للنضوج والتناسل

اذا تأملنا ظواهر الحياة الدنيا والعليا على السواء وجدنا أن للحياة الفردية شوطين متميزين تجريهما . الأول شوط التأهب للنضوج . والثاني شوط التناسل لاستمرار النوع

خذ أول درجة من درجات الحياة - المكروب . وهو خلية مفردة تقضي برهة قصيرة من الزمان في امتصاص غذائها وتبديل عناصر جسمها وافراز ما انتهت وظيفته من هذه العناصر ، الى أن تنضج وتبلغ حدها من الكبر . هنا ينتهي شوطها الاول ، ثم تشرع تتحول رويداً الى خليتين ، حتى متى تكاملت الخليتان انفصلتا وأصبحت كل منهما جرثومةً قائمة بذاتها . وهنا ينتهي الشوط الثاني . وتبتديء كل خلية وحدها بشوطها الأول

ننتقل الى درجة اخرى من الحياة أعلى من تلك. خذ الدودة التي تبرز من بيضة، فأنها تقضي برهة من الزمان في السعي الى الرزق والاغتذاء ، وتنمو رويداً وتكبر الى أن تنضج . فينتهي شوطها الأول وهو شوط النمو . ثم تتحول في صبح ومساء الى برغشة أو فراشة طيارة ، ولا وظيفة لها حينئذ إلا مزاوجة الذكر للانثى . ثم تبيض الانثى بيوضاً لتنقف بعدئذ ديدانا . وهذا هو شوطها الثاني . والغريب ان الفراشة أو البرغشة لا تأكل ولا تشرب أذ لا معدة لها . ولا حاجة لها بالغذاء لأنها استوفت حاجتها منه في الدور الاول . فكأنَّ الدور الاول تأهبٌ واستعداد للدور الثاني . وكأنَّ افراز البيض هو الغاية القصوى من حياتها في دوريها جميعاً .

ننتقل الى درجة عليا من الحيوانات كالفقاريات والثدييات ، نجد أن الجنين متى ولد تغذيه أمه ، ومتى اشتدَّ يتغذى أيضاً لنفسه ، ولا يزال ينمو ويكبر الى أن يصبح

بالغاً، فيتوقف نموه الفسيولوجي أو يبطؤ ولكنه قد يسمن . هنا ينتهي شوطه الأول . ويبتدىء شوطه الثاني في دور المزاوجة والتوليد واحتضان الصغار

فهو كما تقدّم يتأهب في دوره الأول للقيام بوظيفته في الدور الثاني . وفي سعيه وراء الرزق في هذا الدور الثاني ، انما هو يسعى ليستطيع القيام بهذه الوظيفة .

ترى مما تقدم ان الشوطين اللذين تجريهما الحياة الفردية ، أو الدورين اللذين تمر فيهما ، أولهما تأهب للدور الثاني ، والثاني تأهب لابراز حياة جديدة والعناية بها . فالغاية القصوى من العمل الحيوي المتعدد الاشكال انما هو اصدار حياة جديدة — استمرار النوع واكثاره احراجاً للفرد الى السعي والعمل ،

وقد قرنت الطبيعة الحياة بحاسة الجوع ، وبالشهوة التناسلية ، احراجاً له الى القيام بوظيفة التناسل

٥ — تأهب الانسان في الحداثة

الانسان حيوان . فحياته كحياة الحيوان أيضاً : شوطان أو دوران . وقد أوجب عليه أن يتأهب في الدور الاول للدور الثاني ، وفي الدور الثاني يتأهب لاصدار مواليد وحضانتهم وتربيتهم . فهو كسائر الاحياء تحت حكم الطبيعة في خدمة غايتها القصوى ، وهي نمو النوع البشري وكثرته الى أن يملأ الارض ، أراد أو لم يرد ، بل جعلته الطبيعة مريداً وراغباً ومشتهياً للبنين . فما أقدر « سر الطبيعة » العجيب في اتقان عملها وأحكامه

قلنا ان الانسان الناطق امتاز على الحيوان الاعجم بخاصة الجمال والتفنن فيه والتمتع به . لذلك يرى شوطه الاول طويلاً لأنه يشتمل على التأهب للبلوغ الى الشهوة التناسلية ، وعلى التأهب للتمتع بالحياة العائلية . وخاصة الجمال التي أبدعتها الطبيعة فيه لتعظيم لذته اغراء للوظيفة التناسلية جعلت تأهبه للتمتع بالحياة العائلية أهم وأعظم وأوسع دائرة وأشق عملاً من التأهب الاول

في هذا الدور ، أو الشوط الاول ، يعاني الغلام في التعلم وتلقّن المعارف والفنون كما يعاني الرجل في العمل بل أشق . ثم يعاني في أنشاء مسترزق له والنجاح فيه كما عانى

في المدرسة والمعهد الفني . ثم يعاني في كسب المال وادخاره كل المعاناة كما هو معلوم . وهذه المعاناة تتجاوز دور المراهقة والبلوغ الى دور الشباب ، وقد تتجاوزه الى دور الكهولة . يواظب الانسان في الدور التأهبي وهو يقول في نفسه : « المستقبل . أسعى الى مستقبلي » — المستقبل ؟ وماهو المستقبل ؟ قد يكون مراده من المستقبل غامضاً له . ولكنه واضح وصريح في عملية الطبيعية . فهو يتأهب للحياة العائلية التي هي مستقبله أو الغرض الذي يرمي اليه ، ويستعد للحياة الزوجية ، حتى ولو كان يقول علناً وفي نفسهِ « لا أريد أن أتزوج » . فالغالب أنه يكذب على نفسه في هذا القول ، إذ لا بدَّ أن يأتي يوم تنفضح فيه كذبته هذه له ولغيره ، ويتزوج

مع ذلك لا ينتقل الى دوره الثاني ، دور الحياة العائلية ، إلا بعد أن يعاني في تأهب آخر شاق أيضاً . وهو بناء « العش » للعائلة . وما أبعد البون بين عشه وعش العصفورة

اذاً ، ترى ان كل مساعي الانسان وجهاده منذ حداثته ، الى يفعهِ ، الى شبابه ، حتى الى كهولته انما هو تأهب الى الحياة العائلية — وما هي بحياة بسيطة كحياة العصافير والنعاج والزحافات . بل هي حياة محفوفة بمركبات الجمال المتنوعة تعظيماً للذته وتفخيما لتمتعه . وما الغرض من هذه الحياة ؟ — « أن يكون لنا مولود » ولماذا المولود ؟ — « لكي يعمر الكون » ، لكي تمتلىء الارض . فهو ينفذ أمر الطبيعة أو ان الطبيعة قد صنعته اداة لخدمة غرضها

٦ — الزواج هو الغرض الاسمى في الحياة

بعد هذا البيان يفهم القارىء أمراً ربما كان يجهله . وهو ان الزواج ، أو الحياة العائلية ، أمر عظيم الشأن في عمره ، بل هو الشأن الاعظم والغرض الاسمى من حياته ؛ بل هو نهاية الغايات .

واذا كان للزواج هذه المنزلة وهذا الشأن أفلا يستحق أن يكون الاستعداد له علماً قائماً بذاتهِ كسائر العلوم التي نتلقنها لنستطيع أن نتدرب بها في سبيل الحياة ؟ بل ألا يجب أن يكون فنُّ الزواج في رأس برنامج العلوم التي نتعلمها لأنه يلمُّ بأعظم مرحلة من مراحل الحياة ؟

في كتاب « الحب والزواج » بحثنا في فرع واحد من هـذا العلم أي « علم الاستعداد للحياة العائلية » ، بحثنا فيه من وجهة الحب والجمال وشأنهما في الغريزة التناسلية ، وانما في هذا الكتاب نبحث في الاستعداد للحياة العائلية من وجهة التأهب الشخصي الجسماني والروحاني . نبحث في السبل القويمة المؤدية الى تكوين العائلة . ومن اطلاعك على فهرس هذا الكتاب تفهم مواد البحث كلهِ

ب - معنى الزواج من الوجهة البيولوجية

علمت أن للحياة معنيين : حياة السلالة وهي الحياة الحقيقية المستمرة ، وحياة الفرد وهي وقتية عرضية . وما حياة الفرد الا جزء من سلسلة الحياة العامة المستمرة ، حياة السلالة . فهي تعمل ما فرض عليها في أجلها المحدود للحرص على استمرار جوهر الحياة . ثم تسلم هذا الجوهر الى الحي الجديد الذي صدر منها وتمضي . والحي الجديد يعيد الدور الذي مثله سلفه ، وهكذا دواليك . فالحيـاة سلسلة طويلة ذات حلقات متعددة

ما حياة الفرد الا حجر في بنيان . ما هي الا اداة في آلة عظيمة مركبة (اجتماعية) . وما عمر الفرد الا هنيهة من هنيهات الحياة العامة المتواصلة

١ً — الذكورة والانوثة

والذي نراه في معظم طبقات الحياة وأشكالها أن حلقات سلسلة الحياة مزدوجة . ولا تصدر حلقة مفردة الا من حلقة مزدوجة . وبأصرح عبارة لا يتولد حيٌّ الاَّ من حيين : ذكر وانثى : اذاً الذكورة والانوثة ضروريتان لتسلسل الحياة - التناسل

وقد علمت فيما سبق أن التناسل في الحياة السفلى المفردة الخلية يحدث بالانقسام من غير تزاوج ذكر وانثى ، اذ يتراءى لنا المكروب خلواً من الذكورة والانوثة . وانما في الاحياء التي هي اعلى من المكروب تظهر الذكورة والانوثة في فرد واحد . ثم تنفصلان في فردين مستقلين في درجات الحياة المتوسطة والعليا .

يتراءى لنا أن لا ذكورة ولا انوثة في المكروب ذي الخلية الواحدة . ولكني

أعتقد أن فيه الاثنتين معاً، أي أن الذكورة والانوثة كامنتان فيه. وما نضوجه الا نتيجة تزاوجهما. قد لا يتضحان فيه لدى الدارس البيولوجي. ولكن تحدث فيه سلسلة تركبات عنصرية في دور النضج تختلف عن سلسلة تركباته الحيوية قبله. وهذا التركب الخاص بالنضج والانقسام يكون بمثابة تزاوج ذكر وأنثى.

وسواء سلم القارىء بهذه النظرية أو لم يسلم ففي درجة من الحياة أعلى من المكروب نجد الذكر والانثى في حي واحد متمايزين يلقح فيه الذكر الانثى، كما ترى في معظم النباتات الزهرية والخنشارية، أي غير الزهرية، أيضاً، وكما ترى في بعض أنواع من الحيوانات المائية كالهيدرا اذ نجد عضو الذكر وعضو الانثى في حيوان واحد، وذاك يلقح هذا. وفي بعض الديدان يوجد العضوان في حيوان واحد معاً، فتتزاوج دودتان بأن يلقح عضو الذكورة في الواحدة عضو الانوثة في الاخرى، وعضو الذكورة في هذه عضو الانوثة في تلك. مثل البزاقة

٢ — جوهر التناسل المزدوج

فترى مما تقدم أن سر الطبيعة، لحكمة خفية فائقة، أودع في الحياة الفردية الأولى جوهراً سرياً مزدوج الوظيفة أو الفاعلية، بدليل أن هذا الجوهر المزدوج كان كلما ارتفع درجة في سلم الرقي تمايزت وظيفتاه الى أن انفصلتا، فكانت الواحدة ذكورة والاخرى انوثة، بحيث يتيسر اندماجهما معاً في حالة النضج بغية التناسل وتوريث جوهر الحياة لجيل جديد. وما زال العضوان يتمايزان وينفصلان كلما تقدمت الحياة في سلم الرقي الى أن أصبح كل منهما مستقلا عن الآخر في شخصية قائمة بذاتها، وهما الذكر والانثى. على أن كلاً منهما وحده ناقص لا يستطيع الاستمرار بالحياة لأنه نصف (أو جزء من) ذلك الأصل الذي اشتق منه. والذي كان فيه جوهر الحياة كاملا وصالحاً للتناسل وتوريث الحياة من جيل الى جيل. ولا يكمل الأ باندماجه بالنصف الآخر كما كانا في الأصل

٣ — اشتقاق الذكورة والانوثة

وفي اسطورة موسى أن حواء انشئت من أحد أضلاع آدم ما يدل على أن هذه الحقيقة البيولوجية مغروسة في الفكر الانساني منذ شروعه في الظهور متميزاً عن العقلية الحيوانية . كأن الانسان منذ وعيه في عالم الانسانية شعر بهاتف في جرثومته العقلية يقول له : أن الذكورة والانوثة مشتقتان من أصل واحد ، وكلاً منهما نصف هذا الأصل أو جزء منه ، اذ لا تقوم لأي واحدة منهما وحدها قائمة بذاتها ، بل لا بد من اتحادهما

وفي بعض مظاهر الحياة البيولوجية شواذٌ غريبة ، وهي على ندورتها تؤيد اشتقاق الذكورة والانوثة من أصل حيوي مزدوج الفاعلية .

من ذلك « أن وتشي تلميذ هربونج قرر مشاهدة عيان واختباراً شخصياً مفادهما : أنه في بعض جهات هولاندا اذا فحص الواحد الضفادع التي نضجت من دعاميصها المائية حديثاً وطلعت الى اليبس ، وجد أن بين كل عشر اناث منها ذكراً واحداً تقريباً . ولكن بعد أن تبلغ الضفادع أشدها تجد أن عدد الذكور فيها يساوي عدد الاناث ، الأمر الذي يدل على أن بعض الاناث تحولت الى ذكور في أثناء نموها »[1]

وقد عرفت حادثة بشرية في هذا البلد منذ عهد قريب وذاع خبرها بين جماعة حيّها ، وهي أن فتاة ظهر في دور مراهقتها شذوذ في عضوها السري حير أهلها والاطباء . وما أدركت سن البلوغ حتى تحول هذا الشذوذ الى ذكورة ، ونصح الأطباء لأهلها أن يظهروها للعالم فتى لا فتاة . فاضطروا أن ينتقلوا بها الى قطر آخر لا تستحي أن تظهر فيه فتى اذ لا يعرف أحد أنه كان فتاة

وكثيراً ما سمع مثل هذا التحول الشاذ ولم يصدق لغرابته . وربما اكتشف كثير مثله في الحيوانات الدنيا لو أمكن التحري والاستقراء . ولا يخفى ما فيه من الدلالة على اشتقاق الذكورة والانوثة من أصل واحد . وغايتنا من ايضاح هذا الاشتقاق بيان أن لا واحدة من الذكورة والانوثة تعد فرداً قائماً بذاته ، اذ لا تستطيع وحدها الاستمرار في الحياة وتوريثها لجيل آخر . بل هي نصف فرد أو بعض فرد ، والاخرى بعض

(١) صفحة ٢٥٤ طبعة أولى Creative Freedom, by J. W. Mason.

آخر ، ولا بد من اتحادهما ليتم الفرد الذي يستطيع الاستمرار في الحياة . فالمكروب أو الجرثومة ذات الخلية الواحدة أتم من الانسان من هذا القبيل لأنها محتوية على عنصري الجوهر المزدوج معاً، وتستطيع وحدها الاستمرار بالحياة اذ تنقسم بعد النضج الى جرثومتين وهلم جرا .

٤ — لماذا الذكورة والانوثة ؟

وهنا يسأل القارىء : ما الغرض من ازدواج جوهر الحياة القابل التسلسل متعدداً متكاثراً بغية استمرار الحياة وبقاء النوع ؟ ولماذا انفصل نصفاه أو بعضاه واستقل أحدهما عن الآخر في الاحياء العليا ؟ ولماذا هما يختلفان شكلا ؟

والجواب على السؤال الأخير : أنهما يختلفان شكلا في الظاهر ولكنهما لا يختلفان من الوجهة البيولوجية . فجرثومة الذكر لدى الفحص المكروسكوبي الدقيق تماثل بيضة الانثى، ولا اختلاف بينهما الا في الشكل الخارجي. ولكنهما لدى التحقيق البيولوجي يختلفان لاختلاف وظيفتهما كما سترى .

والجواب على السؤال الأول : أن سر الطبيعة الذي يدرب الحياة لم يقصد استمرارها فقط ، بل قصد أيضاً تطويرها بغية ترقيتها ودفعها في سبيل الرقي الى المثل الأعلى الذي لا حد له (وهو ما كان أسلافنا يسمونه الكمال). ذلك شأنه في كل مظاهر الطبيعة الحيوية وغيرها . وقد اختط لهذه الغاية أن يكون جوهر الحياة مزدوج الفاعلية ، أو مؤلفاً من عنصرين يتفاعلان ، لكي تكون نتائج تفاعلهما مختلفة باختلاف الظروف والأحوال المحيطة بها ، اي البيئة ، فيحدث التنوع في أشكال الحياة

٥ — غرض التنوع الارتقاء

والغرض من هذا التنوع امكان التصاعد في سلم الارتقاء . كيف ذلك ؟

إن هذه الخطة تقضي بنشوء أنواع جديدة مختلفة كل يوم . فالنوع الذي يرتفع درجة في سلم الرقي يبقى ليتنوع الى أنواع أعلى ، والنوع الذي لا يرتفع بل يبقى متأخراً يضمحل ويخلي الطريق لغيره . فكأن سر الطبيعة العظيم يبتدع كل يوم بدائع جديدة وينتقي أفضلها وأسماها وينبذ الباقي ، وهكذا دواليك

هذا هو الغرض من ازدواج الجوهر الحيوي فاعلية

وأما الجواب على السؤال الثاني ، أي لماذا انفصل جزءا هذا الجوهر الحيوي المزدوج، واستقل كل منهما بفاعلية خاصة ، اي بذكورة او بانوثة ، فهو أن هذا الانفصال يقوي عملية التنويع ويوسع دائرتها ، لكي يتيسر الاسراع بالتطور والارتقاء . وهذا الانفصال نفسه جاء نتيجة التطور الذي كان الازدواج سببه قبلا . ذلك لأن استقلال كل من عنصري الجوهر المزدوج الذكورة والانوثة، بذاتية قائمة بذاتها يوسع دائرة البيئة، ويوفر وسائل انفعاله بالأحوال والعوامل المحيطة به، لكي يحدث التنوع. ناهيك عن أن تخطي كل من العنصرين وسطه الى وسط آخر هو نفسه وسيلة اخرى للتنويع

فترى أن الغرض من الذكورة والانوثة وانفصالهما وازدواجهما او اتحادهما هو التنويع بغية التصاعد في سلم الارتقاء الى المثل الأعلى ، او الى الكمال[1]

٦ — تمايز الذكورة والانوثة ووظيفتهما

بقي أن تسأل أيضاً : ما وظيفة كل من هذين العنصرين المندغمين في واحد ، اي الذكورة والانوثة ؟ وماذا يميزهما الواحد عن الآخر ؟

والجواب : تقدم القول أن لسر الطبيعة المسير العالم الحيوي غايتين متميزتين ، واحداهما ذريعة للاخرى . الأولى استمرار الحياة على العموم ، واستمرار سلالة النوع على الخصوص. والثانية دفع الأنواع والسلالات في سلم الارتقاء ، وانتقاء أفضلها ودفعه في السلم ، وقذف أدناها الى هاوية الفناء . وهاتان الغايتان تقضيان بحكم الطبع الى امتلاء الأرض بأفضل المخلوقات وأرقاها . الغاية الأولى تقضي باستمرار الحياة والنوع والسلالة . والغاية الثاني تقضي باستمرار الارتقاء الى المثل الأعلى ، الى الكمال . ولكل غاية من هاتين الغايتين عامل في جوهر الحياة يعمل لها . فاذاً جوهر الحياة مزدوج العامل ، اي ذو عاملين . فلذلك لا بد أن يكون ذا جزئين مندغمين ، وكل واحد منهما يقوم بعمل . ولا يمكن أن يشترك الجزآن معاً في كل من العاملين . لو كانا

---

(١) ليس جوهر التناسل المزدوج سبباً وحيداً للتنوع والتطور . بل هناك عوامل أخرى له بيئية واجتماعية

كذلك لما تمايزا ، بل لتشابها تمام التشابه ، ما دامت وظيفتهما واحدة . وحينئذ لا يظهر فاصل بينهما يجزئهما ، بل يكونان شيئاً واحداً . فتمايزهما اذاً دليل راجح على اختصاص كل منهما بعمل أو وظيفة ، أو بالاحرى بفاعلية . وترى فيما بعد أن فاعلية الذكورة استمرار الحياة والسلالة ، وفاعلية الانوثة الاستمرار في الرقي . وسترى سبب هذا الاختصاص . ولكن لا يرسخن في ذهنك أن اختصاص كل منهما بفاعلية يستلزم استقلاله عن الآخر . لا بل الامر بالعكس إن هذا الاختصاص يستوجب توقف كل منهما على الآخر ، فلا بد من اتحادهما لأن عمليهما متحدان . فلا يكون رقيٌّ اذا لم يكن تسلسل ، ولا تتصور تسلسلا اذا لم يكن رقي ، بل تكون الحياة خيطاً على نسق واحد . هذا اذا امكن بقاؤها . وسترى أن الحياة اذا لم تكن مترقية فلا تبقى . وما ارتقاؤها الا ضمانة لبقائها

فشأن جزئي الجوهر الحيوي كشأن البناء الهندسي ، فانه يتضمن بنياناً وهندسة . فلا بنيان اذا لم تكن له هندسة بل يكون ثمت عرمة حجارة . ولا هندسة اذا لم يكن بنيان قائم بها . فالهندسة والبنيان هما جزءا جوهر البيت أو البناء الهندسي

هذا تشبيه تقريبي لعنصري جوهر الحياة - الذكورة والانوثة

٧ — الذكورة والانوثة نصفا واحد

وخلاصة ما يهمنا من هذا الموضوع أن الذكورة والانوثة جوهران بيولوجيان متلازمان كتلازم جوهرين كيماويين في مادة واحدة ، كجوهري الكلور والصودا في ملح الطعام مثلا . فلا الكلور وحده ولا الصودا وحده يكوّن ملحاً .

وقد كانت الذكورة والانوثة معاً في جسم واحد يوم كانت الحياة بسيطة وهما بسيطتان فيها . ولكن لما صارت الحياة مركبة الأجسام مختلفة الاعضاء والوظائف صار من واجب كل من الذكورة والانوثة أن تشتمل على النزعات والميول اللازمة لاصدار الحياة المركبة ، فانفصلت كل منهما عن الاخرى في فردٍ قائم بذاته يستطيع تجهيزها بهذه الميول . ومتى حان موعد قيامها بوظيفتهما (أي التناسل) عادتا الى اتحادهما الأصلي الذي يتم في عملية اللقاح . وبغير اتحادهما لا يحدث تناسل

فترى مما تقدم أن انفصالهما في الأحياء التي هي أعلى من الديدان السفلى فما فوق انما هو انفصال عرضي يبتغي به استخدام قوى حيوية أعظم من قوى الاحياء السفلى للاستعداد الى توليد حياة راقية عالية التركيب (غير بسيطة) .

ولذلك هما في حالة انفصالهما لا تقوم لاحداهما قائمة في سر الحياة المستمرة أي حياة النوع . فاذا تلفت احداهما قبل الاتحاد باخرى انقطع أحد خيوط سلسلة النوع . فكل منهما وحدها ليست حلقة في سلسلة النوع أو السلالة البشرية بل هي نصف حلقة . ولا تتم الحلقة الكاملة الا باتحادهما معاً .

اذاً الفرد ذكراً كان أو انثى لا يعد في حياة البشر (أو أي نوع حيواني) فرداً مستقلا قائماً بذاته . بل هو نصف فرد . لأنه لا يستطيع وحده أن يصدر حياة جديدة لاستمرار النوع . بل لا بد من اتحاده مع الآخر كما كانا في أوائل أدوار الحياة كما علمت باتحاد النصفين يحصل الواحد ، أي الحي الكامل الذي يستطيع أن يقوم بوظيفة الحلقة في سلسلة النوع المستمر

اذاً كل من الرجل والمرأة ليس الا نصف انسان . لأنهما هكذا كانا في أصل الحياة . ولا يتم الانسان الا باتحاد الرجل والمرأة .

هكذا « ذكراً وانثى خلقهم » كما قال موسى كليم الله

فالزواج البشري انما هو تكوُّن انسان كامل تام . والفردية انسانية ناقصة . اذا بقيت منفردة كل العمر اندثرت كجزء تالف من جسم عام نبذها

فما أهم الزواج ، وما أعظمه غاية ، وما أسماه جوهراً ، وما أعمقه سراً

ج - الحياة الزوجية من الوجهة الاجتماعية

١ — معنى الزواج الاجتماعي

لا معنى للزواج أو للمزاوجة عند الحيوانات العجماء الا المعنى البيولوجي الذي تبسطنا به آنفاً . وأما عند الناس فللزواج معنى آخر اجتماعي ذو أهمية كأهمية المعنى

البيولوجي بل أهم. وقد اكتسب هذا المعنى الثاني من ان للانسان خاصة الجمال، أي كونه ذا ذوق جميل وذا قوة فنانة وذا احساس للتمتع بالجمال. وهذه الخاصة التي امتاز بها على الحيوان هي أحد العوامل الاجتماعية، أي احدى القوات التي تعمل في تكوين المجتمع وترقيته

٢ — الزواج نظام اجتماعي

الزواج من هذا القبيل نظام اجتماعي جوهري، عريق في القدمية كقدمية الهيئة الاجتماعية، بل هو أول أنظمتها الاساسية. والمراد بكونه نظاماً هو انه مقيد بشرائع تقليدية مختلفة، من دينية وسياسية وعرفية. وفي علم الاجتماع بيان واف لهذا النظام العظيم الشأن، نقلنا أهمه الى كتاب الحب والزواج، فلا داعي لنقله هنا أيضاً. فمن يشأ فليراجعه هناك وهنالك. وأما هنا فيهمنا في الدرجة الاولى أن نبحث فيه من الوجهة العائلية

٣ — الاختصاص الزيجي

لقد قضى نظام الزواج الاجتماعي باختصاص كل من الرجل والمرأة بشخص معين تتم به الوحدة الزوجية لتكوين العائلة، خلافاً للحيوانات التي ليس لها هذا الاختصاص الا نادراً ولأجل. وقد كان هذا الاختصاص رخواً أو ضعيفاً في أوائل عهد الاجتماعية. ثم صار يتوطد ويتمكن ويزداد احكاماً مع الزمان، الى أن أصبح ارتباطاً مكيناً في الشعوب الراقية، وصار الخروج عنه الى الشيوعية يعد جريمة، ويدعى في الاصطلاح فسقاً، وله عقوبات

ولا يخفى ان هذا النظام — نظام الزواج على هذا النحو — ما تطور تطورات متعاقبة الى أن بلغ الى هذا الحد من المتانة الا لأن الاختبار على تمادي الزمان أثبت انه أصلح للحياة العائلية من الزواج الشيوعي المشابه لزواج الحيوانات

لم ينشأ هذا النظام ولم يصقل في درجات تطوراته المختلفة اعتباطاً أو مصادفة، بل لأسباب جوهرية حيوية. ولولاه لكانت الحياة العائلية ضعيفة سقيمة غير كافلة

التدرج الى سلم الرقي . لولاه لما كان رقيٌّ اجتماعي يبلغ بالانسان الى هذه المدنية التي بلغ اليها . واليك الأسباب :

٤ً — الحضانة من الاسباب الاجتماعية لتلازم الزوجين

لا يخفى عليك ان دور الحضانة عنـد البشر أطول جداً منه عند الحيوانات . لا يكاد هذا الدور يوجد عند الحيوانات الدنيا ، أولا يوجد عند بعضها بتاتاً. فمتى نقف جنين الحشرة البيضة سرح في طلب الرزق لنفسه بنفسه . وهيهات أن تشعر الأم بوجوده . وفي الحيوانات العالية يقتصر دور الحضانة على مدة نمو المولود الى أن يشتد ويستطيع السعي قبل أن ينضج . وفي ذوات الاثداء يقتصر على مدة الرضاعة فقط . ومتى صار المولود قادراً على الاغتذاء من غير لبن أمهِ سعى بنفسه الى رزقه ، وتركته أمه ، فلا تعود تعرفه فيما بعد ، بل تصبح تنازعه الرزق كفرد غريب عنها

وأما في الانسان فتمتد مدة الحضانة الى دور المراهقة . وقد تتجاوز هذا الدور الى ما بعد سن البلوغ — الى حين يستتم الابن تأهبه للحياة الاستقلالية ، والى حين تستتم البنت تأهبها للزواج ، أو الى أن تتزوج

فالمولود الانساني لا يستغني عن أمه في دور الرضاعة ، ولا في دور الحداثة ، ولا يستغني عن أبويه في دور التربية العقلية ، فضلاً عن التربية الجسدية . فهو محضون بحكم الضرورة الطبيعية أولا ، وبحكم الضرورة الاجتماعية ثانياً ، مدة نحو عشرين سنة على الاقل . وهذه الحضانة تستلزم تلازم أبويه كل هذه المدة . واذا تعدد الاولاد دام هـذا التلازم المحتوم ثلاثين سنة أو أربعين . فماذا يبقى من العمر ليتسنى للزوجين الافتراق . وأي حكمة في الافتراق بعد عشرات من السنين وبعد انقضاء الشباب والكهولة

٥ً — الغريزة العائلية

اذاً اجتماعية البشر قضت بأن يتلازم الزوجان أمداً طويلا للقيام بوظيفة الزوجية العائلية . وهذه الوظيفة محتومة بحكم الغريزة العائلية التي توارثها النوع الانساني . هذه

الغريزة قضت على عواطف الأبوين أن يحبا البنين والبنات كل الحب ، ويضحيا بكل عزيز لاجل حضانتهم وتربيتهم ، الى أن يبلغوا أشدهم ، كأن لا أمنية لهما الا أن يبلغا بنيهم وبناتهم الى درجة حياتهم الاستقلالية التي تفني عمرهما قبل الوصول اليها

بسلطان هذه الغريزة التي لا تقاوم يتلازم الزوجان مدى حياتهما الزوجية كلها . فهذا هو سر اختصاص كلّ من الزوجين بالآخر واقتصاره عليه دون غيره ، وعدم الزيغان عنه . واذا راجعت كيف تطور هذا الاختصاص مماشياً في تطوره للتطورات الاجتماعية ترى كيف انه كان يستحكم ويقوى الى أن أصبح في غاية المتانة في أحدث أدوار المدنية . في هذا الدور تلاشى تعدُّد الزواج أو كاد، وأصبح الطلاق معرَّة حتى عند ذوي العقائد التي تجيزه . أصبح في العصور الاخيرة كل من الزوجين يقتصر على الآخر وحده مدة العمر كلهِ — كل ذلك لأن العائلة أصبحت الغرض الاقصى والاسمى من الحياة الزوجية الاجتماعية

٦ — حرمة العائلة

ذلك هو التعليل الطبيعي لنظام الاختصاص الذي نحن بصدده . وما هو بالتعليل الوحيد أو بالسبب المفرد له . بل هناك سبب أو أسباب اجتماعية أخرى تولدت منه معهُ وصار لها من المتانة والجوهرية ما لذاك . بل فاقت جوهرية ومتانة عليه

نعم قد اكتسب هذا النظام أي نظام الاختصاص صبغة اجتماعية أيضاً توجب على كل من الزوجين ملازمة الآخر وعدم الشرود أو الزيغان . ذلك لأن العائلة التي استغرقت كل عواطف الزوجين واحتكرت حبهما وأصبحت نواة أمانيهما صار لها حرمة مقدسة ، حتى اذا غزا شخص ثالث قلب أحد الزوجين كان معتدياً على حرمة العائلة المقدَّسة ، وملوِّثاً نقاوتها ، ومدنِّساً طهارتها . ولذلك قضى النظام الاجتماعي بأن يُعَدُّ هذا الغزو جريمة تسمى زنىً يعاقب بسببه الغازي والخائن ، ويعد المولود بالزنى ابن خنا ، ولا حق له بالارث .

٧ — الامانة الزوجية ، وقداسة الغرض

ثم أن هذا السبب الاجتماعي الذي بسطناه أنشأ سبباً أدبياً أيضاً . لانه لما تمكن

الاختصاص ، أي تلازم الزوجين ، حرصاً على سلامة العائلة وسلامتها ونقاوتها وضمانة تهيئتها للحياة الاستقلالية المستقبلة ، وأصبح الزوجان متفاهمين في التضامن على هذا الحرص والتفاني فيه — اكتسب نظام الزواج صفة أدبية غير صفتيه الطبيعية والاجتماعية . وهذه الصفة هي تعاهد الزوجين صراحة أو ضمناً على الامانة الزوجية ، أي عدم خيانة كل منهما للآخر . اكتسب نظام الزواج صفة العرض أي الشرف . فأذا رام ثالث غزو قلب أحد الزوجين كان معتدياً على العرض ، أي على شرف الزوجين ، فضلاً عن اعتدائه على نقاوة العائلة ، وكان المغزو الراضي بالغزو من الزوجين خائناً أو حانثاً بالعهد ومهيناً لكرامة الآخر وعزة نفسه . وقد عظمت هذه الصفة الأدبية في نظام الزواج الى أن أصبح العرض أقدس ما للزوج أو الزوجة ، حتى ان الشريعة المدنية تغض الطرف عن انتقام أي الزوجين لعرضه ممن يدنسه

هذه أسباب ثلاثة طبيعية واجتماعية وأدبية لنظام الاختصاص في الزواج . وهي أسباب جوهرية كما رأيت . وقد استحكمت جداً حتى صار الاختصاص متيناً بها كما تعلم

٨ — اختيار القرين

ولا يخفى عليك أن نظام الاختصاص هذا يستلزم نظاماً آخر للزواج وهو نظام الاختيار ، أي ان كلا من الرجل والمرأة يختار الزوج الذي يعتقد أنه يمكن أن يكون خير الف له . يختار الشخص الذي يشعر انه هو نصفه الآخر الذي يكمل به

وهذا النظام الاخير ، أي الاختيار تطور كغيره أيضاً . فكان في بدء الاجتماعية ضعيف القاعدة قلما يرتكن على الاحساس الروحاني بل كان يستند الى القوة الجسدانية والنعرة الشهوانية . ولذلك كان في جانب دون الآخر أو أكثر منه في الآخر . فكان الاختيار في أطوار سائغاً للرجل وحده دون المرأة . فهو الآخذ وهي المأخوذة . هو يخطفها أو يشتريها وهي متاع لا اختيار لها . وفي أطوار قليلة كانت هي تختار وهو يستسلم . وانما على تمادي الزمان وتقدم المدنية صار ، أو كاد يصير ، أن كلا منهما يختار حتى اذا كان الاختيار والرضى متبادلين تم الزواج . وانما لم يزل حتى الآن في بعض

الامم ، ولا سيما الشرقية ، للرجل وحده حق الاختيار ، وللمرأة حق الرضى أو الرفض فقط ، وليس لها حق الاختيار . فهو الباحث عن الاليف ، وهي المنتظرة أن يهتدي اليها الاليف . فلا تسعى اليه بل هو يسعى اليها

٩ — عظم شأن الزواج

هـذا هو بيان معنى الزواج من الوجهة الاجتماعية . وهو يدلك على ان الزواج عظيم الشأن كنظام اجتماعي ، كما هو عظيم الشأن كسر بيولوجي. أجل انه عظيم جداً بل هو أهم حادث في الحياة ، بل هو الحادث الأساسي الذي تدور على محوره كل الحياة . فلا بدع إذاً أن نجعله فناً يستحق البحث العميق في أصوله وقواعده ارشاداً للشبيبة

فأذا كان انشاء العائلة هو الغاية القصوى من الحياة الاجتماعية، أي اذ كان الغرض من الحياة اصدار حياة جديدة ، وتوريثها سر حياة النوع بكافة عناصرها وخواصها ومزاياها الارتقائية ، لكي تملىء الارض بشراً جيلا أرقى من جيل — واذا كانت هـذه الغاية لا تنال الا بالزواج — واذا كان الزواج مقيداً بحكم العوامل الاجتماعية بشرائع وقوانين أدبية ومدنية — واذا كانت هذه العوامل الاجتماعية قد قضت باختصاص كل من الزوجين بالآخر ، وكان هذا الاختصاص يستلزم اختيار كل من الرجل والمرأة اليفه — أفليست عملية الاختيار فناً خطير الشأن يجب أن تدرسه الناشئة لكي تحسنه ولا ترتكب الشطط فيه ؟

واذا كان الزواج يستلزم تأهباً واستعداداً عظيمين لكي يكون الاختيار سديداً أفليس هذا الاستعداد فناً جليلاً أيضاً يجب أن تدرسه الناشئة لكي تأمن الشطط فيه؟

هذه هي الغاية المبتغاة من هذا الكتاب . ولذلك نعتقد اننا في تصدينا للبحث في هذا الموضوع الجليل نقصد أن نقوم بخدمة جليلة الفائدة للنشء . فأن وفقنا الله الى الصواب في هذا البحث يكن سبحانه وتعالى قد أرشد الناشئة عن يد هذا الكتاب الى أقوم السبل — الى الدور الرئيسي في الحياة البشرية ، ونعني به دور استلام الفتى أو الفتاة حياة السلالة من جيل يمضي، وتسليمها سليمة قوية راقية الى جيل جديد يأتي.

فعلى الله تعالى الاتكال وهو الموفق الى السداد

د - روحانية الحياة الزوجية

ننتقل هنا الى بحث آخر خطير الشأن ، وربما كان أعظم شأناً من البحث الآنف ، وهو : ما هي وظيفة كل من الزوجين في الزواج الذي يوحدهما باعتبار أنهما نصفان ؟ .

١ً — ظواهر الزوجية

الصفة الشائعة هي ان وظيفة الزوج العمل للكسب وايجاد رزق العائلة، ووظيفة الزوجة تدبير المنزل وحضانة الأولاد ، وقد قضت طبيعة كل من الرجل والمرأة بتقسيم الواجبات على هذا النحو ، فهي بحكم الحمل والرضاعة مضطرة الى ملازمة البيت، وبهذا الحكم نفسه يضطر الرجل أن يأخذ على كاهله الشطر الآخر من الواجبات، أي السعي الى الرزق للعائلة .

هذه هي الفكرة السائدة على عموم الناس لأنهم يأخذون بظواهر الاحوال وقلما يفطنون لبواطن الامور . والحقيقة ان تقسيم الواجبات هكذا ثانويٌّ في مجرى الحياة، وقد قضت به العوامل الاجتماعية ، لأنه غير موجود ، أو هو ضعيف جداً ، عند القبائل الضعيفة الاجتماعية ، أو هو معكوس عند بعضها ، ومعدوم عند الحيوانات حيث الأم وحدها تهتم برزقها ورزق أولادها ، إلا ما ندر عند بعض الطيور التي يعاون ذكرها الانثى في حضانة الفراخ واطعامها الى ان تبلغ أشدها . وأما التقسيم الجوهري فغير ذلك كما ترى

٢ً — سر الحياة الزوجية روحاني

نعم أن الغرض من الزواج التناسل لاستمرار حياة النوع الانساني ، وهي الحياة الكلية ؛ لأن حياة الأفراد ليست الا أجزاء منها ، أو هي حلقات في سلسلتها ، كما تقدم البيان. على أن هذا الغرض بيولوجي وقد استقوى في الحياة الاجتماعية . ولكنه ليس الهدف الذي يرمي اليه الزوجان بتعقلهما ورغبتهما . بل هو الهدف الذي ترمي

اليه طبيعتهما البيولوجية (التناسلية) من غير قصد عقلي منهما ، وهما يلبيان فيه أمر سر الطبيعة العميق ، ذلك السر الالهي الذي يحرك الكون ويدرب عوامل الحياة على اختلاف مظاهرها وبوجهها الى محجة الرقي. واذا كان الزوجان يشعران بالميل الشديد الى العناية بالأولاد فلأن الطبيعة نفسها وضعت فيهما هـذا الميل ، وجعلته غريزة أيدتها بغرائز أخرى ، ولا ارادة مطلقة لهما فيه البتة ، ولا هو خاضع لأحكام عقليتهما ، بل عقليتهما خاضعة له ، لأنه غريزة

وأما الغرض الاخر الذي يرمي اليه قران الرجل والمرأة ، شرعياً كان أو غير شرعي ، فهو روحانية الحياة ، أي التمتع بجمالها . وهذا الغرض هو سمط عقد الرقي. وهو ما يرمي اليه القران الانساني . أما التناسل فغرض ثانوي من الحياة الزوجية ، ويأتي كاحدى نتائج الغرض الأول . أجل أنه ثانوي ، مهما تراءى للانسان أنه جوهري ، وله في طبيعته شهوة اليه . واليك البيان :

٣ — التمتع بالجمال الهدف الاول

أن الغرض الجوهري الرئيسي الذي يرمي اليه قران الرجل والمرأة التمتع بالجمال . هذا الغرض أنتجته عوامل الرقي الروحاني الداخلي في الانسان

يزيد الانسان على الحيوان بأنه ذو جهاز عصبي أشد احساساً وانفعالاً من جهاز الحيوان العصبي ، وبينهما بون شاسع من هذا القبيل . ولا يخفى أن الجهاز العصبي هو آلة اللذة والألم . اللذة من جراء التمتع بالجميل ، والألم من جراء النفور من القبيح . ولذلك نجد أن حاجة الانسان الى إشباع هذا الجهاز أشد من حاجته الى أشباع المعدة ، خلافاً للحيوان الذي همه الأول سد الجوع . أما الانسان ، وقد تسلط على الحيوان والنبات ، وقبض على أعنة قوى الطبيعة ، فقد أصبح حصوله على الغذاء وضروريات الحياة الجسدية سهلاً لا يكاد يكلفه عناء . وانما أشباع جهازه العصبي هو الذي يستغرق كل جهاده

فالتمتع بالجمال هو هدف الانسان الأول ، ويكاد يكون الهدف الوحيد لجهاده في الكدح والعمل . لذلك ترى أن الفنون الجميلة قد كست كل مظاهر المعيشة كسا-

تاماً . فأي مظهر من مظاهر الحياة البشرية لم يتفوّق فيه الجمال على المنفعة الجسدية ؟

خذ المأوى مثلاً تجد أن الكهف أو الكوخ البسيط يكفي الحياة الجسدية . ولكن الانسان لم يقنع بالكوخ بل بنى البيت بناء هندسياً محكماً ، وطلاه من الخارج وزخرفه بالرسوم ، وطلى الجدران من الداخل وزينها بالنقوش . ولكي ينام يكفيه فراش من قش . ولكنه ما قنع بفراش قش ، بل اصطنع السرير من المعدن الفاخر وزخرفه ، ونجّد الفراش من نسيج أنيق وزخرف الأغطية الخ

أدر نظرك في كل رياش المنزل فلا تجد اداة فيه خلواً من زخرفة جميلة . المقعد الذي تجلس عليه من خشب مزخرف وقد كسي بنسيج نفيس . انظر الى الخزائن ، الى المغسلة ، الى المكتب ، الى كل ما تستعمله ، فهل ترى شيئاً خالياً من صنعة جميلة ؟ الصحن الذي تأكل منه ، الملعقة التي تأكل بها ، الكاس التي تشرب منها الخ كلها مزخرفة أيّ زخرف . الطعام الذي تأكله لذيذ شهي . صناعة الطبخ سرها الجمال ، ولولاها لما كانت صناعة . المركبة التي تركبها ، الترام ، عربة السكة الحديدية الخ كلها مزخرفة . وبالاختصار ، لا شيء من لوازم الحياة خالٍ من جمال .

ولكن هل لهذا الزخرف وهذه الزينة وتلك البهرجة شأن في لوازم العيشة الجسدية . أليس الغرض منه اشباع الشهوة الروحانية للجمال ؟

٤ — روحانية الجمال

اذاً التمتع بالجمال هو الغرض الاسمى من الحياة الانسانية . وقد نشأ الجمال وتطور من عقلية الانسان الداخلية ، ولا عمل للعوامل البيولوجية الطبيعية فيه . وهو الخطة التي اختطتها الانسانية لرقيها . أي أن معنى الرقي الانساني هو تعاظم الجمال . الجمال هو المثل الأعلى الذي يتجه اليه الرقي البشري . ذلك لأن مركز الرقي الانساني هو العقل الذي جُعِل الجهاز العصبي عدته ، ووظيفة الجهاز العصبي تناول الجمال وامتاع العقل به . واندماج العقل بالجمال هو الروحانية التي يسمو بها الانسان على سائر المخلوقات . ورقيّ الانسان قائم برقيّ هذه الروحانية ، أي تمتع العقل بالجمال .

اذاً كل ما تراه من مصنوعات الفنون الجميلة التي تتباهى بها المدنية انما هو لخدمة

الرقي الروحاني، اي تمتع العقل بالجمال عن يد الأعصاب الحساسة . وهل تستطيع وصف المدنية وتعريفها الاّ بأنها مجموعات أصناف الجمال ؟ وهل تفسر الارتقاء الانساني الاّ بأنه ارتقاء الفنون الجميلة؟ وأي اختراع أو استنباط أو ابداع لم يكن الغرض منه خدمة الفن الجميل وابراز جمال أبدع وأرقى ؟

٥ — سر الارتقاء في تعاظم الجمال

اذاً لم يبق عندك شك بأن محور الارتقاء هو تعاظم الجمال لتعظيم اللذة الانسانية . فالمثل الأعلى في الجمال هو مطمح الانسان الى ماشاء الله . وهذا الطموح صادر من داخلية الانسانية العقلية الروحانية . فهو الدافع بالانسان في الارتقاء الى فوق . ولولاهُ لوقف الرقيّ عند حد الحيوانية

الجمال الذي هو موضوع اللذة للجهاز العصبي هو سر الرقي . والمثل الأعلى هو تعاظم الجمال الى مالا نهاية له . فالانسان يسعى الى هذا المثل الأعلى الى ماشاء الله ولا يدركه

اذاً التمتع بالجمال هو الغرض الرئيسي الذي ترمي اليه حياة الانسان الروحانية .

والحياة الروحانية هي نواة الانسانية الجوهرية والمحور الذي يدور عليه أعمالها . وأما التناسل فهو العمل الجسماني الطبيعي ، وليس للانسان ارادة مطلقة فيه ولا أمنية قصوى منه ، بل هو أمنية الطبيعة وهي التي تعمل فيه . وسر الطبيعة قد وجه الانسان في وجهة التمتع بالجمال ليخدم غرضها. فهو يتزاوج ويلد ، ليس لأنه يريد استمرار السلالة ودوام النوع الانساني ، بل لأنه يريد التمتع بالجمال ، لأجل الجمال نفسهِ ، لانه مثلهُ الأعلى . وقد جعلت الطبيعة الزواج والتناسل شيئاً جميلاً لكي يخدم الانسان غرضها ، أي استمرار النوع ورقي الحياة

فالطبيعة المادية تعمل لاستمرار السلالة وبقاء النوع . وروحانية الانسان تعمل للرقي الانساني في خطة تعظيم الجمال ، الجمال الذي هو الدافع الجوهري للانسان في سلم الرقي

اذاً الزواج أعظم حادث في حوادث الحياة . بل هو الحادث الذي تتهيأ له الحياة

الانسانية الجسدية والروحانية . فهو اذاً حادث حتمي لا بد منه ، اذ به يجتمع نصفا الانسان الرجل والمرأة بمقتضى الطبيعة — العوامل البيولوجية — وبواسطته يندغم الجمال بالروح

فالزواج روحاني لا مادي

هنا وصلنا الى السؤال : ما هي وظيفة كل من الرجل والمرأة فى هذا الحادث الخطير الشأن

٦ — وظيفتا الرجل والمرأة

الرجل يعمل العمل المادي . والمرأة تعمل العمل الروحاني . الرجل ينهمك في السعي الى الرزق والنجاح المادي مؤتمراً بأمر الطبيعة للقيام بأود الحياة الجسمانية . والمرأة تنهمك بالجمال مؤتمرة بأمر الروح للقيام بأود الحياة الروحانية . وكلاهما يشتركان بالتمتع بحاصل عملهما . فوظيفة الرجل الكد والكدح ووظيفة المرأة الفن الجميل . هو يعمل لبقاء النوع الانساني وهي تعمل لرقيه . هو يصنع سمط العقد ، وهي تصنع حلقاته . فبلا الصمت ينفرط العقد ، وبلا الحلقات لا ينتظم العقد . اذاً كل منهما مكمل للآخر في كيانهما الروحاني

منذ نشأ الانسان وأخذ يرقى في سلم المدنية اقتسما الوظيفتين هكذا بحكم الطبيعة . فالرجل في جميع أدوار التاريخ منهمك في ساحة تنازع البقاء ، بين غزو وحرب وعمل في الحقل وفي دار الصناعة . والمرأة منهمكة في تجميل نفسها أولا ، ثم تجميل بيتها وزخرفة ظواهر المعيشة . فبقي الرجل مستمراً في خشونته وقساوة جسمه وصلابة طبعه ليستطيع الجهاد . وهي بقيت مستمرة في نعومتها ولطفها وجمالها الجسماني وجمال ذوقها العقلي . فالمرأة برعت في الفنون الجميلة ونبغت فيها . والرجل مهر في كسب الرزق .

فلو اشترك الاثنان في السعي الى الرزق لتوقف الرقي الانساني ، وبقي في درجته الحيوانية . ولو انصرف الاثنان الى الفنون الجميلة ، لبطل استمرار النوع وسقط الجمال برمته إذ لا تبقى مادة ليكسوها .

٧ — توازن وظيفتي الزوجين

تنهمك المرأة بالجمال لكي تصد اندفاع الرجل في العمل المادي وتوقفه عند الحد اللازم للحياة الجسمانية فقط . وينهمك الرجل بالعمل المادي لكي يصد اندفاع المرأة في العمل للجمال ، ويوقفه عند الحد اللازم للرقي الروحاني الذي لا يخشى من تهوره . إذاً لا بد من التوازن في عمليهما لاستمرار النوع واستمرار الرقي جنباً الى جنب . وعملاهما متكافئان متلازمان متممان أحدهما للآخر .

ليس معنى ذلك أن الرجل لا يشتغل في الفنون الجميلة ، ولا أن المرأة لا تعمل أعمالا مادية المنفعة . بل المعنى أن الرجل يشتغل في الفنون الجميلة ليس لأجل الجمال نفسه ، بل لأجل كسب الرزق . والمرأة تعمل الأعمال المادية النافعة ، وعملها يرمي الى خدمة الجمال أولاً ولو عن غير قصد منها .

المرأة تستنبط صنف الجمال والرجل يصنعه . المرأة تستنبط الزي في الملبس أو التبرج أو الزينة أو الاثاث الى آخره والرجل يصنعه . واذا استنبط الرجل جمالاً كان ينسخه عن تصوُّر المرأة ، عن رغبتها وامانيها واميالها

المصور او الحفار او النقاش يتفنن في رسم شكل المرأة اكثر من تفننهِ في أشكال اخرى ، كأنَّ غريزته ترشده الى أن المرأة موضوع الجمال . وان رسم منظراً طبيعياً فلا يندر أن يرسم فيه مرأة

التبرج والتحلي للمرأة . فهي تبذل جهدها قبل كل شيء أن تكون جميلة قواماً ومحيا وفماً ووجنةً ولحظاً الخ وتبالغ في اناقة ثوبها وهندامهِ . وتبذل جهدها في ترتيب منزلها واناقتهِ وتجميله بأقصى ما تستطيع . وتبذل جهدها وهي تربي أولادها أن تطبع فيهم الذوق الجميل

واذا خرجت المرأة الى دائرة العمل سعت الى احتراف الفنون الجميلة - الموسيقى والغناء والرقص والتمثيل والتصوير . وهي أبرع من الرجل فيها . حتى الخياطة التي هي حرفة للكسب محورها الأساسي الجمال ، حتى التعليم تقتصر فيه المرأة على تعليم

الصغار . ومحور تعليمها غرس كل ما هو جميل في عقولهم - جمال اللغة ، وجمال الخط ، وجمال الرسم الخ .

واذا تجاوزت المرأة هذا الحد من الاحتراف شذّت عن الوظيفة التي عينتها لها عوامل الرقي. وتمادي المرأة في العمل الى جنب الرجل في كل حرفة انذار بتقهقر الرقي، لأنه يضعف غريزة الجمال في النوع الانساني ، ويكبح جماح روحانيته . و بالتالي يتدهور الى الدرك الحيواني

بتعاون وظيفتي الرجل والمرأة تقوم وحدانية الزوجين . فالمرأة تمنح الرجل التمتع بالجمال ، تحيطه بكل ما هو جميل في نفسها وفي بيتها وفي رياشهِ ومائدتهِ ، لكي تغذي روحانيتهُ وترفع نفسانيته ، وفي الوقت نفسه تجدد نشاطه للكدح ، وتزيل ملله وسآمته وتلطف طبعهُ وتدمث أخلاقه

والرجل يقدّم للمرأة مع أود الحياة الجسدية ، المادة التي تصوغ منها صنوف الجمال. فكل ما هو جميل فيها وفي البيت انما هو من جنى يديهِ . فهو يقدمه ،وهي تنظمه على ذوقها الجميل . ثم يتقبل منها هذا الجمال وينفعل بهِ ، اي يمتع روحه به

فروحانية الزواج اذاً قائمة باتحاد الوظيفتين باعتبار أنهما شطران ، كلٌّ منهما مكمل للآخر

٨ — الادلة على روحانية الزواج

وغاية الزواج القصوى هي حدوث هذه الروحانية . ولهذه الغاية تجد الذكور والاناث في كل الامم متساوين عدداً تقريباً ، لكي يكون لكل رجل مرأة ولكل مرأة رجل . ولو كانت الغاية الأساسية من الزواج التناسل واستمرار النوع فقط ، لا انشاء الروحانية أيضاً ، لكان العدد القليل من الرجال كافياً لهذه الغاية . واذا قيل لا بد من تساوي الذكور والاناث لكي يستطيع كل رجل أن يعول مرأة وأولادها ، نقول اذا كان المقصود التناسل واستمرار النوع فقط ، لكانت الانثى تنصرف الى العمل والجني كالرجل ، فتعول نفسها وأولادها . وحينئذٍ يكفي لكل الف مرأة

رجل واحد . اذاً ليس الغرض من تساوي الجنسين عدداً الاّ نشوء الروحانية القائمة بتمتع النفس بالجمال

ولهذه الغاية أيضاً نشأ الاختيار مع الانسانية ، او أنهُ استقوى برقيها . فكل من الرجل والمرأة يختار الآخر موافقاً له في الروحانية ، ويعرض عن غيرهِ ، اذ لا يجد فيه هذه الموافقة . ولو كان الغرض من الزواج التناسل لاستمرار النوع لما كان ثمت داع للاختيار بتاتاً ، بل كانت العيشة الحيوانية كافية لهذا الغرض

فما تقدم نفهم أن للزواج معنى آخر غير ارواء الشهوة الحيوانية . له معنى الحياة الروحانية . وهي اسمى من الحياة الحيوانية ، وفيها ينحصر الرقي . ولو كان معناه حدوث التناسل فقط لما كان من داعٍ لتلازم القرينين ، ولا نشأت السنن الاجتماعية للزواج ، ولا تقيد الزواج بعقد ، بل كان الناس يعيشون كالبهائم

٩ — روحانية الزواج علة الرقي

فروحانية الزواج رفعته من درجته الحيوانية ، وهي التي قضت بتساوي الجنسين ، لكي يكون لكل رجل مرأة ، ولكل مرأة رجل ، لأن الروحانية الزوجية لا تتم إلا باتحاد النصفين في واحد . فاذا لم تتعادل الانصاف فلا تتم الآحاد . فهي التي قضت على نظام تعدد الزوجات وتعدد الازواج ؛ وهي التي أوجبت الاختيار ، وهي التي منعت الشيوعية في الزواج

فالحياة الزوجية حياة روحانية اكثر مما هي حياة جسدية شهوانية . واذا راجعت فصل تحليل الحب في كتابنا « الحب والزواج » وجدت أن الفكرة التناسلية ليست إلا عنصراً واحداً من عناصر الحب السبعة ، وأن أهم تلك العناصر الاخرى عنصر الجمال وهو متداخل في سائرها

١٠ — سمو معنى الزواج

الشهوة التناسلية ليست الاّ جزءاً يسيراً من ملذات الزواج . وما هي الاّ فترات قصيرة . وأما ملذاته الاخرى فمستمرة ما دامت الروحانية متجلية على الزوجين . فهما يتمتعان دائماً بالعشرة وبالبنين ، ويشتركان بالتمتع بكل جميل يحيط بهما مما تهيئه الزوجة .

فالزوجان ليسا حيوانين يجتمعان للغاية البهمية ، بل هما انسانان يتحدان في اقنوم روحاني ممتزج بالجمال

اذاً للزواج معنى أعلى جداً من المعنى الذي يلوح في بال الساذج أو الشهواني . حتى الحياة التناسلية في الانسان تمتاز على مثلها في الحيوان بكونها محفوفة بالجمال ، وهو يرفعها من درجة البهمية الى درجتها الشريفة ، وهو الذي يجعل العائلة هيكلاً مقدساً

فلما تقدم يجب أن يتوجه خاطر الفتى والفتاة ، وهما مقبلان على هذا الحادث العظيم ، الى فكرة أن الزواج اتحاد روحاني سام ، وعليهما أن يتأهبا له بهذا الفكر ، وعلى هذه النية . ويجب أن يعلما أن الغاية من الحياة التوصل الى روحانية الزواج . ومن لا يرمي في حياته الى هذه الغاية السامية كان سقطاً اجتماعياً ، أو هو كعامل النحل لا وظيفة له الاّ الجني فقط ، أي العمل لأجل الحياة الحيوانية

١١ — كيف تكون روحانية الحياة الزوجية سبب الرقي ؟

علمت أن الجمال هو عنوان الرقي أو رمزه ، أو هو الرقي بعينه ، اذ لا نعرف ارتقاءً خلواً من جمال . والمدنية المرادفة للرقي هي مجموعات أصناف جمال . فابتغاء الزوجين التمتع بالجمال ، فوق التمتع بالشهوة الحيوانية ، يدفعهما الى العمل لابداع صنوف الجمال وتجديدها ، واستنباط الوسائل المؤدية اليها من تفنن واختراع واكتشاف . يدفعهما ابتغاء التمتع الى ذلك تحامياً للملل والسآمة من الاستمرار على وتيرة واحدة . لذلك يقضي الانسان (نصفاه معاً) العمر في الطواف والبحث عن بدعة جديدة في الفنون الجميلة ، وفي كل ما يخدم الجمال ويبتدع الجميل ، أو بأصرح عبارة في كل ما يستنبط لذة ويبتدعها ، لأن اللذة هي التمتع بالجمال أو بالجميل . فكلما استنبط الانسان جميلاً جديداً أو لذة جديدة كان بانياً حجراً جديداً في بناء الرقي ومشيداً في صرح المدنية

ثم إن تمتع الانسان ، رجلاً وامرأة ، بالحياة الزوجية الطبيعية قصير الفترات وفتراته متباعدة . وبين هذه الفترات يبقى مشتهياً للتمتع . فينصرف الى التمتع الروحاني ، التمتع بكل ما هو جميل ، التمتع بلذات أخرى مختلفة تشبع شهوات حواسه وسائر جهازه العصبي ، حتى دماغه ، حتى عقله . فهو يتمتع بالمناظر الجميلة في الرياض والحدائق وسائر

مظاهر الطبيعة، ويتمتع بالموسيقى وبالتمثيل وبالمطالعة الخ الخ. فيمتع سمعه و بصره وشمه وذوقه ووجدانه بالوف صنوف الجمال اللذيذة. يتمتع بكل ذلك في غضون جمود الشهوة الجسمانية الطويلة، حتى في أثناء تنبه هذه الشهوة يبتغي التمتع معها باللذات الروحانية المذكورة آنفاً. فتمتعه الروحاني هذا أعظم وأوسع وأطول مدة من تمتعه الجسماني

لا يدَ له في تمتعه الجسماني لأنه يفعله بدافع الطبيعة أو النعرة الغريزية، فلا سبيل له الى الاستنباط والابداع في هذا التمتع، ولا يستطيع أن يزيد عليه شيئاً لأنه خارج عن مقدوره. ولهذا لا يشغل في حياته الاَّ فترات قصيرة. وأما التمتع الروحاني الذي أسهبنا في بيانه فيشغل معظم حياته. وهو من اختراعهِ واستنباطهِ، وفي مقدوره أن يزيد عليه الى ما شاء الله. ولهذا يشغل عمره في التفنن فيه وتطويره وترقيته

هكذا يستمر الرقي في المدنية؛ وفي اناقة الانسان وارتقاء عقله وحواسهِ وعواطفهِ، عن يد حياته الروحانية، لا عن يدِ حياتهِ الجسمانية. ولا شأن لحياتهِ الجسمانية الاَّ في استمرار النوع. وأما الترقي الى المثل الأعلى، الى الكمال، فمنوطة بتمتعه الروحاني الذي شغل كل وقته كما اتضح لك

بقي أن تعلم ماهية هذا التمتع الروحاني - التمتع بالجمال. هي الحب الروحاني. ولها الفصل التالي

***

ذلك بيان آخر ضاف لمعنى الزواج ولتقرير أهميتهِ وعظم شأنه في ذهنك. أفلا ترى أنه أعظم شأناً مما تصورت؟. وهل في الكون الأرضي أعظم شأناً من العامل الرئيسي الذي ينهض بالانسانية ويدفعها في سلم الرقي؟ وهل رأيت هذا العامل شيئاً آخر غير الزواج؟

هـ - ماهو الحب الروحاني

١ — الحب تفاعل الجمال بالنفسية

الحب هو القوة التي تتحرك بها روحانية الحياة. هو الشعلة التي تستنير بها الحياة الزوجية. هو الفة نصفي الانسان الزوجي أو نصفي جوهر الحياة المزدوج. هو احتدام

تأثير الجمال في العلاقة الزوجية . هو الشرارة التي تصدر من تفاعل قوة الجمال بالقوة النفعية

لا نتعرض هنا لتحليل معنى الحب فهو من شأن موضوع الحب الذي أمهيناه في كتاب الحب والزواج . فليراجع هناك . وانما نقتصر هنا على تفاعل المرأة والرجل به

حب المرأة هو تعبير شهوتها لاظهار قوة الجمال وتأثير روحانيتها في الرجل . وحب الرجل هو تعبير شهوتهِ للانفعال بقوة الجمال التي تصدر من لدن المرأة وتحريض هذه القوة فيها

وتبادل الحب بين الرجل والمرأة انما هو ادماج وظيفتها الجمالية (نسبة الى الجمال) بوظيفتهِ الكدحية - ادماج روحانيتها بماديتهِ لكي تستمر السلالة ويمكن أن تضاف حلقة الى حلقات الرقي

٢ — المحرضان لتقارب الرجل والمرأة

لتقارب الرجل والمرأة في دار الحب محركان أو محرضان : الواحد طبيعي والآخر روحاني ، كما صار معلوماً عندك . واستمرار العشرة والالفة الوداية ينشطهما . ولكنهما لا يمكن أن يكونا محركاً واحداً . أو صادرين من مصدر واحد ، بل هما مختلفا المصدر . فالطبيعي منهما بيولوجي ، مصدره غريزة ليست تحت سيطرة الانسان . والروحاني مصدره قوة الجمال التي في الانسان وهو الذي يستنبطه . فللمرأة قوة بث الجمال ، وللرجل قوة رد صداه لها .

فاذا تقارب الرجل والمرأة تلبية للمحرض الأول وحده فلا يكون تقاربهما رامزاً للحب الانساني . وانما اذا تقاربا تلبية للمحرض الثاني كان تقاربهما رامزاً لاسمى درجة من درجات الحب النقي . فدرجة الحب في النقاوة تتوقف على مقدار فعل كل من هذين العاملين ، أو بالاحرى على نسبة فعل الواحد الى الآخر .

أما فعل المحرض الطبيعي البيولوجي فيكاد يكون في درجة واحدة عند جميع الناس ، أي قلما يتفاوت الناس فيه حدّة . وأما المحرض الثاني فيتفاوت الناس فيه كثيراً . تتفاوت النساء في مقدار فاعلية قوة الجمال فيهن ، ويتفاوت الرجال في مقدار رد فعلها .

٣ — نقاوة الحب

بقدر ما يتغلب المحرض الروحاني على المحرض الطبيعي يكون الحب ساميا نقيا ؛ حتى اذا كان يتلاشى هذا المحرض أمام ذاك يكون الحب عذريا . والعكس بالعكس مع ذلك يتعذر ثبات الهوى العذري أمداً طويلاً لأنه يبتديء بتحريض المحرك الروحاني ، أي فعل قوة الجمال . وكلما تقارب الرجل والمرأة تحت تأثير قوة الجمال ، أي المحرك الروحاني تجاذبا تجاذباً طبيعياً ، وتيقظ المحرض الطبيعي الى أن ينتهي الهوى العذري ، ويتصل الهوى الروحاني بالهوى الشهواني

حب المرأة أقوى من حب الرجل ، لأن غايته أعظم من غاية هذا كما علمت ، وشكله روحاني اكثر من شكل حب الرجل . فهي تقدم الجمال للرجل وهو يتقبله ويرد صداه . والفاعل أقوى من المفعول ، أو المعطي أقوى من الآخذ

الحب يرفع المحبين من درك الماديات الى فضاء الروحيات

الحب يجتذب القرينين من مهام الماديات ليحبسهما في دائرة الروحانيات . فمتى اجتمع الرجل والمرأة انصرفت أفكارهما عن مشاغل الحياة المادية ، وانحصرت في عالم المدركات الجميلة . وما يحف بهما من مظاهر الجمال يحقق لهما وحدانيتهما وعدم تجزئتهما بحيث يشعران أنهما يريان بعين واحدة منظراً واحداً ، ويسمعان باذن واحدة صوتاً واحداً . حينئذ يفهمان أن الوصال ، لا التناسل ، هو الغرض الأولي الجوهري من اقترانهما . وكل ما يفضي الى اجتماع الرجل بالمرأة واقترانهما يستفز قوة الجمال التي في المرأة لتزداد نشاطاً ، كما أنه يستفز قوة الاحساس بالجمال في الرجل

وهناك ظن بأن حب الرجل شهواني أكثر مما هو روحاني . وهذا الظن اثم ، لأنه لو كان الأمر كذلك لما كان الرجل يعلق مرأة معينة ويلازمها ويتعرض للأخطار في بعض الأحوال للتوصل اليها ، بل كان يختصر السعي الى أي مرأة يظفر بها بسهولة

٤ — طهارة الحب الروحاني

ائتلاف الرجل والمرأة الذي يبتغى به التمتع الروحاني لا يمكن أن يؤذن لثالث أن يتدخل فيه . والقول الشائع أن الشخص الواحد لا يقدر أن يحب اثنين معاً في وقت

واحد، مع أن العمل التناسلي ممكن بين ثان وثالث كما هو ممكن بين اول وثان . فاذاً الحب الذي لا يمتنع فيه التخطي من واحد الى ثالث لا يعد روحانياً بل هو بهيمي . الحب الروحاني يستحيل فيه هذا التخطي . فتلازم الاثنين في الحب يؤكد لك ان الحب لا يرمي الى غرض التناسل بل الى التمتع الروحاني . وما التناسل الصادر في خلاله لا حادث عرضي

ومتى كانت المرأة تشعر ان تأثير قوة الجمال التي فيها على الرجل صائبة الغرض فلا تنفر من العلاقة التناسلية . ولكنها متى علمت أن الشهوة الطبيعية في الرجل متغلبة على انفعاله الروحاني بالجمال ، وصارت تشعر انها ليست الاّ عبدة لشهواته تنفر منه وتثور فعلاً أو ضمناً . والنساء اللواتي يطلبن اليوم الحرية والاستقلال انما هنّ يحاولن التملص من هذه العبودية . ويبتغين حرية التمتع بالحب الروحاني على قاعدة تأثير قوة الجمال التي فيهن على الرجال . فهنّ يرغبن في استهواء الرجال لروحانيتهن في تلبية شهواتهم. وما من مرأة صحيحة العقل وقوية الخلق تسلم بقهر قوة الجمال التي فيها كضحية أو فريسة لشهوة الرجل

٥ — الزواج سعيداً وتعساً

زد على ما تقدم برهانا قاطعاً على ان هدف الزواج روحاني لا شهواني هو ان الزواج التعس ليس الزواج الذي عجز عن التناسل ، بل هو الزواج الذي خلا من الحب فعجز عن التمتع الروحاني . ما من زواج غير سعيد حرم من البنين . فلو كان هدف الزواج السعيد التناسل فقط لكان معظم الزواجات بلا نسل لأنها غير موفقة

فالمراد بالزواج السعيد ليس الزواج الذي ينتج اولاداً ، بل الزواج الذي يتلاءم فيه الزوجان ويأتلفان في حب روحاني، ويتمتعان بصنوف الجمال التي تحف حول الحياة الزوجية . والزواج التعس هو ما ائتلفت فيه طاقة الزوجة على منع الجمال ، وطاقة الزوج على قبوله وتحريضه فيها ، فلم يتلاءما ولم يتوافقا ويأتلفا . ولكن هذا التنافر لا يحرمهما البنين

٦ — النعرة الشهوانية تعرض الحب للخطر

ومما يدلك على ان الزواج امر روحاني لا شهواني هو ان الرجل يكتم علاقته التناسلية مع المرأة ، بل يكتم أن بغيته هذه العلاقة ، مع انه لا يكتم حبه للمرأة ولا علاقته الروحانية بها . ولكنه يخجل لأقل تلميح الى علاقتهِ التناسلية بها ، كأن فيهِ غريزة غير واضحة لذهنه ترشده الى أن ظهور هذه النعرة الشهوانية فيه تعرض روحانية حبه للخطر — تنفرِ المرأة منه

٧ — استقلال قوة النفعية في الرجل

واذا كان الزواج تعساً لخلوه من الحب الروحاني المتبادل بسبب عدم التلاؤم بين الزوجين ، وجعل الرجل يتطلب حباً روحانياً وتمتعاً بالجمال خارج بيته ، فلا يمتنع البتة عن أن يعول أولاده ، بل يوجب على نفسه هذا الأمر . لأن وظيفة الذكورة الخاصة به (أي الانهماك بالاعمال والكدح كما علمت) لا تتحول عن واجباتها في العناية بالجيل القادم من السلالة ، أي انه يبقى قائماً بما تستلزمه علاقته لزوجتهِ الشرعية من الواجبات المحتومة بحكم الغريزة البيولوجية . ومعنى ذلك أن القوة النفعية في الرجل مستقلة عن قوة انفعاله بالجمال ، فيمكن كل منهما أن تقوم بوظيفتها حيث لا تكون الاخرى . ويمكن ان تعمل القوة النفعية عملها من غير مضايقة تلك لها

٨ — ضعف النزعة النسلية عند المرأة

أما المرأة فليست كذلك . فاذا خابت املاً في تأثير قوة الجمال التي فيها على زوجها فقد تودي بسعادتها وسعادة بنيها في زيغانها عن زوجها وانصرافها الى رجل آخر يقبل تأثير قوة جمالها . فمرأة كهذه لا تبتغي آباء لاولاد يمكن ان تلدهم في حالة زيغانها . وانما تبتغي حبيباً يرد صدى تأثير جمالها . فغريزة الحرص على النسل لاستمرار النوع ضعيفة عندها . والواقع ان النساء أقل من الرجال زيغاناً . لأن توق الرجل الى الجمال الذي تسديه اليه المرأة لانشاء غبطته أشد من توق المرأة الى ايجاد منفذ لتصريف قوة الجمال المقهورة أو المحبوسة فيها . فهو لا يطيق صبراً على الجوع الى الجمال ، وأما هي فتصبر

على انحباس قوة جمالها فيها . وقد تجد مصرفا لهذه القوه في حب بنيها أو آخرين من غير وصال

٩ — امانة المرأة

ولأن قوة الجمال في المرأة روحانية بحتة كما علمت فهي تصد النعرة التناسلية فيها وتحفظها في عهد الامانة الزوجية . ولذلك هي اكثر اخلاصا من الرجل . وكذلك روحانية قوه الجمال في المرأة تجعلها اكثر حشمة من الرجل . وقد يمكن أن يخضع الرجل لتأثير جمال مرأة في حين انه يقصد الى غيرها للغاية الطبيعية . وقد يمكن ان تتسامح المرأة معه في هذا الزيغان لانها تعلم انه لا يجد فيه ريًّا لظمئهِ . وهي تكتفي بتعريف قوة جمالها فيه . لهذا السبب لا يمكن ان يوجد تعدد حبيبات وتعدد محبين . ولهذا ايضاً تلاشى نظام تعدد الزوجات والازواج وفوضى الزواج

١٠ — تصورات الحب

متى كان الرجل عاشقا لا يتصور مرأته من الوجهة البيولوجية ، ولا يتعبد فيها اثويتها الطبيعية المادية ، بل يتعبد اثويتها الروحانية . فتكون له اقنوما اثيريا نقيا ملائكيا بلا عيب . والمرأة على العموم ترد صدى المغازلة والتصبي . وتود ان يكون عاشقها شديد الصبابة ورقيق العشرة إظهاراً لاعجابه بقوة الجمال فيها . وفي الوقت نفسه تريد ان يكون نشيطا في دار العمل ، ناجحاً في مساعيه لاجلها بل لأجل نفسه . لأن قوة الجمال في المرأة تكون شديدة الفاعلية والتأثير في نفس الرجل حين تكون وجهتها احياء النشاط فيه للعمل ، لا اخماد همته

فلذلك ترى ان الحب هو الموثق الذي تتوثق بهِ قوة الجمال في المرأة وقوة العمل المادي في الرجل . ولا يمكن ان تقوم قائمة للحياة الانسانية ، ولا أن تتصاعد في سلم الرقي الا باقتران هاتين القوتين وتوازنهما . فلو انفصلت هاتان القوتان ، أو استقلت احداهما عن الاخرى ، لانتفى التوازن بينهما ، وقد تتنازعان . وتغلُّب أي واحدة على الاخرى يودي بالانسانية الى الدمار

١١ — ضعف الحب لا يقلل النسل بل بالعكس

الرجل وهو مركز القوة النفعية المادية يأبى ان يعترف بما للمرأة من التأثير الروحاني الذي لا يستطيع ان يحوله الى تأثير نفعي. ففي حين ان المرأة تعتصم بجاذبيتها الروحانية يظهر الرجل كأنه يزعم ان الطبيعة اخترعته وسيلة لاكثار النسل. ولهذا يجتهد ان يستخرج من قوة المرأة الروحانية قوة نفعية، جاهلاً أو متجاهلا انه بابتغاء تكاثر النسل تقلُّ روحانية المرأة وتضعف جاذبيتها، كما نرى في الطبقات السفلى، حيث تضعف الاحوال الاجتماعية ولا سيما الاقتصادية قوة الجمال في النساء، وتقوى العلاقة الشهوانية بين الجنسين

١٢ — لا تتأنق المرأة لتعرض الغريزة التناسلية

يفسر الرجل غرام المرأة باللبس الانيق والتفنن بالأزياء بأنها تقصد الفات نظره اليها لكي تفتنه بجمالها وتحرض فيه غريزته الشهوانية. وسبب هذا الخطاء في التفسير أن الرجل لا يدرك أن للمرأة شخصيتين الواحدة روحانية (أي قوة الجمال) والاخرى بيولوجية أي ذات نعرة تناسلية، وكلتاهما (لا الثانية منها فقط) تقويان بالالفة الوداية. فغرام المرأة باللبس الانيق ليس لابداء شخصيتها البيولوجية البتة. لان هذه الشخصية بادية بحكم الطبيعة، والبهائم تفهمها بالغريزة. فلا داع اذاً لابداء البادي الظاهر. وانما هو للرمز عن شخصيتها الروحانية الخفية. فهي تتأنق لتشف اناقتها الظاهرة عن جمال داخلها. لذلك لا تقصد المرأة بالتبرج والتجمل اثارة نعرة الرجل التناسلية، ولا اثارة غيرة النظيرة المناظرة لها. بل تقصد أن يكون تبرجها مرآة روحانيتها

إن غرام المرأة باللبس والزينة والتبرج لهو رمز ارتقاء قوة الجمال الذي ابتدأ في النباتات، وتطرق الى الحيوانات، واتضح على الخصوص في الطيور، وبلغ القمة في المرأة التي أصبحت مركز هذه القوة. وابتغاء المرأة على الدوام تجديد الازياء والظهور كل يوم بمظهر جديد، حتى أنها تأنف أن تلبس الفستان مرتين متواليتين، انما هو رمز

لقوة الابداع — ابداع الجميل — تلك القوه التي لا تبدع البديع الواحد مرتين، بل تبدع كل مرة بديعاً جديداً .

١٣ — لماذا تلبس المرأة

المرأة تلبس لتعلن روحانيتها ولتسر عاشقها ، لا لتثير النعرة الطبيعية فيه . ومتى كانت تقرن الوصال بالجمال تكون أيضاً متذرّعة بالوصال الى تقوية تأثير الجمال ، لا متذرّعة بالجمال الى تحلية الوصال .

في الطور النفسي يلبس الرجل لكي يقي جسده ويدفأ . وأما المرأة فهذه البغية ثانوية عندها . وانما الغرض الأولي من اللبس عندها التأنق . ولهذا قد تعري صدرها وذراعيها حتى في حين البرد . فهي لا تلبس حسب مقتضى الطقس ، بل حسب مقتضى الفن الجميل ، ولا تعري أطرافها وصدرها لتغري شهوة الرجل ، بل لتتفنن في التبرّج ، وتزداد فاعلية جمالها . والاّ لكانت تستر كل بدنها تحامياً للنقد

١٤ — النعرة التناسلية تستغني عن تحريض الجمال

النعرة الشهوانية لا تحتاج كل هذا التأنق لتحريضها . قد يكون الحجاب اكثر تحريضاً لها . وما كانت هذه النعرة عند الاقوام الساذجين بأخمد منها عند المتبرجين المتأنقين . ربما كان تستر المرأة اكثر تحريضاً لنعرة الرجل ، لان الرجل يتوق الى سر الجمال المستتر تحت جلباب المرأة المتسترة ، ويقترب اليها في طلب تأثير هذا السر

١٥ — حشمة المرأة

الحشمة من جملة أساليب المرأة في تعظيم تأثير جمالها ، وترفيعه على النعرة الشهوانية ، وهي كمهد منها بالامانة في الحب .

المرأة اكثر امانة للرجل ، لا لأنها محتاجة الى حمايته كما يظن . فهي تستطيع أن تحمي نفسها وتستقل عنه اذا شاءت . وانما هي تبتغي رفيقاً مؤمناً بولائها محترماً لها لكي ترقي روحانيتهما معاً كقرينين متحدين .

١٦ — الحب الروحاني هو العامل في تطور المدنية

من كل ما تقدم ترى أن العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة تتفوق على العلاقة المادية . ولولا هذا التفوق لما كان الحب قد تطور وارتقى في الجنس البشري ، لان النعرة الشهوانية لا تنشيء حباً مستمراً بالمعنى الذي نفهمه الآن ، والذي شرحناه في كتاب الحب والزواج . ولو لم يرتق الحب بهذا السبب ، أي بسبب تفوق الروحانية على الشهوانية ، لما ارتقت المدنية ، ولكان مستقبل الانسانية غير ما نعرفه الآن .

ولو كان للتطور الانساني طريقة غير هذه الطريقة ، أي لو لم يكن الحب الراقي هو أساس تطور الانسانية ، بل لو كان لها أسلوب آخر للارتقاء لتفوّقت القوة النفعية في الانسانية على القوة الروحانية ، ولضعفت قوة الابداع فيها ، ولانهمك الانسان في المادة وأصبح اسيرها الذي لا يستطيع التحرر منها — لكان اذاً حيواناً أو حجراً .

ولو تحول تطور الانسانية منذ الآن — أي بعد ارتقائها الى ما هي عليه الآن — الى شكل آخر غير هذا الشكل وبعوامل أخرى غير عوامل اقتران الروحانية بالنفعية ، لما كانت الانسانية تعود الى دور الحيوانية كما يتبادر الى ذهنك بل كانت تقرض نفسها بنفسها وتضمحل من الوجود

و - الحب الحضاني

١ — لا تناقض بين الطبيعتين الحيوانية والانسانية

لا بد أن يكون قد تقرر في يقينك مما تقدم أن الحب الروحاني الذي يتفوّق بهِ الانسان على الحيوان وهو علة رقيهِ ليست غايته التناسل ، لان التناسل يحدث بدونهِ ، وقد يكون أغزر بدونه ، وانما غايتهُ احداث التطور الانساني ، والصعود بالانسانية في سلم ارتقائها الذي تعين الجمال شكلا له .

ولكن هذه الحقيقة التي ظهرت لك فيما تقدم ناصعة لا ينبغي أن توهمك أن هذا الحب الروحاني يقاوم عملية التناسل في النوع البشري ، ويعمل لملاشاتها كلما ارتقى درجة في سلم الرقي . لا . الانسان حيوان راق . أي أنهُ ذو طبيعتين : انسانية وحيوانية

فالطبيعة الانسانية مركز الحب الروحاني ، أي التمتع بالجمال ، والطبيعة الحيوانية مركز النعرة التناسلية . ولا تناقض بين المركزين ، والاّ لما اتحدا في شخصية واحدة بل بالعكس . فان الحب الروحاني يحرّض النعرة التناسلية ، وان لم يكن هذا التحريض غايةً لهُ ، لان النعرة التناسلية لا تحتاج الى مزيد تحريض ، فقد ورثت الطبيعة الحيوانية في عهد الانسانية حدّةً لهذه النعرة تكفل استمرار السلالة .

٢ — امتداد الحب الروحاني الى البنين

اذاً هل يقف الحب الروحاني عند غاية التمتع الوقتي بين الرجل والمرأة ؟ وهل يمكن أن يستمر الارتقاء الانساني في سبيله اذا كان هذا التمتع الوقتي منتهى غايته ؟

الجواب لا . لانه لو أقتصر هذا الحب الروحاني على التمتع الوقتي بين الرجل والمرأة فقط لانتهى بنهايتهما ، وانقضى من الحياة البشرية في جيل ، وارتدّ الانسان الى حيوانيتهِ السابقة . وهناك ينقرض ، لانه لا يبقى صالحاً لتنازع البقاء بعد أن لانت صلابته وفُمت خشونته في عهد مدنيتهِ

لا . لا يقف الحب الروحاني عند ذلك التمتع الوقتي بين الرجل والمرأة ، بل يمتد الى الاولاد لكي يستمر في السلالة ، وهذه ترثه كما ترث النعرة الشهوانية التناسلية . والا فكيف يمكن الارتقاء الانساني على قاعدة الجمال ؟

ورث الانسان من الحيوان عطف الام وحنوها . ولكن من اين جاء عطف الاب وحنوه ؟ وورث الانسان غريزة الحضانة القصيرة من الحيوان مقتصره على الانثى . ولكن من اين جاء طول مدتها ، واشتراك الرجل مع المرأة فيها ؟

٣ — طول مدة الحضانة وغايته

لا نتردد في الجواب على هذين السؤالين بأن عطف الاب وطول مدة الحضانة هما من نتائج الحب الروحاني ، والغرض منهما استمرار الرقي الانساني . فالمرأة تحب الاولاد حباً روحانياً فضلاً عن الحنو الغريزي . تحب الاولاد حباً روحانياً يكاد يتفوّق على حبها للرجل - لتعكس عنهم قوة الجمال التي فيها . والاولاد يعكسون لها هذه

القوة ، ويردون صداها اكثر مما يفعل الرجل . وما الجمال الملائكي الذي للاطفال إلا صدى جمال نفسية الأم

فالمرأة اذاً تربي جمال الطبيعة الانسانية في حضانة الطفولة كما تربي الطبيعة الجسمانية . فمنذ بدء الحياة الانسانية اي منذ نشوء الانسان شرعت المرأة تربي في الاولاد قوة الجمال التي ظفر بها الانسان وشرد عن الحيوان ، وكانت سلماً جديداً لارتقائه غير السلم الحيواني البيولوجي ، سلم الروحانية القائم على منكب الحيوانية . نعم منذ بدء الحياة الانسانية اضافت المرأة الى غريزة الحنو الوالدي الحب الروحاني . ومنذ ذلك البدء صارت مدة الحضانة تطول ، وكانت كلما طالت جيلا بعد جيل حولت الاجيال المستجدة من الوحشية الى الانسانيـة . فالانسان صار انساناً لأن المرأة قدرت ان تسيطر على الاولاد مدة طويلة يمكنها فيها ان تسبك الجيل العتيد وامزجته في قالب الجمال الروحاني . أجل في مدة الحضانة الطويلة تنمو أدمغة الاحداث وعقليتهم وهم تحت رعاية والديهم . وليس الدافع لهذه الرعاية الحنو الغريزي ، كما هو الامر في الحيوانات ، بل الدافع اليه الحب الروحاني : قوة الجمال في المرأة وانعكاسه عن الرجل

٤ — اشتراك الرجل مع المرأة في الحضانة

نعم ان الحضانة من خصائص المرأة - الأم - وانما يشترك بها الاب ايضاً فيما يختص بوظيفته . فالأم تربي في الاولاد الذوق العقلي وقوة الجمال ، وتمرنهم على رد صدى الجمال . والاب يعدهم للمستقبل ويمدهم باجهزة السعي والكدح . فالبنات يتدربن لمثل مقام امهن ، والصبيان يتدربون لمثل مقام ابيهم

على ان هنا ملاحظة قد لا تفوت القارىء اذا الفتنا نظره اليها ، وهي ان طول مدة الحضانة ، اي رعاية الاحداث وحمايتهم والعناية بهم ، قلما تزيد القوة النفعية فيهم ، بل بالعكس قد تضعفها ، لأن الرجال العصاميين يفتخرون بانهم « ابناء كفهم » أي انهم ربوا انفسهم ، إذ لم يتيسر لهم اهل يسعفونهم في مدة الحداثة ويربونهم ، وينفقون الاموال على تعليمهم وتثقيفهم وتسليحهم للجهاد في حرب الحياة ، بل قذفتهم الطبيعة الى الوجود ولا سند لهم ، فاعتمدوا « على باعهم وذراعهم » في مزاولة القوة النفعية فنجحوا

ليس معنى ذلك أن الذين يربيهم اهلهم لا ينجحون . وانما يراد به ان طول مدة الحضانة غير ضروري لتربية القوة النفعية في الاولاد وترويضها ، بل ربما اضرّ بهم ، لانهم قد يتعودون الاتكال ، وتضعف بهم قوة الاستقلال .

٥ — تأثير الحضانة في الرقي

والفرق الجوهري الذي بين من تتيسر لهم حضانة ورعاية وحماية طويلة والذين لا تتيسر لهم ، ان اولئك يكتسبون دماثة اكثر ، وذوقا عقليا ارقى ، وقوة فنية جميلة اقوى . ومن ذلك ترى ان طول الحضانة في المملكة الانسانية لم يكن لمعاونة الاحداث على التعيش وتدريبهم فيه ، بل لترويض قوى الجمال فيهم

ولو كان الانسان القديم يدرك سن البلوغ عاجلا - والارجح انه كان يبلغ عاجلا لولا ان تصده عن البلوغ العاجل معللات الام بتمتعات الجمال - لما كان في ظني مانع من نجاح الانسانية في القوة النفعية ، ولو ببطء . وانما ما كان ينتظر نجاحها في القوة الفنية الجميلة . لان سرعة البلوغ لا تمنح الام الوقت الكافي لترويض قوة الجمال في الاولاد كما لايخفى

فطول مدة الحضانة خولت الام القدرة على تقوية الفن الجميل في السلالة وترويض الصبيان على الانفعال بهذه القوة . فبفاعلية قوة الجمال في المرأة امتنع الرجل عن الانغماس في الاشغال والاعمال النفعية ، وعن تحوله مع الزمان الى آلة في يد الطبيعة

وهكذا : بقوة الجمال المضمرة أو الكامنة في الانسانية والتي كانت تحرضها المرأة لتظهرها في مدة الحضانة ، منذ بدء الانسانية ، تحول اجدادنا من اشباه وحوش ميالين الى الاندفاع في الكدح والعمل ، الى انسانيين راقي الذوق

٦ — تأثير الحضانة في الصبي

الصبي وهو ينمو الى أن يصير رجلا يمر تحت تأثير قوة أمه الجمالية . ثم يتجاوزها الى القوة النفعية . ولكنه في اثناء ذلك يكون قد تروّض ذوقه الجميل وصار عنده توق الى تأثيرات الجمال . فمتى شب يحرجه هذا التوق الذي اكتسبه في بدء حضانة الام

ان يسعى الى مرأة تمنحه ذلك التأثير وتكون له معها علاقة دائمة ، لأن التوق دائم

فاذا كان تأثير قوة الجمال في الأم شديد التأثير عليه ، فهو يسعى الى مرأة تشبه امه طبعاً واخلاقاً ، وان كان تأثيرها ضعيفاً سعى الى مرأة تختلف اخلاقاً عن امهِ . ومتى ادرك الغلام سن البلوغ تتلاشى نفوذ الأم وسلطانها عليه لأنه دائماً يبتغي احتفاء بالجمال أشد مما تستطيع الأم ان تهيئه له . ولا يخفى عليك سبب ان تأثير قوة الجمال بين الرفيقين الغريبين أشد منهُ بين القريبين . واذا تناظرت المؤثرات من هذا القبيل نشأت الغيرة . والأم أشد الغيورات غيرةً . فهي لا تتنازل عن إعمال قوة الجمال التي فيها بابنها ، أي عن حبها الروحاني لابنها ، وان هو انصرف الى مرأة غيرها فلكي يستمد منها حباً وانفعالاً . هذا هو سر الجفاء القديم بين الحماة والكنة

٧ً — تأثير الحضانة في البنت

أما البنت فأمرها من هذا القبيل يختلف عن أمر الصبي كل الاختلاف . والزواج لا يفرق بينها وبين امها ، إذ لا تناظر بين زوجها وبين امها من حيث عوامل قوة الجمال . فتأثير أمها يختلف عن تأثير زوجها . البنت لا تقع تحت فعل القوة الجمالية من زوجها ، بل تقع تحت تأثير قوته النفعية ، وتمنحه مقابل ذلك تأثير قوتها الجمالية . ولهذا يمكن ان تستمر المودة بين البنت والأم من غير ان تتحرك غيرة الزوج ، بل بالعكس قد تعظم المودة بين الزوج والحماة ، لأن تأثير قوة الجمال منها يقع على زوجته وعليهِ معاً . إذ تستمر العواطف المتبادلة بين الأم والبنت من بعد الزواج ، وليس ما يمنع ان تتجاوز الى الصهر ، وهو يرد صدى هذه العواطف لحماته من تأثيرات قوته النفعية والعاطفية ايضاً

والفتاة التي تستطيع ان تلقي على أبنها تأثيراً من قوة الجمال ، وان تنال منه صدى لتأثيرها ، تبتغي قريناً يكون مشابهاً لأبيها في الاخلاق على رجاء ان تستطيع ان تلقي عليهِ مثل هذا التأثير . وان صادفت من أبيها ما يصد ذلك التأثير ابتغت نوعاً آخر من الرجال غير نوع أبيها

فترى مما تقدم ان قوة الجمال التي ناطها سر الطبيعة بالمرأة تعمل في الطفلة والغلام

كأم ، ثم تعمل في الرجل كزوجة . فهي ترافق الفرد انثى فاعلة ، وذكراً منفعلا، منذ الطفولة الى الممات . وغرضها تهذيب القوة النفعية والصعود بالانسانية في سلم الرقي

ز - حاصل البحث

بعد هذا الاسهاب في بيان غاية الحياة القصوى لا بد من اجمال الكلام واستخراج زبدة وجيزة منه واضحة ، وبيان انها الاساس الراسخ الذي نبني عليه مباحثنا في الفصول التالية التي نرشد فيها الشبيبة الى السبيل القويم لغاية الحياة القصوى

فهمت مما تقدم ان الانسانية مدفوعة بقوة سرّ طبيعي منذ انبثاقها من الحيوانية للتصاعد في سلم الارتقاء بشكل جميل ينشىء اللذة في الجهاز العصبي ويبهج النفسية. وفي هذين الأمرين تمام السعادة . وهي مندفعة في هذه السلم ومتجهة الى المثل الأعلى (الكمال) في الجمال والسرور . وكلما ارتفعت درجة في هذه السلم ابتعد المثل الأعلى أيضاً وعظم شأناً . ولذلك هيهات أن تبلغ اليه . ولكنها مدفوعة اليه حتماً وجزاؤها على هذا الاندفاع السعادة والغبطة

+ ولما نشأت الانسانية وسارت في سبيلها مفترقة عن الحيوانية أخذت معها الغرائز الحيوانية حرصاً على التناسل ، وهي تولت عملية الجمال والبهجة النفسية في دار الحياة الروحانية . فالطبيعة الحيوانية تكفل استمرار السلالة . والطبيعة الانسانية تكفل تهذيبها وصقلها ، لتصلح للصعود في سلم الرقي الى المثل الأعلى

وكان سر الطبيعة البيولوجي قد شق الحي الفرد الى شقين ، هما الذكورة والانوثة ، بغية التنويع في اشكال الاحياء ، تأهباً لظهور الانسانية في قمة الحيوانية ، واندفاعها في سلم الرقي الى المثل الاعلى الروحاني . وكان ايضاً قد فصل هذين الشقين في الاحياء العالية وابقاهما نصفين لا بد من اندغامهما وعودتهما الى وحدتهما ، لكي يحصل التنويع الذين لا ذريعة سواه الى الارتقاء . لذلك جاء الزواج الانساني حسنة طبيعية حتمية يتحد به النصفان ليعودا واحداً ؛ وهو اهم حادث في حوادث الحياة ،

بل جميع حوادثها تدور حوله كمحور لها ، لانه هو الباب الوحيد الذين تلج فيه الانسانية الى سلم ارتقائها .

والزواج الانساني يزيد على التزاوج الحيواني بكونه حادثاً روحانياً ، ناهيك عن كونه حادثاً بهمياً تتهذب فيه السلالة وتتأنّق وتتجمل تذرعاً الى المثل الأعلى .

ولاصابة هذا الغرض ناط سرُّ الطبيعة بالرجل (احد النصفين) قوة النفعية (العمل والكدح والسعي الى الرزق) لضمانة استمرار السلالة في حياتها الحيوانية . وناط بالمرأة (النصف الآخر) ، قوة الجمال لضمانة تهذيب السلالة وتجميلها كما قلنا آنفاً . وجعل هاتين القوتين متلازمتين كتلازم النصفين في الواحد . وبغير اندماجهما لا يمكن ان تقوم للانسانية قائمة . ولا تستطيع الصعود في سلمها الى الكمال المطلق — المثل الأعلى

٢ فاذا كان الزواج هذه اهميته والرجل والمرأة هذه منزلتهما فيه (أي نصفان في واحد) وهذه وظيفتهما ، وهذا هو قدر تلازمهما شخصية ووظيفةً ، فكم هو جدير بالناشئة ان تجعل غاية الانسانية هذه نواةً لجميع مساعيها وافعالها واستعداداتها وتأهباتها ، لكي تنال نصيبها من بهجة النفس والتمتع بجمال الحياة الانسانية . وإلاَّ فاذا لم يتدرَّب افراد الناشئة في هذا السبيل ، الذي لا سبيل سواه الى السعادة ، تجري حياتهم شوطيها عبثاً من غير ان ينالوا قسطهم من الهناء والسعادة .٢

ومواضيع ابحاثنا في الفصول التالية هو ارشاد الناشئة الى اقوم السبل التي اختطتها الانسانية الى محجّة السعادة

وليعلم القارىء الكريم ان الأمم التي اندفعت عاجلة في سلم المدنية هي التي لبَّت (ولو من غير ان تفهم هذه الفلسفة) نداء قوة الجمال العالي الصوت في الانسانية ، ففسحت السبيل للمرأة لتقوم بوظيفتها في صقل الطبيعة الانسانية وتهذيبها وتجميلها . والأمم التي لا تزال متأخرة هي التي قيدت المرأة واستعبدتها وشلت يدها عن القيام بوظيفتها

لذلك ترى ان الأمم الراقية التي انطلق فيها سراح المرأة هي الامم الغنية بالجمال والاناقة ، وهي التي ارتقت فيها الفنون الجميلة أيَّ ارتقاء ، وتقدمت فيها العلوم وكانت

من جملة اسباب البهجة النفسية ، فضلاً عن انها تزيد القوة النفعية ، كما انها من نتائج ارتقاء الجمال ، وتقدم الفنون الجميلة مباشرة أو غير مباشرة

فعنايتنا بهذا البحث ليست خدمةً لمصلحة الأفراد الشخصية فقط ، بل هي خدمة لترقية الأمة ايضاً . لذلك نرجو ان يعنى القارىء بتمحيص المباحث التالية ، وان يقدرها حق قدرها . والله المتكل

الفصل الاول

الحياة التأهبية

الشوط الاول فى الحياة

أ - الثالوث الانساني

١ً — عناصر الذاتية الثلاثة
٢ً — شدة ارتباط العناصر الثلاثة
٣ً — اي العناصر اكثر مسئولية
٤ً — قيمة الجسد

ب - حياتك الجسمانية

١ً — الطعام
٢ً — التنفس
٣ً — النوم
٤ً — الرياضة البدنية
٥ً — النور والنظر
٦ً — النظافة
٧ً — البرد والرشح
٨ً — السمنة والهزال
٩ً — الضعف العصبي
١٠ — الطبيب
١١ — العقاقير المعلنة

ج - حياتك العقلية

١ً — المعرفة راس مال
٢ً — تقاسم الفتى والفتاة المعرفة
٣ً — مملكة المرأة
٤ً — معارف الفتاة
٥ً — المرأة عالمة وعاملة

د - حياتك الاقتصادية

١ً — العمل المستقل
٢ً — مركز المسترزق
٣ً — الاعتصام بالمسترزق
٤ً — السهر على المسترزق

٥ — الشهرة
٦ً — كسب الثقة
٧ً — الاقتصاد في المعيشة
٨ً — لطف المعاملة
٩ً — الاستخدام
١٠ً — القيام بالواجب
١١ — احترم نفسك
١٢ — لاتقبل غبناً
١٣ — لاتخدم سيء الخلق
١٤ — لا شيء من لا شيء
١٥ — المقامرة
١٦ — المضاربات
١٧ — اليانصيب
١٨ — التأمينات

نداء

أيها الشاب والشابة أنتَ (وأنتِ أيضاً) نصف حلقة في سلسلة الانسانية. ولا يمكن أن تنال قسطك من الغبطة والسعادة التي تسديهـا الانسانية لحلقاتها مالم تتحد بالنصف الآخر لكي تتم حلقتكما. والزواج الشرعي الذي قررته اجتماعية الانسان هو الكيفية الوحيدة لاتحاد النصفين في حلقـة. اذاً يجب أن تضع نصب عينيك هدف الزواج وترمي بكل مقاصـدك اليه الى أن تصيبه. والا فاذا لم تصبه كنت كعامل النحل الذي يشتغل لغيره، وكانت حياتك عبثاً، اذ لا يمكن أن تنتظم حلقة في سلك الانسانية، ولا يمكن أن تنال حظك من السعادة الحقيقية

علمت فيما تبسطنابه فى التمهيد السابق ان الزواج الشرعي هوالحادث الاهم فيحياة الفرد. وجميع الحوادث الاخرى في الحياة انما هي ثانوية وخادمة لهذا الحادث العظيم. لذلك يجب عليك أن تتأهب له تأهباً سديداً تاماً

يكون تأهبك لهذا الحادث الجليل سديداً بتقوية شخصيتك من الجهات التالية:

١ً — الجهة الجسمانية — الصحية
٢ً — الجهة العقلية
٣ً — الجهة الاقتصادية
٤ً — الجهة الاخلاقية - الادبية - الروحانية

وكل من هـذه الجهات يستلزم بحثاً خاصاً قائماً بذاته في فصـل مستقل. وهو ما فصلناه فيما يلي

١ - الثالوث الانساني

١ — عناصر الذاتية الثلاثة

ان ذاتيتك مؤلفة من ثلاث عناصر مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً لا بقاء لها بدونه ، وهي الروح ، والعقل ، والجسد . وحياتك الاجتماعية متوقفة على سلامة كل من هذه العناصر الثلاثة وصحتها . فاذا اعتلَّ اي واحد منها اعتل الآخران معه وشقيت الحياة برمتها

أما علل الروح وأمراضها فالمآثم والمعاصي وكل فساد أدبي . فتصور شخصاً اعتلت أخلاقه وفسدت آدابه وساء تصرفه مع سائر الناس ، فماذا يكون قسطه من النجاح وحظه من نعيم الحياة ؟ واذا سلم من أحكام القضاء وأنقذ من ظلمات السجون فلا يسلم من الوقوع فريسة لجناية شقي آخر فيه . وان سلم من هذه وهاتيك فقد يرتكب الجناية في نفسه . وان رأفت به الاقدار وأنجته من كل هذه فلا يمكن ان تنجيه من عقوبة ضميره له . ناهيك عن ان حياة المآثم والجرائم والموبقات تعل عقله وجسده أيضاً

وأما اعتلال العقل قليلا أو كثيراً فلا تجهل عواقبه على الحياة الانسانية. لا تجهل ما هي حياة الابله أو السخيف العقل . فهي لا تعلو عن درجة حياة الحيوان الاعجم كثيراً . ولا تجهل درجة حياة الجاهل الغبي وتجردها من العدة اللازمة للجهاد في ساحة الاسترزاق . وأنت تعلم نصيب الجاهل من حصص التمتع بملاذ الحياة ، ومن أقساط السعادة والهناء . وكذلك لا تجهل مصير المختل العقل أو المجنون الذي فقد رشده . فأحط الحيوانات أسعد حظاً منه

٢ — شدة ارتباط العناصر

أما الجسد الذي هو هيكل يقيم فيه العقل والروح فاعتلاله أسرع إشقاء للذاتية برمتها، وأشد تأثيراً في العنصرين الآخرين: الروح والعقل، حتى اذا أصيب الجسد بداء أليم صرخ العقل والروح من تأثير الألم . واذا أعضل الداء علَّ العقل . فقد يفضي

الى السرسام أو الهواجس والافكار الشريرة . وربما دفع بالعقل الى وهدة الجنون . وقد يمرمر النفس فتبتغي الانتحار . وأي ذكاء يبقى في حالة اضطراب العقل من آلام الجسد ؟ وأي معرفة تزكن في حين سقام الجسم وضناه ؟

فترى مما تقدم ان هذا الثالوث الانساني شديد الارتباط بعضه ببعض ، ولا استقلال لواحد منه على الآخر ، ولا مناص لاقنوم من هذه الثلاثة من معاونة الآخرين وعنايته بهما ، وحرصه على سلامة الثالوث كله . فاذا كان أحد الثلاثة ضعيفاً ضعف معه الآخران ، فكيف به اذا كان عليلا ؟ فلا بد أن يعتل به الاخران أيضاً ، وتسوء حال المجموع . ولا تضمن سلامة هذا الثالوث الا باستقواء كل أقنوم فيه وبالحرص على سلامته وصحته

٣ — اي العناصر اكثر مسؤولية

ترى أي هؤلاء الثلاثة اكثر مسؤولية من الآخرين في الحرص على سلامة الشخصية الانسانية ؟

لا ريب انه يتبادر الى ذهنك ان المسأولية ملقاة على العقل المفكر المستنتج أولاً ، ثم على الضمير الروحاني ثانياً . وربما تساويا في المسأولية ، وأما الجسد فيكاد يخلو من كل مسأولية . وبيان ذلك ان العقل قد أعطي قوة التمييز بين الجيد والردي ، والنافع والضار . والضمير أعطي سلطة الحكم في انتهاج الطريق . فهو يقرر السير في سُبُل الهدى والضلال . فالعقل هو المشير ، والضمير هو المقرر الحكم ، والجسد هو المنفّذ

ولا يخفى عليك ان الشهوات تصدر من الاقنوم الروحاني . فان لم يحسن العقل في حكمه على المشتهي نافعاً أو ضاراً يخطيء الضمير في تقرير الحكم . وكثيراً ما تتنازع الشهوة والعقل سلطة الضمير . فان تغلبت مشورة العقل جزم الضمير بقمع الشهوة . وان تغلبت الشهوة على العقل بما تزينه له من لذة شوهت مشورة العقل وضللت الضمير

فلذلك ترى ان مسأولية العقل في حياة الثالوث الانساني عظيمة جداً ، وتليها مسأولية الروح بالاهمية وفي بعض الأحوال تساويها ، وقد تفوقها في المسأولية

ولا يخفى أن الجسد سريع العطب وأشد تعرضاً للاعتلال والاختلال من العقل

والنفس . لانه هو القوة المحتكة مباشرة بالعوامل الخارجية . فكل علة تصيبه تكون بمجريرة العقل والنفس ، ولذلك هو يرد فعل عملهما لهما أخيراً . فان كان عملهما صالحاً ردَّ الفعل سعادة وهناء . وان كان طالحاً رده عناء وشقاء

قد يرتخي العقـل لدى شهوة الطعام مثلاً ، إما لجهله أو لتغلب الشهوة عليه . ويصدر الامر بالافراط بالاكل طمعاً بلذة الطعام . فيصدع الجهاز الهضمي بالأمر . ومتى عجز عن القيام بوظيفته من جراء إجهاده واعنائه ناء بثقل الحمل فيستغيث بالعقل والنفس ليخففا الثقل وتكون استغاثتـه آلاماً . ولكن لات حين شفاء ، لأن اللذة التي كانت تتوخاها الشهوة لم تتحول الى ألم الا بعد ان اعضل الداء وعزَّ الشفاء . فيكون انعكاس الفعل على الشهوة وقلقلة العقل بسبب آلام المعدة عقاباً لهما على تقصير هذا في المشورة ، وتقصير الضمير في الحكم

٤ً — قيمة الجسـد

فمن هذا التمثيل تفهم اولا انك جسد كما انك نفس وعقل ، وان لجسدك منزلة في كيانك لا تقل عن منزلة عقلك ونفسك ، وان عطب جسدك يعطب عقلك ونفسك ايضاً ، وان المسأول عن هذا العطب الممتد هو عقلك وضميرك . فلذلك يجب ان يعطي لجسدك قسطاً لا يقل عن قسط عقلك ونفسك من عنايتك

يولد الانسان على الغـالب سليم الجسم والعقل ، حتى ولو كان ابواه ضعيفين أو سقيمين (اللهم اذا كانا خاليين من الامراض الخبيثة التي تنتقل بالوراثة) . فاذا ساءت صحتـه الجسدية في الصغر فآلت الى اذية عقله ونفسهِ كان الذنب ذنب ابويه ، وهو ذنب عظيم لا يغتفر . وان ساءت صحته بعد بلوغه سن الادراك كان الذنب ذنبه ، ولا بد ان يعاقب عاجلاً أو آجلاً على ذنبه هذا بما يعانيه من آلام وشقاء

قلنا ان الانسان يولد سليم الجسم . وقد تقيَّض له تربيـة جسدية حسنة . فينمو قويَّ الجسد . ولـكن غرور النفس في الحداثة يضلل العقل عن واجب العناية بالصحة الجسدية . فلا يخطر في البال ان القوة الجسمانية محدودة ، وان صحة الجسد تتعرض للخطر

بالتفريط بهذه القوة . فما دام الفتى (أو الفتاة) يشعر بنشاط يسرف بالقوة . فتارة لا يبالي بتيار الهواء البارد ، ولا يفطن انه يعرض صدره لداء ذات الرئة أو للسل . وأخرى يفرط في الاكل ويغفل عن ان النهم مرة بعد مرة يفضي الى سوء الهضم . وطوراً يتمادى في شرب الخمرة وينسى عواقبها . وحيناً يتمادى في الجهاد في العمل العقلي أو الجسدي كأنه لا يدري ان نهاية الجهاد الوني لذلك يكون الاحداث اكثر جهداً من الكبار تفريطاً بصحتهم . ولهذا يجب ان يكون لهم من اهلهم ومربيهم ومدارسهم وذويهم نذراء دائمين . ونحن في هذا الكتاب نبذل الجهد في نصحهم وارشادهم ، وان كان المقام ضيقاً عن هذا . فنقدم لهم الارشادات التالية كاساس للعناية الصحية يبنون عليه ، ونتصح لهم ايضاً ان يطلبوا كتباً في علم الصحة العمومية وقواعدها ويطالعوها

وفي هذا المقام نتهز الفرصة لالفات انظار القائمين بثقافة الناشئة الى تقصير المدارس الابتدائية في تلقين الاحداث القدر الكافي من التعليمات والوصايا والقواعد الصحية . وهو تقصير عظيم يستحق ذووه اللوم والتقريع ، اجل يستحقونهما لانهم يستنفدون قوى التلامذة العقلية والجسدية ويستغرقون جهدها في تلقين معلومات كثيرة لا تعد اهميتها للحياة شيئاً بالنسبة الى أهمية المعلومات المختصة بالصحة

قد يخرج التلميذ من المدرسة الابتدائية حتى من الكلية وهو لا يعلم ما هو المكروب ، وكيف يحدث مرضاً ، وكيف ينقّي شره الخ . وفي هذه الاشارة كفاية لقوم يعقلون

ب — حياتك الجسمانية

١ — الطعام

اعلم ان المعدة بيت الداء . فهي العمل الاول الذي يقدم مواد القوة والنمو لكل الجسم . فاذا اختلّ نظامها وضعفت في اداء وظيفتها افتقر الجسم كله للنمو والقوة .

ولذلك يجب ان تعتني وترفق بها في تكليفها ما تهضمه . فان صبرت عليها احتملك برهة . واخيراً تضطر هي بدورها ان تجور عليك جوراً لا تطيقه - لذلك :

ابتعد عن الاطعمة الغليظة العسرة الهضم ،وعن المواد الحرّيفة الشديدة كالفليفلة الحمراء (الشطة) فهي سم زعاف . ولا تنبه الشهوة للطعام بالاشربة ونحوها . فما لك من الشهوة الطبيعية كافٍ، وهو ماتستطيع معدتك هضمه

امضغ الطعام جيداً . فان الهضم يبتدىء في الفم إذ يمتزج الطعام باللعاب بعد ان ينسحق جيداً . كثيراً ما تكون قلة المضغ علة العلل في المعدة وسائر انظمة الجسم حتى القلب ، وسبب النغصة مدة الحياة التي تقصر للسبب نفسهِ . فاعتبر قيمة المضغ جيداً

حافظ على مواعيد الطعام . ولا تفرط بالا كل . واذا كنت قويّ الشهية وكان الطعام مشهيّاً فاترك الأكل قبل ان تشبع . لا تبالغ في اخذ الطعام اللطيف الخفيف لئلا تضيق المصارين بسببه على مدى الزمان وتمنى بامساك مزمن . لا تأكل بين وجبة واخرى شيئاً . لا تنم بعد الاكل مباشرة لئلا توقف عمل الهضم فيختمر الطعام ويتعفن

حالما تشعر بامساك فاعلم ان الطعام قد تعفن لانه لم يهضم جيداً . فعليك بالمسهل حالاً كسلفات الصودا . ولا تأكل ما كل غليظة بعد المسهل . وحالما تشعر بامساك فعالجه في أول الأمر بالاكثار من أكل الخضرة المطبوخة والفاكهة . فان لم تنجح هذه الملينات فالجأ الى المساهل . ولا تسكت على الامساك المزمن . فان لم يزل بمسهل فشاور بشأنه الطبيب . ان الامساك المزمن يسبب تعفناً في الامعاء مستمراً . وهذا التعفن يفرز سموماً الى الجسم تقتل الخليات الحيوية تدريجاً وتحولها الى خليات موصلة Connective tissues وبهذا التحول يحدث تصلّب الشرايين المسمى سكليروسز ، وهو خطر واول اسباب الموت الفجائي

الافضل جداً ألاّ تشرب سوى الماء والقراح . وتحقق ان كان الماء الذي تشربه نقياً ، وإلا فرشحه من مرشح باستور أو نحوه ، أو اغله . لا تشرب في أثناء الأكل إلاّ قليلاً ليكيلا تخفّ فاعلية العصارة الهاضمة . لا بأس ان تشرب قدر ما تشاء بين طعام وطعام

الاسنان — ولا يخفى عليك ان للاسنان العمل الأول في الهضم لأنها تسحق الطعام . فان لم تسحقه جيداً تعذر الهضم . وقد تصاب الاسنان بامراض عفنة فتسبب امراضاً مختلفة في سائر الجسم ، أما عن طريق المعدة أو عن طريق التيار الدموي . وقد تستغرب حدوث امراض مواضعها بعيدة عن الاسنان ولكنها مسببة عن الاسنان كلها - فيمكن ان يحدث روماتزم بسبب وجود مكروب في جذر السن . فلذلك يجب ان تعنى جيداً باسنانك ، فتنظفها دائماً بمسحوق الاسنان بفرشاة . وبالمضمضة بمخفف محلول الفينول صوديك phenol sodique ، فهو مطهّر وقاتل للمكروبات ، ومانع رسوب الحامض الطرطيري على باطن الاسنان وجوانبها

حالما تحس بألم في الاسنان أو في اللثة فاسرع حالاً الى طبيب الاسنان لكي ترى ما السبب ويعالجهُ ، لئلاّ تكون فيهما عفونة قد تسبب خراجاً

٢ً — التنفس

اعلم ان الهواء وان كان بلا ثمن فانه ضروري للحياة كالطعام ، بل هو قسم من الغذاء . لذلك اجتهد ان تكون في غرفة نقية الهواء ، تهوّى كل حين بعد آخر . ومع ذلك اقضِ وقتاً أو أوقاتاً في الهواء الطلق النظيف

لا تلبس ثوباً ضيقاً يضغط على صدرك ، بل يجب ان يكون صدرك حراً في تصويبه وتصعيده لكي يبلغ الهواء الى اعماق الشعب الرئوية . لا تدع ساعديك يدليان الى صدرك بل الى جنبيك ، وكن دائماً منتصب القامة لئلا يتعرقل التنفس

الرياضة البدنية تساعد التنفس العميق الصحّي

لا تقفل جميع نوافذ الغرفة في الليل ، بل اترك فيها نافذة مفتوحة ولو بعض الفتح لكي يتجدد الهواء . افعل ذلك حتى في الشتاء البارد . ولكي تتقي البرد اجعل الغطاء كافياً

ان التنفس الصحي من أهم مقاومات السل الرئوي الذي يستفحل في عصرنا الحاضر لسوء تصرف الناس من هذا القبيل

٣ً — النوم

النوم هو الراحة القانونية بعد كل تعب وجهاد ولا سيما للجهاز العصبي والدماغ . ولذلك يجب ان يكون كافياً وتاماً . ان توارد الاحلام يدل على ان النوم غير حادث بحالة صحية . فيجب ان تبحث عن السبب وان تزيله

قد يكون سبب النوم القلقِ سوء الهضم . فاصلح الهضم . ولا تنم على أثر الاكل. يجب ان يكون بين العشاء والنوم ساعتان أو ثلاث على الأقل . لأنه في حالة النوم تكسل جميع اجهزة الجسم ومن جملتها الجهاز الهضمي، فتفسح فرصة لاختمار الطعام وتعفنهِ

وقد يكون السبب اضطراباً عقلياً أو عاطفياً . فعالجه بالتي هي احسن

وقد يخف النوم لهذه الاسباب الى حد الارق فعالج الارق بما تقدم . ويمكن ان يكون سبب الارق فقر دم أو وني عصبياً . فاستشر الطبيب

لا يحسن قط نوم اثنين في سرير واحد ، لأن الهواء المحيط بهما يفسد عاجلاً . واضعفهما يكون أقل حظاً من فائدة الهواء النقي .

حافظ على مواعيد النوم ما استطعت . ولا تسهر الى ما بعد العاشرة أو الحادية عشرة إلا نادراً لضرورة أو سهرة سارَّة لا تتكرر اكثر من مرة في الاسبوع

مدة النوم للاحداث ٨ ساعات أو ٩ على الأقل . وللمراهقين والشبان نحو ٨ ساعات وللكهول . ٦ و ٧ ساعات

لا تنم على فراش ناعم رخو جداً لئلاَّ يتقوَّس العمود الشركي ويبقى على التمادي منقوّساً . واعلم ان النوم على فراش رخو جداً يعطب الجهاز التناسلي

تعود ان تنام على جنبك الأيمن لكي لا يقع ضغط على القلب فيما لو نمت على الجنب الأيسر فيضعف عمل القلب

٤ً — الرياضة البدنية

الرياضة البدنيـة لازمة لكل شخص وانما تختلف عنفاً ولطفاً بحسب الاشخاص والسن

فالصغار لعبهم رياضة . وما توجبه المدارس منها على الطلبة كاف لهم . وكلما تقدم المرء في السن وجب ان يقل عنف رياضتهم

المشتغلون اشغالاً عقلية يحتاجون الى الرياضة لتحريك عضلاتهم وتمرينها . والذين يشتغلون اشغالاً تحرك اعضاءهم يحتاجون الى بعض الرياضة ايضاً لكي يبقى الجسم عادلاً والصدر واسعاً . لأن الاشغال البدنية حركتها ذات وتيرة واحدة ، فقد تكون سبباً في اعوجاج القامة أو احديداب الظهر . فلذلك يجب ان تتمرن على حركات تخالف حركة العمل

يجب ان تكون الرياضة محركة اكثر الاعضاء أو كلها . فالمشي وحده لا يكفي . بعض الالعاب كالتنس والكرة والسباحة الخ تجمع كل أنواع الرياضة تقريباً

يجب ان تكون الرياضة في الهواء الطلق وتحت أشعة الشمس لكي تأتي بالفائدة المطلوبة

٥ — النظافة

تتضح لك أهمية النظافة متى علمت أن النمو واستمرار الحياة الفردية انما هو هدم وبناء أو أخذ وعطاء ، أو بعبارة أوضح ان كل ما يدخل من المواد الغذائية الى جسمنا يتمثل فيه برهة قصيرة الى أن تنفد القوة التي فيه فينصرف ويأتي غيره فيحل محله وهكذا دواليك . فالطعام يدخل الى الجسم عن طريق الجهاز الهضمي ، وما ينتهي عمله منه يخرج في طريقين بأشكال كيماوية أخرى مع البول ومع العرق المفرز من الجلد ، وبعضه مع التنفس . وأما الغائط فما هو إلا فضلات الطعام بعد ما امتص الجسم ما امتصه منه للاغتذاء به

من ذلك ترى أن تنظيف الجلد لكي يسهل افراز بعض المواد التالفة من مسامه ضروري كضرورة ابقاء المجرى البولي سالكاً ، وكضرورة بقاء الرئتين متنفسة . لذلك يجب أن تعطي نظافة الجسم الخارجية الاهمية التي تعطيها للأكل والشرب والتنفس والتبول والتغوط . وهذا الأمر يستلزم أن تستحم مرة في الاسبوع على الاقل استحماماً

جيداً ، وأن تبدل ملابسك مرتين أو ثلاثاً في الاسبوع . وفي الصيف إذ يكثر العرق يحسن أن تمارس هذه النظافة كل يوم

وليست فائدة النظافة مقتصرة على ابقاء مسام الجلد مفتوحة بل فيها ايضاً وقاية للجسم من الامراض الجلدية ، ومعظمها فظيعة معذبة منغّصة للحياة

٦ً — النور والنظر

النور ضروري كالهواء فيجب أن يدخل الى الغرفة التي تشتغل فيها ، والغرفة التي تقيم فيها ، والمخدع الذي تنام فيه

يجب أن يكون النور كافياً لنظرك سواء في شغلك أو قراءتك أو كتابتك . والافضل أن يأتي من وراء جانبك بحيث لا تقع الأشعة على عينيك رأساً ، بل على الشيء الذي تنظر فيه أولاً

لا تجهد نظرك مدة طويلة لئلاً توهي أعصاب الجهاز البصري . كل برهة بعد أخرى ارفع نظرك عن عملك أو كتابك أو دفترك ، وأدره هنا وهنالك لكي لا تستمر بؤرة النظر على حالة واحدة

لا تقرأ الحروف الضئيلة وان كنت تراها بسهولة ، لأنها على التمادي تعطب البصر .

بعض الاحيان يكون الصداع نذيراً بتعب البصر ووني أعصاب العينين . فاستشر فيه طبيب العيون

إذا أشار عليك الطبيب البصري باستعمال النظارات فاستعملها بلا ابطاء لئلاً يشتد عطب عينيك . ان النظارة تصلح ما اختل في البصر

٧ً — البرد والرشح

لا تتعرض للبرد ولا تبالغ في اتقائه لئلاً تفقد المناعة ضده . اعتدل في التدفئة واللبس الدافىء . اذا كنت تشعر بالبرد دائماً فعالجه بالحركة البدنية اكثر من اللبس الثقيل

حالما تشعر بالرشح او بالتهاب اللوزتين خذ مسهلاً لأن معظم السبب يكون في تعفن المعدة وسوء الهضم . وتنشّق زيت اليوكالبتوس . وعالج الزكام بنشوق المنشول أو بمرهم المنشول في الأنف . واذا استعصى الرشح او تردد اليك كثيراً فلا تتردد في استشارة الطبيب

٨ — السمنة والهزال

السمنة المتجاوزة الحد ضارة كالهزال ونذيرة بعواقب سيئة . فحالما تصاب بها قلّل من الاكل ولا سيما الخبز والزبدة وكل مادة دهنية ، وكل الحبوب والحلويات واكثر من اكل الخضرة والفاكهة ، او اقتصر عليها . واعمد الى المشي والرياضة البدنية . فان لم تنجح فشاور الطبيب واتبع تعليماته . وحاذر ان تستعمل العقاقير التي يقال انها ضد السمنة لأنها افك وخداع

واذا شعرت بهزال فاعلم ان السبب خفيٌّ لا يكشفه الاَّ الطبيب . فالجأ اليه لكي يفحصك فحصاً مدققاً ويتولى علاجك ونصحك . اكثر من اكل الخبز والزبدة والبيض واللبن والحبوب

٩ — الضعف العصبي

اذا شعرت بتأثر عصبي متواتر فقلل من الاعمال والاحوال التي تهيج أعصابك ، والجأ الى الرياضة والامور السارة ، ولا تستسلم للوهم ، بل تشجع وابسم للزمان مهما كان شأنه معك . قلل من الاشغال العقلية وموّه على الغموم والهموم وانفها بالتي هي أحسن . ابتعد عن الخمور والتدخين وقلل من القهوة والشاي ، ثم شاور الطبيب

١٠ — الطبيب

الافضل ان تختار لك طبيباً خاصاً تستشيره كلما طرأ لك طارىء . ولا تتردد على الأطباء المختلفين ، لأن الطبيب الخاص يدرس بنيتك ومزاجك جيداً فيكون اكثر اصابة في تشخيص مرضك من الطبيب الذي لا يفحصك سوى مرة واحدة . واذا اعضل الأمر على طبيبك ورغبت في استشارة آخر فليكن ذلك بعلم طبيبك .

والافضل ان يشترك الاثنان في فحصك وتشخيص مرضك ، لأن طبيبك الخاص يعرف عنك ما لا يعرفه الطبيب الآخر

حالما تشعر بداعٍ لاستشارة الطبيب فلا تتردد ، ولا سيما اذا طرأ لك طارىء غير اعتيادي ، مهما تراءى لك بسيطاً غير مهم أو شاغل للبال : يكفيك ان يطمئنك الطبيب ان الامر بسيط . فهو لأجل هذا الاطمئنان يستحق اجراً كبيراً . وقد يكون الامر مهماً خلافاً لما تظن ، فتفوت الفرصة اذا لم تبادر الى الطبيب حالاً

١١ — العقاقير المعلنة

تجنب استعمال العقاقير التي تروج على الاعلانات ، فان معظمها كاذبة . وان كانت ذات فائدة فأنت لاتدري ان كانت موافقة لحالتك ، مهما كانت الاعراض التي تحس بها مطابقة لما تنص عليه الاعلانات ، لانك لست طبيباً لتعلم من ظواهر الاعراض ان الداء المشروح في الاعلان هو داؤك وان هذا الدواء علاجه . اكد ان ٩٩ بالمئة من هذه العقاقير المعلنة ضارة لا نافعة . وقد تكون خطرة في بعض الاحوال

وهنا نستغرب ان مصلحة الصحة تطلق الحبل على الغارب لهذه العقاقير الجاهزة من غير ان تفحصها وتعين فائدتها ان كانت ذات فائدة ، وتقرر ان كان يجوز استعمالها من غير اشارة طبيب ، وترشد الى ضررها في الأحوال الضارة . واذا كانت مصلحة الصحة لا تريد ان تتعب نفسها في هذا الفحص فالأفضل ان تمنعها بتاتاً لأن الاقرباذين الرسمية حاوية على كل علاج ممكن لكل داء . وما هذه العقاقير الجاهزة التي تطنطن بها الاعلانات الاَّ وسيلة ليستغل بها تدجيل الغرب تغفيل الشرق

هذا مجمل النصائح التي نقدمها للفتى والفتاة بل لكل شخص . ومن رام مزيداً من المعرفة فليلجأ الى كتب قواعد الصحة وهي كثيرة في المكاتب

ج - حياتك العقلية

١ — المعرفة رأس مال

لا يسعنا في هذا الكتاب ان نتبسط في تبيان ما عليك نحو حياتك العقلية . وانما بالاجمال نقول ان هذا العصر عصر العلم والمعرفة ، واهم العدد للجهاد في مضمار الحياة الآن هو المعرفة . فعديم المعرفة يكون في احط الطبقات الاجتماعية ، فيتعب كثيراً ويتمتع قليلاً جداً ، بل يكون كالحيوان يعمل الاعمال الشاقة وغيره يستغل عمله بقدر ما لك من المعارف يكون نجاحك . فكل ما تحرزه منها يكون كنزك ورأس مالك الذي لا يصيبه افلاس . فاغتنم فرصة الصبوة وايام المدرسة وتلقف من العلوم ما استطعت . ومتى تركت المدرسة فلا تترك المطالعة في كل فراغ من العمل وسائر الواجبات ، لانك بها تزداد علماً وتوسع دائرة اختباراتك الخارجية . طالع ما استطعت من المطبوعات الجديدة ولا سيما فيما يفيدك في دائرة عملك . وطالع الصحف الاخبارية لكي تكون عالماً بحوادث العالم وملماً بحركات المجتمع الانساني على العموم . وطالع المجلات لكي تلمّ بكل جديد من العلم والادب والاخلاق . فالمطالعة مدرسة دائمة ربما ضاعفت معارفك .

ان سعة المعرفة تساعدك كثيراً في اشغالك ومسترزقك وتجعل نجاحك اكثر مما تظن . ناهيك عن انها ترفع مقامك في معشرك وقومك وترقي منزلتك الاجتماعية وتزيد أخلاقك دماثة

مع ذلك لا ننصح لك أن تغرق في طلب العلم ، والعلم بحر واسع لا قرار له ولا حدود ، والعمر كله لا يكفي لتلقف جزء منه . فلا تضيّع شبابك كله في المدارس والكليات إلا اذا كنت مستنداً الى ثروة طائلة تغنيك عن جهاد طويل لأجل المستقبل السعيد

اذا لم تكن وافر الثروة ولا بد لك من التعجيل في الاستعداد للمستقبل ، فمتى تفرغ من دراسة المعارف الاولية التي لا بد منها لكل شخص تقريباً ، قرر لنفسك

الصناعة او الفن او الحرفة التي تميل اليها لتكون مستورزقك، واقصر تعلمك على المعارف والفنون والعلوم اللازمة لها . اختصر الطريق ما استطعت لأن الفروع العرفانية كثيرة ، واجل الاستعداد بالنسبة اليها قصير

لا تتردد في اختيار الحرفة او الفن كثيراً ،ولا تعدل اليوم عما قررته امس ، لئلاً تضيع ايام الشباب سدى

يجب ان توازن بين مقدرتك العقلية ومطمعك لئلاً تفشل . هب انك طمعت ان تكون طبيباً فتحقق نفسك هل تقدر ان تدرس هذا الفن وتتقنه ، والاّ فاطلب غيره . حاذر الغرور ، كما انك لا تكن ضعيف الثقة بنفسك

استشر ذويك واساتذتك وصحبك ثم عد الى صوت ضميرك

٢ — تقاسم الفتى والفتاة المعرفة حسب الوظيفة

فيما تقدم كانت الارشادات موجّهة الى الفتى خاصةً لأن استعداداته الاقتصادية والعرفانية مختلفة عن استعدادات الفتاة . فينبغي الآن ان نوجه الى الفتاة الارشادات الخاصة بها

وانما يختلف الفتى والفتاة في استعدادهما لاختلاف وظيفتيهما في الحياة الزوجية كما علمت في التمهيد ، ونعيد تبيانه هنا بعبارات اخرى

قلنا في التمهيد ما فحواه : ان المرأة هي مصدر الجمال او مركزه ، ووظيفتها ابداعه وصنع صوره واظهارها، والقاء اشعة هذه الصور الجميلة على نفس الرجل لكي تردها اليها. وكلاهما يتمتعان بهذا الجمال المتفاعل بينهما ، ووظيفة الرجل تجهيز المواد اللازمة لصور الجمال ، وامداد المرأة بالقوة للابداع والصنع

فللرجل المهن والحرف والمرافق التي يحصل بها الرزق لامداد حياة الزوجين بالقوة وكسب المال لاقتناء مواد الجمال . وللمرأة الفنون الجميلة لصوغ صور الجمال .

ولذلك يعمل الرجل خارج المنزل، والمرأة تعمل في داخله . فهو يأتي بالقوة من الخارج الى البيت، وهي تستعمل هذه القوة في ابراز جمال البيت. وهي والرجل يتمتعان به

الرجل يتكسّب المال ويقدمه للبيت ، والمرأة تستهلك هذا المال في تجميل

شخصيتها من كل قبيل : من صحة ونفس وزي وتبرج الخ ، لأنها مركز الجمال ومصدره وينبوعه ، ثم في تجميل الرجل نفسه ، ثم في تزيين المنزل وتحليته انافة وترتيباً ، وفي توفير وسائل الراحة فيه ، لكي يكون مبهجاً للنفس من كل قبيل ، ثم في تجميل الاولاد عقلياً وخلقياً وصحياً ومظهراً .

فكلما توافرت صور الجمال هذه التي تبتدعها المرأة وتجيدها تتعاظم بهجة الرجل ، وتنعكس بهجته عن مرآة نفسه الى المرأة سروراً ورضى وحباً وعطفاً الى غير ذلك مما تتمتع به نفسها ايضاً . وهكذا يشترك الاثنان في التمتع بالجمال الذي كدّ الرجل وكدح لاجل اقتناء مواده ، والذي اشتغلت المرأة بابداعهِ وصنعهِ من هذه المواد .

٣ — مملكة المرأة

اظن في هذا البيان ما يكفي لتحديد عمل المرأة ضمن المنزل بحكم الطبيعة ، ولتقرير ان المنزل مملكة العائلة وهي ملكتها ، ولها المقام الاسمى فيها والعمل الاشرف والألطف . فليس البيت سجناً لها اكثر مما يكون القصر الباذخ الجميل المحفوف بالحدائق الغنّاء سجناً للملك . فاذا تذمّرت من منصبها هذا وتوخت التنازل عنه لتباري الرجل في حرفهِ ومهنهِ ومرافقهِ كانت تجرد نفسها من قوة ابداع الجمال ، وتحوّل قواها لتحصيل مواد الجمال (الخام) الاولية . فهي تسترجل وتترك مكان التأنث خالياً . اذاً هي تكسر نظام القوة الروحية العاملة في تنسيق جمال الكون وتمزق القانون البيولوجي الذي فلق حلقة الحياة الى فلقتين ، وعين لكل فلقة خاصة وقوة ووظيفة . ان روح الحياة السرية قد حابت مع المرأة فخصتها بالعمل الأسمى والأشرف . فاذا كانت المرأة تتذمر من حصتها هذه كانت عقوقاً كَنُودًا (١)

ان عمل المرأة منحصر في البيت وهو عمل كبير عظيم جليل ، وكثيراً ما تنوء به اذا كان الرجل لا يعاونها فيه . فهي اذاً عظيمة القيمة كعظمة قيمة عملها .

فلا تزدري ايتها الفتاة مهمتك المنزلية . ولا تنخدعي بقول الاغبياء الذين

---

(١) لعل صيغة كنود صفة على وزن مفعول بمعنى الفاعل لم تسمع . فلا ارى ما يمنع صوغها على القياس بمعنى ناكر الجميل لان معنى اسم الصفة « الكُنُود » نكران الجميل

لا يفهمون سر الحيـاة ان عمل المرأة حقير ثانوي . ولا تحسبي ان انحصار عملك في المنزل قيد لحريتك . وهل مرأة اليوم اقل حريّة من الرجل ؟ تالله ان الرجل لمُستعبَدٌ لواجباته اكثر منها . انهُ يحسدها على حرية نفسها

٤ — معارف الفتاة

اما وقد عرفت ايتها الفتاة ما هي وظيفتك وما هو عملكِ فتعلمين ايضاً كيف يكون استعدادك للحياة الزوجية .

ان وظيفتك ابداع الجمال وصنعه ، فلك ان تعلمي كل ما يتيسر لك من الفنون الجميلة ، وكل ما يتيسر من العلوم التي تشاد على اساسها الفنون الجميلة .

لا بدَّ لك من تعلم جميع العلوم الابتدائيـة الاولية ، اذ لا ندحة منها في تلقي اي فن . فهي الأساس ، وكل مابعدها بنيان في هيكل الجمال

تتعلمين علم القواعد الصحية لان المحافظة على صحتك وصحة عائلتك ضرب من ضروب صنع الجمال . تتعلمين فن تدبير المنزل لان جمال المنزل مستمدٌّ من اصول هذا الفن .

تتعلمين اصول الطبخ وكيمياء الطبخ وادارة المطبخ ، لان ترتيب المائدة ولذة الطعام من ضروب الجمال . تتعلمين فن العناية بالطفل من كل قبيل ، لان جمال طفلك عقلاً وجسداً وروحاً يستمد من عنايتك به . تتعلمين الوشي والزخرفة والتطريز الخ لأن حسن الذوق في تزيين منزلك يُستَمد من معرفتك هذا الفن ، وان لم تضطري للشغل به . تتعلمين التصوير والرسم والنقش لكي تزيني بيتك بجمال فنك هذا ، ولكي تحسني اقتناء الاشياء الفنية وانتقاء الرسوم الجميلة لبيتك . تتعلمين الموسيقى والغناء لكي تفعمي بيتك طرباً سماوياً ، تطرد الحانه ضوضاء الغموم والهموم الجهنمية

لك ان تتلقي من هذه الفنون والعلوم كل ما تستطيعين ، وان تقدمي منها الالزم على اللازم والاهم على المهم . فمن الحمق والسخافة ان تعني بتعلم البيانو وتهملي فنون المطبخ ، وان تتعلمي ضروب الرقص وتغفلي فن العناية بالاطفال ، وان تشغفي بالتصوير وتتركي فن تدبير المنزل ، والا كنت كربان السفينة الأنيق المظهر ، ولكنه

جاهل فن الملاحة . فاعلمي ما امامك من الواجبات واستعدي لها ، وحاذري ان تغتري بقشور المعارف السطحية التي تتهيأين بها ، فتكوني عروسة معشوقة ، ولكنك لا تصيرين بعد ذلك زوجة محبوبة . ان الرطانة باللغة الاجنبية كالافرنسية مثلاً واجادة الرقص والعزف السقيم على البيانو الخ لا يجعل الفتاة مرأة صالحة تتبوأ عرش المملكة المنزلية . فاستعدي لان تكوني في حياتك الزوجية ملكة تعبد لا صنماً يُشاهد

٥ — المرأة عالمة وعاملة

قد يكون لك ميل لازكان العلوم العالية حتى الفلسفية . فلا بأس في أن تتلقني ما تشائين وتودين من العلوم اذا كان في وسع اهلك ان ينفقوا على تعليمك . وانما حاذري من ان تغرك المعرفة فتخرجك من منزلتك الانثوية ، ويصح فيك قول سليمان الحكيم « ان علمك وحكمتك قد فتناكِ » . احذَرك من هذه الفتنة وهذا الغرور ، لان غيرك من الفتيات قد منين بهما ، فكانا سبباً في قطع طريق الحياة عنهن وعقمهن في ابداع الجمال .

وقد تكونين في ظروف واحوال تنذرك باحتمال ان تضطري في حين من الاحيان ان تعولي نفسك حتى عائلتك ، كما لو بقيت عانساً ولا ملاذ لك ، او كما لو ترمّلت ولا تراث لك من زوجك . فلا بأس في هذه الحال ان تتلقني بعض العلوم التي تساعدك على الاسترزاق ، وان تتعلمي بعض الفنون للكسب . وانما اقتصري على الفنون والحرف النسوية التي تليق بالمرأة ، كالتعليم ، والموسيقى والخياطة النسوية الخ وتجنبي المهن التي تزجك بين الرجال تحايداً للتجربة وللاشتباه بالسمعة وللاتهام ولو زوراً بالآثام

هذا جل ما نرشدك اليه . وفي ما سواه تتدبرين . وعسى ان يكون لك في تربيتك ما يغنيك عن النصح والارشاد

د - حياتك الاقتصادية

قلما انت في حاجة لنسهب في بيان حياتك الاقتصادية ، وانت تعلم ان معظم الجهاد في الحياة هو في دائرة السعي الى الرزق. فحياتك المستقبلة حين تتم حلقتك ، وتصبح زوجاً ورب عائلة ، تستلزم ان توطد مركزك الاقتصادي لكي تقوم بواجبات الزوجية والعائلة

وهذا الموضوع لا نستطيع ان نسهب فيه لانه متفرع الى فروع شتى والمقام ضيق، وانت تعلم فروعه وطرق الاستعداد فيها .

ومع ذلك نقدم لك أهم قواعده الرئيسية فيما يلي : —

أ — العمل المستقل والاستعداد له

ان كنت تستطيع الاستقلال في مسترزق فالاستقلال خير من الاستخدام لأن الجهاد فيه واسع ، والنجاح فيه يكاد يكون غير محدود . وهو متوقف على ذكائك واستعدادك العرفاني ونشاطك وثقتك بنفسك ، واعتقادك بأن المستحيل يصير ممكناً والصعب سهلاً بالمواظبة والمثابرة على السعي في الطريق القويم . فلا يخفى عليك ان معظم الذين نجحوا في الاعمال واثروا الثراء العظيم كانوا مثلك ، ابتدأوا في صعود السلم من الدرجة السفلى

يجب ان تختطّ خطةً لعملك واضحة ، وان تدرسها جيداً ، وتلم بجميع ظروفها واحوالها ، وما يحف بها من المصاعب والمنازعات ، وثمّ تزن اهليتك في مقابلها لتعلم ان كانت معارفك كافية لها . فإن كان المسترزق الذي تتوخّاه فنياً كالطب أو المحاماة الخ فالدرس في كليّة يضمنه لك . وإلاّ فعليك ان تدرسه لنفسك وتمارسه مع سواك برهة ، كما لو شئت ان تتاجر بصنف من الاصناف فيجب ان تدرس سوق هذا الصنف ومصادره وموارده لكيلا يخيب ظنك

ولا يمكننا ان نسهب في ارشادك في هذا السبيل لأنه طويل متشعّب ولا قاعدة

له إلا الاختبار والتنبه للاحوال المحيطة بهِ . فاذا كنت ذكياً حاذقاً ساهراً يقظاً فلا تدفع ثمن الاختبار كثيراً

٢ — مركز المسترزق والثبات فيه

لا تؤسس مسترزق تجارة أو حرفة أو أي نوع كان إلاَّ في سوقه الرائجة التي يقصد اليها الجمهور . مثلاً لو كنت صائغاً فاجعل محلك في سوق الصاغة ، وإلاَّ فاذا كنت بعيداً عنها فلا يقصد اليك احدٌ مهما كنت مرضياً في المعاملة ، ولاسيما إذ لا شهرة لك في البداءة . أو اجعل محلك في المكان الذي يكثر فيه طُلاَّبه كما لو كنت بدَّالاً أو طبيباً الخ ، متى اسست مسترزقك في نقطة موافقة فقرر انك ستبقى في هذه النقطة مدة الحياة ، إلاَّ اذا طرأت طوارىء قاهرة أحرجتك لنقله . واذا لم تنل النجاح الذي تتوخاه سريعاً أو بعد صبر طويل فلا تلقِ اللوم على المكان فتنتقل الى مكان آخر ، لانك تضيع كل تعبك وصبرك فيما مضى سدى . وفي مكانك الجديد تبتدىء من أول درجة . ابحث عن اسباب عدم النجاح جيداً ، فان ثبت لك ان الذنب ذنب المكان فانتقل منه غير آسف كل الأسف ، لأنك تكون قد اكتسبت بعض الاختبار ، فتصلح في المستقبل اغلاطك الماضية والا فتدبَّر

٣ — الاعتصام بالمسترزق

كذلك متى قررت مسترزقك فقرر ايضاً انك لا تعدل عنه الى سواه ، ولا تملَّه اذا لم يوافك النجاح العاجل ، لأن التنقل من عمل الى آخر يضيع التعب والوقت سدى ، واعلم ان النجاح ممكن في كل الاعمال والحرف حتى الحقيرة . فالاسكاف يمكن ان يكون يوماً ما تاجر احذية كبيراً . والساعاتي الذي يصلح الساعات يمكن ان يصير يوماً تاجر ساعات كبيراً ، والبدال الصغير يمكن ان يصبح يوماً بدالاً كبيراً وافر الارباح . فالسر ليس في الحرفة أو المسترزق ، مهما كان نوعه ، بل في حذقهِ والبراعة فيه والمواظبة والثبات عليه

واعلم ان في كل مسترزق فرصاً تسنح وتمر . فاذا كنت يقظاً لها وتعرف كيف تغتنمها فلا بد ان تنجح . لذلك يجب ان تستفيد كثيراً من الاختبار وملاحظة الأمور

الخاصة بمسترزقك . يمكنك ان تستفيد كثيراً من عشرة الزملاء ومن معاملتك ومن مطالعة الجرائد ، ونحو ذلك مما لا يقع تحت حصر

٤ — السهر على المسترزق

لا تعتمد في ادارة اشغالك على اعوانك المستخدمين عندك ، لأنه « ما حكّ جلدك غير ظفرك » . بل يجب ان تدير عملك بنفسك ، وان تسهر عليهِ وتراقب كل صغيرة وكل كبيرة فيهِ . والعمل الذي يترك بين أيدي المستخدمين والعمال يتقهقر عاجلاً ويضمحل . فلا تلهُ بالملاهي والأمور التافهة أو الغريبة عن عملك ، لأنك تضيع وقتك وقواك سدى . يجب ان تحصر كل قواك وافكارك في عملك

٥ — الشهرة

الشهرة شرط اساسي من شروط النجاح ، فيجب ان تسعى اليها لأنها علة الاقبال عليك . يمكنك ان تحصل على الشهرة اولاً باتقانك عملك جيداً ، فان الاتقان خير اعلان ناطق في أفواه الزبائن والمعاملين الذي يعجبون بهِ ويرغبون فيه

وفي كثير من الاحوال تفيد الاعلانات في الجرائد وغيرها ، اللهم اذا كان العمل أو الشيء المعلن عنه متقناً جداً . فان الاعلان يعجل الشهرة

ومتى حصلت على الشهرة الصادقة انقادت اليك الفرص ، وسعى اليك النجاح بقليل عناء . لا تدري متى يوافيك من يحتاج الى القدر الكبير من عملك فيغنيك

٦ — كسب الثقة

صدق المعاملة شرط اساسي عظيم للنجاح ، لأن الناس يقبلون على من يستطيعون ان يستأمنوه ، ويعرضون عمن يعتقدون ان معاملته خطرة أو مخاطرة .

صدق المعاملة يكون بوفاء الوعد وبالمحافظة على الميعاد ، وبالامانة أو عدم الغش والخداع وشرف الكلمة وعزة النفس

لا شيء يهدم العمل ويحول دون النجاح مثل الخيانة والكذب والتزوير والمخادعة . ان من يعتمد على هذه الرذائل في نجاحه ، مهما نجح في أول الأمر ، لا بد

ان يسقط من سماء نجاحه . وان لم ينته أمره في السجون فلا بد ان يكون نصيبه الفشل في كل عمل اذ انه يفقد الثقة . والثقة هي روح كل مسترزق. فاذا ذهبت الروح انحل الجسم . الثقة هي رأس المال الأول الذي يبقى في مأمن من الافلاس . وكثيرون من الناس نجحوا نجاحاً باهراً برأس المال هذا وحده . كانوا بلا مال فاصبحوا متمولين

٧ — الاقتصاد في المعيشة

من شروط النجاح ايضاً الاقتصاد في المعيشة، وتجنب الاسراف الذي لا يسمح به مورد المسترزق . والقاعدة الذهبية في هذا الأمر هي « ان يكون الخرج أقل من الدخل». ومهما زاد الدخل فلا يجوز ان يكون مبرّراً للاسراف ، بل يجب ان يقوّى به المسترزق .

لا ترفع درجة معيشتك إلا بعد ان تستوثق ان زيادة النفقة المنزلية لا تؤثر في نجاح المسترزق . لا تغتر بالنجاح المفاجيء فتسرف بلا حساب ، لأن هذا النجاح قد يكون وقتياً. فاحسب حساب الكساد أو انقلاب الظروف، وادّخر لليوم العصيب. النجاح المضمون هو النجاح المطّرد السائر على قاعدة المعقول . وأما الطفرة فغرارة. والاعتماد عليها خطر قد يفضي الى السقوط

٨ — لطف المعاملة

لطف المعاملة ايضاً شرط جوهري . يجب ان تدع جميع معامليك مسرورين راضين ، حتى ولو كنت مغبوناً معهم احياناً . وكل معامل تجافيه أو تخاشنه تخسره. وقد يمكن ان يكون ذات يوم سبباً لمغنم كبير لك . والعكس بالعكس

إرفق بالضعيف والمسكين ولو خسرت معهُ ، فلا يضيع معروف ، ولا ينسى من قائمة الثواب إحسان

كن حليماً بشوشاً ودوداً محبوباً فتكسب من جرّاء هذه الفضائل اكثر مما تظن

٩ — الاستخدام

ذلك اذا امكنك ان تكون مستقلاً في عملك معتمداً على ذكائك وجهادك .

وانما اذا كنت مما يرتاحون الى الاتكال على الاستخدام وينهيبون الاستقلال. فلا تجازف في أي مشروع استقلالي، بل استعد الاستعداد الكافي قبل ان تطرق ابواب الوظائف، والافضل ان توجه خطتك الى الدوائر والمصالح التي يتسع فيها سبيل الترقي، لئلاّ يذهب وقتك وجهدك عبثاً

ومهما كانت وظيفتك فيترتب عليك بعض الواجبات أو الشروط الرئيسية لضمان نجاحك وارتقائك في الوظائف أو المناصب

١٠ — القيام بالواجب

فأولاً اجتهد في اتقان عملك وانجازه على أتم وافضل حال، لا لكي ترضي رئيسك أو صاحب العمل، ولا لكي تحصل على مكافأة أو زيادة ماهية. فقد يكون رئيسك أو صاحب العمل ممن لا يقدرون الشيء حق قدره، أو ممن تتغلب اغراضهم واهواؤهم على الحق والعدل. وانما اعمل انت فوق الواجب عليك، ١ً - لكي يكون الاتقان والانجاز عادة فيك - ٢ً - لكيلا يكون لمستخدمك أو رئيسك حجة عليك يستخدمها ضدك لهضم حقوقك - ٣ً - لكي تحصل على شهادة صادقة من صاحب العمل أوالرئيس على اهليتك واستحقاقك، وانت لا تستغني عن هذه الشهادة فيما لو اضطررت ان تنتقل الى دائرة أو مصلحة أخرى

ثانياً — لكي تحافظ على كرامة نفسك لدى رئيسك كن دائماً عزيز النفس. واحترم رئيسك بقدر ما تستوجبه منزلته لا اكثر ولا أقل. ولا بد لك من الحرص على كرامة النفس لئلاّ تهضم حقوقك، إذ لا يعطيك الناس من حقوقك إلا بقدر ما لك من عزة النفس والانفة والشمم في طلبها، وبقدر ما لك من كرامة المنزلة. فان فرّطت بكرامة نفسك بكثير فرطتَ بحقوقك

ان حرصك على كرامة منزلتك يستوجب ان تقوم بواجباتك حق قيام بكل أمانة واخلاص، وان تكون محافظاً على أسرار المصلحة التي تخدم فيها كأنها مصلحتك

١١ً — لا تقبل غبناً

ثالثاً — اذا شعرت انك مغبونٌ في وظيفتك بحيث لم تحصل على الأجر المكافىء

لعملك ، فلك أن تطالب بما تستحق من الاجر بالاسلوب السلمي . فان لم تُنصَف حق لك التراضي مع صاحب العمل على الانتقال من عنده الى سواه . واذا رأيت ان المصلحة التي تخدمها لا تستطيع أن تكافئك على عملك فلا تحرج صاحبها ، كما انك لا تستسلم له . يكفي أن تنتقل من عنده الى سواه بطريقة سلمية من غير أن تؤذي مصلحته بتركك إياه ، أي يجب أن تساعده في تدبير أمره بحيث لا تتضرر مصلحته

١٣ — لا تخدم سيء الاخلاق

رابعاً — اذا كان رئيسك أو مستخدمك ممن لا يحسنون معاملة مرؤوسيهم فلا تحتمله لئلا تهان ، بل اتركه بالتي هي أحسن ، والا خسرت مكانتك وقوة أخلاقك أيضاً . واذا كان رئيسك أو صاحب العمل الذي تخدمه ضعيف الاخلاق لا يستحق الاحترام فخير أن لا تخدمه ولا تطمع بالحرية التي تشعر بها عنده بسبب ضعف نفسه وحقارته ، لان عشرته تفقدك كثيراً من عزة نفسك وأخلاقك وأنت لا تدري . وكذلك ابتعد عن صاحب العمل اذا كان يبتغي ان يكتسب بطرق دنيئة

خامساً — بالاجمال حافظ على سمعتك واجعل علائقك مع جميع من تشتغل معهم حسنة سلمية ، لكيلا تقوم العراقيل في سبيل استرزاقك وارتقائك

اعلم ان مركز الموظف والمستخدم محفوف كثيراً بالمصاعب والمتاعب والعراقيل ، لا بحق ، بل بسبب ان القوي طمعاً بالضعيف قلما يتنازل عنه . فأنت مضطر الى الاحتمال وطول البال اذا كنت لا غنى لك عن الاتكال

١٤ — لا شيء من لا شيء

وسواء كنت مستقلا أو مستخدماً فقد تكون من صنف الناس الولوعين بكسب المال الوافر بأي الطرق . ولذلك قد تحدثك نفسك ان تلجأ الى الطرق غير الاقتصادية ، وقد تهوس بها الى حد الجنون . فبدلا من أن تثري يغلب أن تضيع ما عندك من ثروة أو مُدَّخر ، ويذهب جهادك ووقتك سدى .

أشيع هذه الطرق : القمار ، والمضاربات ، وأوراق النصيب . والتوسل بها الى

الكسب لا يتمشى على القواعد الاقتصادية، لانها ليست مشروعات منتجة. أي لايحصل المشتغل فيها على ربح جزاء عمل ، بل هو يتوقع أن يحوّل قدراً كبيراً أو صغيراً من انتاج غيره الى نفسه مجاناً ، وبعبارة أخرى يحاول أن يحصل على شيء من لا شيء . ولما كان هذا مستحيلاً كأن الشيء الذي يحصله من شيء غيره لا من نتيجة عمله، اي انه يجتني تعب غيره . فلذلك لا يعد الكسب من طريق القمار والمضاربات والنصيب اقتصادياً ولا قانونياً ولا حلالا . ولذلك حرمت الامم الراقية جميع هذه، أو بعضها أو ضيّقت على دوائرها

١٥ — المقامرة

أما المقامرة وجميع أنواع المراهنات على اختلافها فظاهر أنها ليست عملا مُنتجاً البتة ، بل بالعكس هي عمل مستنفد للقوى ومضيّع للوقت بلا جدوى

الزارع يتعب في زراعته لكي يستغل غلة من الأرض جزاء تعبه فيقدمها للجمهور بدل ثمن ، والبنّاء يتعب في البناء لكي يوجد بيتاً لم يكن موجوداً، فيسكنه آخرون ويتقاضى منهم أجرة توازي تعبه . والنجار يتعب في صنع خزانة فينال خزانة أو ثمن خزانة جزاء تعبه . ولكن المقامر أو المراهن ماذا فعل ؟ وماذا قدم للجمهور لكي ينال جزاء عمله ؟ — لا شيء

المقامر أوالمراهن يحاول،اما بذكائه في اللعب أو باحتياله أو بحسن بخته، ان يحصل على مال في حوزة خصمه ، وخصمه يحاول مثله . وكلاهما يتنازعان مافي حوزتهما من مال يوماً بعد يوم. والمال يتردد بينهما تبعاً لحظهما، فلا يزيد، بل ينقص بما يستنفدان منه نفقة واسرافاً. فكأن القمار غربلة مستمرة يتساقط مافي الغربال الى أن لا يبقى منه شيء

وما كان الاثراء أو المكسب الوفر في حين من الاحيان ممكناً من جراء القمار . وليس في التاريخ شاهد واحد على ذلك ، بل كل الشواهد على عكسه . فما نزل أحد الى ميدان القمار الا أطار فيها كل ثروته كالدخان . ويغلب أنه لا يخرج من الميدان الا قتيلا

يستحيل أن يجمع المقامر ثروة من المراهنة والمقامرة، لسبب طبعي، وهو ان الحظوظ

موزعة على الناس بالتساوي تقريباً ، ومترددة فيما بينهم بالتبادل . فيوم كسب ويوم خسارة . وعادة المقامر ان خسر أصر على اللعب طامعاً باسترداد الخسارة ، وان كسب رغب في المزيد . فمهما كان حظه في اللعب سعيداً يتناقص ما معه من المال رويداً الى أن يضمحل . وقد توافيه سلسلة من الخسائر تتركه على الحضيض لا يملك شروى نقير .

فلذلك ننصح لك ان تبتعد بتاتاً عن القمار ولا تلعب ولو من قبيل التسلية ، لان اللعب عادة كعادة الشرب والحشيش والمورفين والكوكايين الخ . فاذا تساهلت قليلا واسترسلت في اللعب أصبح القمار عادة فيك ، فلا يسعك أن تقلع عنه ، فيلهيك عن مسترزقك . ولا يمكنك أن تعتمد عليه كمسترزق . بل فيه كل الخطر على ثروتك وسمعتك وأخلاقك وآدابك ، وقد يمتد الخطر الى حياتك أيضاً . ولعله غير خاف عليك نوع حياة المقامرين وسيرتهم وسمعتهم وفساد أخلاقهم وما هو مصيرهم

١٦ — المضاربات

أما المضاربات في البورصة فظاهرها متاجرة أو مرابحة ، وحقيقتها مقامرة ومغامرة . ليست تجارة لان التجارة شبه عمل انتاجي . والتاجر واسطة بين المنتج والمستهلك . ولا بد من هذه الواسطة في سوق المعاملات المشتبكة ، ولا سيما لان المنتج ليس الى جنب المستهلك . ولكنها ، أي المضاربات مقامرة ، لان المضارب ليس وسيطاً بين المنتج والمستهلك بل هو يراهن مضاربا آخر على صعود السعر ونزوله . فيتعاقدان على ثمن قطن مثلا ، وعلى التسليم والاستلام في ميعاد يعينانه ، ولكن ليس عند البائع قطناً ولا الشاري تاجر قطن أو صاحب مصنع . وانما في الميعاد يدفع أحدهما للآخر فرق السعر حسب الاتفاق . فلا فرق بين المضاربة والمقامرة بتاتاً . والكسب أو الخسارة فيها معلقان بناصية القدر . ولا شأن للذكاء والمعرفة فيهما لان المستقبل لله

والمضارب الصغير اكثر تعرضاً للخسارة من المضارب الكبير . وخسارته تكون في الغالب قاضية على ثروته . وربما كان المضارب الكبير ، أي ذو المال الوفر ، اكثر حظاً لان له في بعض الاحيان تأثيراً على السوق وحيلة للتلاعب . ومع ذلك يحتمل

كثيراً أن يهوي الى الحضيض . فلذلك نحذرك من المضاربة كما حذرناك من القمار لان النتيجة واحدة ، وربما كانت نتيجة المضاربة أشأم وأتعس

١٨ — اليانصيب

بقي أمر « أوراق النصيب » وهي محض بخت. ولكن نسبة الربح فيها ضعيفة جداً جداً كنسبة عدد الارقام الرابحة الى مجموع الاوراق كلها. فانظر كم يجب أن تشتري من الاوراق لكي ترجح ربح ورقة . فاذا اشتغلت مدة بأوراق النصيب وعملت حسابك وجدت ان ما ربحته لا يساوي ما أنفقته ، مهما كنت موفقاً ، والغالب ان هذا يزيد على ذاك

والاسترسال بشراء أوراق النصيب هوَسٌ أردأ من عادة القمار وسائر العادات الضارة . فاذا ربحت مرة تهافتَّ على شراء الاوراق بقيمة كل ما ربحته

وليس في النصيب عمل منتجٌ البتة كما هو معلوم ، وانما يتوقف فيه ربح الواحد على خسارة ألوف . والغالب ان قسماً من المال المجموع من ثمن الاوراق يذهب الى اصحاب النصيب ونفقاته المختلفة . فاذاً عملية النصيب مبدّدةٌ للاموال من غير انتاج البتة، فهي اذاً عملية شيطانية خبيثة غير شريفة. ولذلك تستقبح الالتجاء الى هذه العملية في جمع المال للاحسان والاعمال الخيرية . لأن هذا القصد الخيري يستند الى حيلة دنيئة تشابه اللصوصية . والغالب ان الذين يديرون النصيب الخيري هم من المتمولين الكبار . ولكن الذين يقعون في احبولتهِ هم من عامة الناس المساكين . فكأن الكبار يحتالون على الصغار لابتزاز عرق جبينهم بدعوى السعي للاحسان . مع انه في وسع هؤلاء الكبار ان يقوموا بمنحة الاحسان ، ومن غير ان تتأثر ثرواتهم الطائلة ، ومن غير ان يضربوا هذه الضربة الشيطانية على المساكين

وحاصل النصح : تجنب التكسب من وراء الأعمال غير المنتجة . أولاً ، لأن الكسب منها غير شريف اذ يشبه السرقة أو الاختلاس . وثانياً ، لأنها عادة غرارة تطمع بالربح ، ولكن مآلها خسارة المال والسمعة والاخلاق

وربما الحق بهذه الاعمال غير المنتجة مشروع التأمينات، كالتأمين على الحياة وضمانة الحريق ونحوهما . ولكنها ليست مقامرة ولا مراهنة ، ولا اتكال على نصيب، وانما هي شبه عمل تعاوني .فاذا أصيب احد بنكبة حريق، أو عائلة بموت عميدها، وكان المصاب « مؤمِّنًا » كان سائر زملائهِ المؤمِّنين كأعوان يعوضون الخسارة لقاء اشتراكه معهم في ايداع اقساط الأموال . واصحاب شركة الضمانة يجنون ارباحهم من تثمير الأموال المودعة

فاذا كنت لا ثقة لك بنفسك في ادخار المال ولو قليله الى اليوم الأسود فخير لك ان تؤمّن على حياتك، ولاسيما لأنك ستكون رب عائلة مسألاً عن مستقبلها . فبهذه الوسيلة تضمن مستقبلها ولو بعض الضمانة، فيما لو لا سمح الله تركتها الى العالم الثاني قبل نضوجها . واذا أطال الله الأجل الى ان تنتهي مدة التأمين كانت لك ذخيرة في أيام الكبر حين تعظم المسألية ويثقل حمل العائلة

وأما اذا كنت اهلاً لتثمير مالك بالاساليب المأمونة من الخسارة فليس ضرورياً ان تؤمّن على حياتك . وأما التأمين على منزلك ومتجرك ضد الحريق فلا بأس فيهِ ، بل هو ضروري . فتدبّر

الفصل الثانى

الحياة الروحانية

العفة . وويلات الدعارة

أ - العفة

١ — الطبيعة الحيوانية عدوة الطهارة
٢ — نعمة الغريزة التناسلية المقيدة
٣ — المغويات الدنسة
٤ — عشير السوء
٥ — اخجل من نفسك

ب - السيلان

١ — الامراض السرية
٢ — فظاعة السيلان
٣ — اعراض السيلان
٤ — عواقب السيلان
٥ — فظاعة التلوث وانتقال العدوى
٦ — الزوج المجرم
٧ — شدة الحذر

ج - الزهري

١ — فظاعة الزهري وانتشاره
٢ — اعراض الدور الاول
٣ — اعراض الدور الثانى
٤ — الشك بعلاج نيوسلفرسان
٥ — ويلات الدور الثالث
٦ — الوقاية
٧ — انتقال العدوى
٨ — الخطر حيث يقل الحذر

٦ — ذكراً وانثى

٩ً — وسائل العدوى المجهولة
١٠ً — تقصير حكومات الشرق
١١ — مخادعة الفتى لنفسه
١٢ — هل يجوز للمزهور ان يتزوج ؟
١٣ — عواقب مرض الزوج في الزوجة والاولاد
١٤ — عواقبه في سائر افراد العائلة

د - العادة السرية

١ً استفحال الشهوة البهيمية
٢ً — استعارها
٣ً — تملك العادة والصدمة
٤ً — رد الفعل

هـ - حياة الفحش

١ً — في مواخير البغاء
٢ً — شر الخليلة
٣ً — غزو المصونة
٤ً — تسامح الهيئة الاجتماعية مع الرجال
٥ً — صحبة التبتل

ا - العفة

١ً — الطبيعة الحيوانية عدوة الطهارة

اما وقد علمت انك جزء من الانسانية الممتازة بخاصة الجمال ، الجمال من كل وجه ، فلا يبقى عندك شك في انه يجب عليك ان تكون جميل العقلية والاخلاق لكي تصلح للانتظام في سلك الانسانية . ولكي يبدو جمال روحانيتك يجب ان تكون قبل كل شيء نظيف الداخل ، اي طاهر القلب عفيف النفس نقي السمعة

الحياة الدنسة تلقي على الروحانية وشاحاً قذراً وسخاً . فلا يمكن ان تنزل منزلة محترمة بين قومك اذا تدنست سمعتك ، بل ينفر منك رجالها ونساؤها على السواء . الاشخاص الذين يكسبون مودة الناس واحترامهم ويتقرب اليهم الآخرون هم الذين عرفوا بحسن السيرة وطهارة السريرة

اقبح عدو لروحانيتك الطاهرة هو الطبيعة الحيوانية التي فيك ، فانها تدفعك دائماً الى حمأة الرذائل وقذارة الدعارة . لان هذه الطبيعة لا تخضع للانظمة الاجتماعية

الصالحة التي ترفع النفس الى مقام الانسانية الروحانية لذلك يجب عليك ان تحارب هذه الطبيعة الحيوانية وتقمعها

٢ — نعمة الغريزة التناسلية المقيدة

لم يغلط الله جلّ وعلا في انهُ جعل لنا غريزة تناسلية . ولكنه خلقها ثم قيدها بشريعة الزواج . فاذا خالفت هذه الشريعة كانت دنساً ، كانت وساخة وقذارة تشوّه جمال النفسية . ان الحياة الدنسة تقذفك من عرش الانسانية السامي الى درك الحيوانية . ان الغريزة التناسلية الخاضعة لشريعة الله نعمة ومقدسة ايضاً

لم يطلق الله لهذه الغريزة التناسلية العنان لتفعل ما تشاء حيثما تشاء ، بل خصها بالحياة الزوجية الطاهرة لانشاء العائلة . عينّها لاتصال نصفي الانسان متى اتحدا بعهدٍ مقدس . فاذا استفحلت بين نصفين غير الفين وغير متحدين بعهد مقدس كانت خيانة

لذلك يجب ان تقاوم هذه الغريزة الحيوانية كلّ المقاومة ، ولا تدعها تتغلب عليك. ان مقاومتها امتحان لقوتك الأدبية . فاذا عجزت عن مقاومتها كنت عاجزاً في كل جهاد حيويّ ، وكنت عرضةً للسقوط في النزاع العالمي . إغلب هذه الغريزة القوية فتغلب في كل نزاع وجهاد . اذا كنت عبداً لشهوتك كنت عبداً لسائر الناس

ان المرأة التي تراودها تحتقرك ، حتى ولو كانت مومساً ، لأنها تشعر انك عبد شهوتك ، انك حقير . المرأة تحتقر الرجل الذي يتقرب منها انقياداً لشهوته ، لأنها تبتغي من الرجل ان يتعبد جمال نفسيتها لا شخصيتها البهمية . فكن رجلاً نبيلاً لا تستطيع المرأة أن تحتقره

مهما كانت المرأة مبتذلة تهيب الرجل العفيف النفس وتحترمه . فكيف بها اذا كانت هي نفسها عفيفة متصوّنة

٣ — المغويات الدنسة

خطية الدنس كالمكروب الخبيث ، تجد ابواباً مختلفة للدخول الى النفس العفيفة الطاهرة . فمن الابواب التي تدخل منها قراءة الكتب والروايات ذات المواضيع

الخليعة التي تثير الشهوة البهيمية . فتجنب هذه الكتب والروايات القبيحة . ولا تعتمد على قوة ارادتك في ان تتحامى تأثيرها فيك. فان مكروب الدنس يدخل فيك كالنعاس . فحاذر

ومن الابواب التي يدخل فيها ذلك المكروب الخبيث الى النفس الطاهرة مشاهدة التمثيل الخليع والرقص المتهتك والسنما الدنس الخ . ولا يقنعك القول ان المدنية الحديثة اباحت هذه الخلاعات لانها من مقتضات اللهو لمسرة النفس . فلا يخفى عليك ان للمدنية مساوىء كثيرة . فلا تستسلم لكل ما يقال انه تمدن . فما امثال هذه الخلاعات حقائق مدنية . انما هي وساخات المدنية التي تنفثها كما ينفث الجسم وساخاته

٤ — عشير السوء

ومن ذلك العشرة الرديئة فانها تفسد النفوس الطاهرة . مهما كان عشيرك ودوداً واليفاً وصادق الصداقة ، فمتى شرع يزج في أحاديثه احماضاً او بذاءة فاردعه . فان لم يرتدع فانبذ صداقته ، ومتى كنت تصد عشيرك عن بذاءة الحديث فلا بد ان يحترمك في نفسه وان ظهر لك انه استاء منك

كذلك لا تساير العشير في طريق الرذيلة ، لئلاً تتهور من عرش انسانيتك الجميلة . متى لاحظت في سلوكه شروداً عن جادة العفة والطهارة الى جادة الدنس والعهارة فابتعد عنه ، فان نفسه ملوثة بمكروب الرذيلة ، فتعدي نفسك. ومهما أمسكت نفسك عن التهور معه في حمأة رذيلته فسمعتك تتلوث بها . والناس يسألون عن عشيرك ليحكموا عليك ان صالحاً او طالحاً . كذلك يجب ان تكون عفيف اللسان متحامياً كل قول بذيء في حديثك فتحرز اعتباراً من جليسك . وحالما تبدر منك كلمة بذاءة تسقط منزلتك في عيني جليسك . ان كلام المرء عنوان نفسيته طاهرة او دنسة .

٥ — اخجل من نفسك

لا يكفي ان تكون عفيفاً في الظاهر ودنساً في الخفاء . لأنك مهما تظاهرت بالعفة فلا بدَّ ان تفضحك الحقائق الباطنة، إذ تظهر فيك احياناً دلائل الدنس . واذا كنت

دنساً في سرك فلا بد في بعض الاحيان ان تحتقر نفسك لهذا الاستسلام للعادات السرية الفظيعة النتائج كما سترى . واذا كنت لا تحترم نفسك فلا ينسى لك ان يحترمك الناس . واذا كنت لا تخجل من نفسك فلسوف لا تعود تخجل من الناس ايضاً .

انت تبتغي ان يكون نصفك الآخر الذي تسعى للاتحاد به عفيفاً، فجدير بك ان تكون عفيفاً انت اولاً . وبأي حق تطلب فتاةً عفيفة اذا لم تكن انت كذلك ؟

اذا كنت تنغمس في الرذائل تعيش عيشة الدعارة الدنسة فهيهات ان تتوفق الى شريكة لحياتك طاهرة النفس والقلب مقدسة العرض

اذا كان الشاب الدنس يحاول ان يغزو اعراض الناس فمتى صار زوجاً كان سيء الظن بزوجته دائماً لانه يخسر ثقته بالنساء . ومهما كانت زوجته طاهرة فينغص عيشه وعيشها بسوء الظنون .

ومن قضى حياة العزوبة بالدعارة كان خطراً على عائلته في مستقبلها من وجوه عديدة مختلفة سنتبسط بها في ما يلي

فكيفما قلبت المسألة وجدت ان عفة الشباب تصون جمال النفس ، ذلك الجمال الذي هو تاج الزواج الطاهر . فاجتهد ان تصون عفافك الى ان تلتقي بنصفك الثاني لتضمن حياةً زوجيةً وعائلية سعيدة . ان حياة الدنس تعرض المستقبل لتعاسة لامناص منها . فاحسب حساب المستقبل ولا تخسره لئلاً تخسر كل حياتك فيه

الافاعي في مدينة الدعارة

ان في حياة الدعارة اخطاراً واهوالاً اذا اشرف الفتى عليها من بعيد قبل ان يصل اليها فلا بد ان يرتد عن طريق الفساد . ولذلك نتبسط بها فيما يلي انذاراً للفتى من افاعي اخطار تترصده ، على امل ان يحاذر وينجو من الافاعي الكامنة في حديقة الدعارة .

ب - السيلان

١ — الامراض السرية

اذا استسلم الفتى للدعارة فقد روحانيته الجميلة . ومهما تجمّل وتأنق في مظاهره ، في لبسهِ وهندامهِ ، وفي عشرتهِ وكلامه ، وفي آدابهِ ونظامهِ ، فلا يأمن ان تبدو عليه أعراض تفضح دخائله ، وامارات تنم عن شقائه ، وبوادر تكشف سرائره . وكل ذلك ينشيء ريبة الناس فيه على الاقل ، او قد يجلو لهم دنس نفسه ، فيعزل من بينهم كما يعزل الابرص

ربما كان بعض الفتيان الهوج او المغرورين لا يعبأون بهذا العزل ولكنهم يعبأون رغم انوفهم بما تعرضهم الدعارة له من الامراض الوبيلة السرية وهي افظع الامراض . وكأن الله قد جعل اخبث الامراض واشدها وبالاً مرافقة للدعارة ، ليجعل عقابها في هذه الدنيا عبرة للاحياء . ومعظم الناس الذين قاسوا الآلام في اواخر سنيهم ادركوا ان هذه الآلام عقوبات متأخرة لآثام متقدمة

وأهم ما يذكر من هذه الامراض التي تفضي الدعارة اليها : السيلان والامراض الزهرية المختلفة والسل وانحطاط الجهاز العصبي من الاسراف في بذل القوة التناسلية

ولكي يعلم الفتى اي المصائب والبلايا تأتيه بها الدعارة تنبسط في اعراض هذه الأمراض ونتائجها وتأثيراتها في انظمة الجسم ، والآلام التي تحدثها ، عسى ان يكون هذا التبسط له نذيراً ، وجلاء الحقائق له رادعاً عن الفساد

٢ — فظاعة السيلان

معظم الناس او جلهم ولا سيما السذّج منهم يعتقدون ان السيلان مرض بسيط قليل الأذى سهل الشفاء . وبعضهم يظنون انه عارض بسيط ناجم عن التعرض للبرد فلا يكترثون به . ولكن علم المكروبات الذي تقدم كثيراً في السنين الاخيرة وصارت معلوماته يقينيات عند كثيرين من المتعلمين ، لم يُبقِ شكاً بأن هذا المرض

نتيجة مكروب ، ولا يمكن ان يكون نتيجة برد ، بل هو نتيجة عدوى . ولا سبيل للعدوى إلا المواقعة بين سليم ومريض

مع ذلك يعتقد الجمهور حتى المتعلمين انه مرض بسيط غير خطر ويمكن شفاؤه ، ولا سيما اذا لم يأتهم حادًا ، او اذا اصابهم وعالجوه ، او انقطع السائل الصديدي عاجلاً . فهؤلاء يزدرونه ولا يكترثون به ، لأنهم يجهلون تمكنه منهم بالرغم من اختفائه. واذا ظهر ثانية ظنوه اصابة جديدة ، والغالب انه يظهر ثانية بعد كمونه . وقد يختفي ويظهر ثالثة . واسوأ حظاً من هؤلاء هم الاشخاص الذين تكون اصابتهم ضعيفة ، فقد يشعرون بها ، او لا يشعرون ، فلا يعالجونها . فهؤلاء يؤذي المرض بنيتهم ، ولا يدرون الاَّ اذا تنبه الطبيب له ، وتحقق اسرار بعض الاعراض المرضية التي تنتابهم ، وقرر لهم ان سبب هذه الامراض سيلان مزمن لم ينتبهوا اليه او لم يكترثوا به . فيشرع يعالجهم حين يكون العلاج صعباً وقليل النجاح ، لأن المكروب متغلغل في المسالك البولية والتناسلية

فالسيلان يا صاح مرض فظيع شديد الاذى ، ولكنه خدَّاع لأنه لا يظهر كذلك في اول الامر ، ولان العلاجات الاولية تقطع افراز السائل الصديدي ، ولكن المكروب يبقى كامناً في الاقنية والغدد . وقد لا يظهر المصاب منه إلا بعد ثماني سنين على الاقل ، هذا اذا واظب على علاجه . والاَّ بقي طول الحياة

والنساء أسوأ حظاً من الرجال في هذا المرض الشنيع ، لأنه يتطرق الى الرحم والمبيضين ويحدث التهابات وتورُّمات والتصاقات قد لا تشفى إلا بعمليات جراحية خطرة . فالمرأة ، زوجة أو غير زوجة ، تصاب بأشد المصائب من جراء هذا المرض بسبب دعارة رجل او زوج أرعن أهوج وسخ النفس منحط الطبع ، وهو لا يدري ان اثمه ابتلى شخصين بلية اشدّ عذاباً من الجحيم ×

٣ — اعراض السيلان

اول اعراض هذا المرض التهاب القناة البولية من المثانة حتى نهاية العضو التناسلي . وقد تلتهب المثانة ايضاً . وحينئذ تصبح جميع المواضع الملتهبة شديدة

الحساسة ، اي متألمة . ويعقب الالتهاب افراز سائل صديدي ابيض ، واحياناً يكون دموياً ابيض . ومن نتائجه القصوى العنة الدائمة ، وظهور بثور على الجلد ، واعراض روماتزمية مستمرة لا تبرأ بالرغم من جهاد الطبيب في علاجها .

يصحب الالتهابات ايضاً انتصاب اليم لا حيلة للمصاب فيه . ذلك لأن التهاب القناة البولية التي يتسرب فيها البول من المثانة يحدث تهيجاً في الاعضاء التناسلية توجب الانتصاب غير الطبيعي . حتى الاعضاء التناسلية نفسها تلتهب بالمجاورة . وربما تطرق المكروب اليها فتتورم الخصيتان ايضاً .

في الوقت نفسه تتقرح الأقنية ، وتفرز السائل الصديدي مصحوباً بألم قد يحرم المصاب النوم وهناء الحياة . ولا يخفى ان الانتصاب يعصر الأقنية المتقرحة ويُشقق القروح ، فتفرز دماً احياناً

٤ — عواقب السيلان

في هذه الحالة تنبري قوة المقاومة في الجسم فتبني ما تهدّم من البنيان ، وترقع الاماكن التي تمزقت ، وتلأم ما تفتق . ولا يخفى عليك ان الرقعة لا تعيد الشيء الى اصله تماماً ، واللحام يترك في الامكنة الملحومة عُنَلاً او عقداً . فتلك القناة التي كانت مستقيمة الجدران ناعمتها تصبح متضيقة بتلك العقل والعقد ، ويتعذر مرور البول فيها . وحينئذ يستلزم الامر استعمال المسابر (القساطر Catheters) لتوسيع القناة حيناً بعد آخر . وربما اقتضى الامر استعمالها طول الحياة

واذا كان من سوء حظ المصاب ان يعتريه مرض الحصى الكلوية ، وكانت هذه الحصى تخرج صغيرة او مفتتة ، فلا تجد الطريق سهلاً ، فتحدث التهابات في القناة لا تطاق آلامها . ولا بد حينئذٍ من عمليات جراحية كان يمكن الاستغناء عنها

وقد يستعصي ذلك التضيق على الطبيب ، فلا يستطيع معالجته بالوسائل البسيطة ويحتبس البول . فيضطر ان يفتح له سبيلاً غير سبيله الطبيعي بالبذل . ويقضي المصاب اياماً واشهراً او سنين يبول من خرق جريح . وفي هذه الحالة تكون الحياة معرضة لخطر الموت

ناهيك عن تورُّم الخصيتين وتعريض الغدد التناسلية للأذى والتلف ، الأمر الذي يحدث العقم ، او ضعف الجراثيم المنوية ، فيمتنع التناسل ، اوان النسل يرث عاهات مختلفة ، فيجني المصاب على بنيه وما جنوا على احد . ومن لا يحسب حساب الخلف ينال لعنتهُ . اضف الى ذلك تورم المحالب وحدوث خراجات فيها تستدعي العمليات الجراحية .

ولا يندر ان يحدث نزف الدم في حوادث السيلان الحادة من شدة الانتصاب القهري . وقد يكون النزف هذا خطراً ايضاً بسبب فقدان الدم ، ومن نتائجه الوهن في القوى العموميـة . على ان هذا الانحطاط العمومي نتيجة لازمة لهذا المرض الوبيل سواء احدث نزفاً أو لم يحدث . ولا بد ان تظهر اعراض الضعف من شحوب وتحول وعجز عن القيام بالاعمال ، وضعف الجهاز العصبي ، وتعرض للتهيج لأقل المهيجات كالأشربة الروحية التي يحاول المصاب ان يموه بها على مصيبته بالكاس ، فيداوي نفسه بالتي كانت هي الداء

٥ — فظاعة التلوث وانتقال العدوى

لا يقف أذى هذا الداء الخبيث عند ذلك الحد ، بل يتجاوز الى مصائب لا تقل هولاً عما تقدم ، اذا اتفق ان المصاب تلوثت اصابعه بجراثيم السيلان — ثم مسح عينيهِ باصابعه ، وهو أمر غير نادر لعدم فهم المصاب العواقب — فتلوث العين محتمل جداً . وحينئذ لا وسيلة تقي العين من العمى ، لأن مكروب هذا الداء قوي عنيف سريع الفتك بالانسجة النحيفة الرقيقة كانسجة العين

ولا يندر ان تنتقل العدوى من اصابع المصاب الى المنشفة . فاذا استعملها او هو شخص آخر لمسح وجههِ ، فيحتمل جداً ان تصاب عينه أوعيناه . فيكون المصاب قد جنى على السليم ايضاً

كثير من العميان الذي اصيبوا بالعمى منذ الولادة أو الطفولة كان سبب عماهم ان تلوثت عيونهم بمكروب هذا الداء منذ الولادة من الأم التي اخذت العدوى من الأب . فما افظع هذا الداء الذي لا تقتصر نكباته على المصابين بل تتجاوزها الى غيرهم .

وما اعظم جرم الرجل الذي ينغمس في الدعارة ثم يعود حاملاً كارثةً له ولأولاده من بعده . وهكذا يتفقد الله ذنوب الآباء في الأبناء . فأيُّ عقوبة تكفي للانتقام من أبٍ كهذا ؟ ولو كان العميان يفهمون ان سبب عماهم جرائم آبائهم لكانوا يقتلونهم رجماً بالحجارة أو حرقاً بالنار — لو يبصرون ×

٦ — الزوج المجرم

وأي هناء في الزواج يتوقعه الشاب الذي سلمته فتاة طاهرة القلب والنفس والجسد قلبها ونفسها وجسدها، وبعد أيام قلائل اكتشفت انه اهداها عربون الزواج داء خبيثاً فاجأها بآلام واوجاع ومحن لا تدري كيف تتملص منها ، ولا ترجو ان ينقذها منها طبيب ولا علاج ولا دواء ، وكل يوم بعد يوم تتجسم لها المحنة ويعظم المصاب — أي هناء يرجو هذا الزوج المجرم من الزواج ؟

هل يرجو مجرم كهذا من زوجته غير كره شديد ، بعد ان يكون قد قتل فيها كل رجاء بسعادة الزيجة ، وغمرها بالآلام والاوجاع والمحن ؟ وهل يؤمل نجاحاً في الحياة الزوجية ، وقد صار محتوماً عليه ان يعنى بعلاج زوجته ، وهو علاج طويل يستنفد الاموال ويسلب الراحة ويسدل على العيشة المنزلية ظلماء الهم والغم على الدوام ؟

قد يظن بعض الفتيان الاشرار الرعن انهم يعالجون انفسهم الى ان يبرأوا قبل ان يقدموا على الزواج . وما دروا ان العلاج مهما كان محكماً لا يأتي إلا بنتيجة ظاهرة وقتية ، اذ يبقى الداء كامناً الى حين ، وحالما يتصل الشاب بزوجته الجديدة يفاجئهما هذا الداء باعراضه الحادة التي لم يكونا ينتظرانها . لأن شهر العسل يوقظ الداء من غفلته ويخرجه من مكمنه

لكي يتحقق الفتى المصاب الذي اوهمه العلاج بالشفاء انه لم يزل مريضاً ليشرب بعض كؤوس من الخمرة فيرى ذلك المكروب الخبيث قد استيقظ وعاد افراز السائل الابيض الى مجراه .

٧ — كون السلان وازمانه

لم تكتشف حقيقة هذا الداء إلا منذ اكتشاف عالم المكروبات في اول الربع

الأخير من القرن الماضي . وقد ظن علماء الطب انهم ظفروا بعلاج ناجع له . فكانت العلاجات من حقن وغيرها تقطع السائل في بضعة اسابيع . فتسرهم هذه النتيجة ويعتقدون انهم تغلبوا على هذا العدو الخبيث . ولكن توالي الاختبارات الطبية كشفت لهم كمون هذا الداء وصاروا يبحثون عنه بواسطة المكرسكوب فيجدون انه لا يزال موجوداً في المصاب . ولذلك تغيرت نظريتهم في علاجه وصاروا يقدرون لعلاجه من سنتين الى اربع، ومع ذلك تستعصي بعض حوادثه على كل علاج، فلا يبرأ بتاتاً . فتأمل كم يعاني المصاب في معالجة مرضه هذا، وكم يكابد من النفقات ويقاسي من الخضوع لأوامر الاطباء العنيفة ؟

ثم لما ثبت للاطباء ان الداء كمين دفين صاروا يبحثون عن تأثيراته في سائر انظمة الجسم واجهزته . فوجدوا ان مكروبه يسري في الدم الى الجهاز الليمفاوي، ويؤذي كل عضو في الجسم تقريباً . وقد قرر بعض الاطباء انه يؤثر في الدماغ وصمامات القلب والبليورا والكبد والطحال، فضلاً عن الكليتين، ويصيب المفاصل، واغلفة الاربطة ويتطرق اخيراً الى الجلد . وفي المرأة يتطرق الى المبيضين حتى تجاويف البريتون، وفي هذه الحال يحدث الموت

٧ — شدة الخطر

اذاً من البيان الذي تقدم يتضح للفتى ان السيلان ليس برداً ولا هو مرضاً عرضياً كالزكام والرشح . بل هو نكبة متى نكب بها فلا وسيلة لانقاذه منها . وبعد هذا الايضاح لا تتصوره الا محاذراً من الانغماس في الدعارة التي يندر ان يسلم فيها احد من هذا المرض، ولا سيما في هذا العصر الذي سهلت فيه المدنية انتشار هذه الامراض الوبيلة السرية وغير السرية .

واذا كانت مصلحة الصحة في انجلترا قد احصت في عام واحد نحو مليون اصابة بالسيلان، وهي تحرم البغاء، فما قولك في البلاد التي لا تحرّمهُ وانت تعلم ان البغاء مرعى خصيب لهذا المرض الشنيع لما يحدث فيه من الاختلاط الذي لا حدود له، ولا سياجات تقي من اتساع دائرته

بعد اطلاع القارىء على هذا الشرح نتصوره يجزع من الوقوع فى حمأة الدعارة لأنه يتأكد انه واقعٌ في تهلكة لا منقذ له منها . ونتوهمه متمسكا بعفافهِ وطهارة شخصيته الى ان يتاح له الاقتران بنصفه الآخر ، فيدخل في حظيرة الامن والسلامة من كل خطر، اذا احتفظ بنظام الزواج المقدس وسلك الطريق القويم الى المثل الأعلى من التمتع بجمال الحياة الروحانية

حاشية — من رام ان يتوسع في معرفة احوال هذا الداء فليطالع المجلد الثاني من كتاب المناهج الطبية في الامراض السرية للنظامي الدكتور جورج صوايا في الارجنتين، وكتاب آخر بهذا الموضوع للنظامي الدكتور سعيد ابي جمرا صاحب جريدة الافكار في سان بولو البرازيل . يسأل عنهما في المكاتب العربية

ج - الزهري

١ — فظاعة الزهري وانتشاره

اذا كان داء السيلان الذي تبسطنا فيما تقدم في اعراضه جحيماً للمصاب به فماذا يكون داء الزهري وهو أفظع وأشنع الامراض، لأنه يفتك بكل عضو من اعضاء الجسم ويهدم كل جهاز من اجهزته فيرافق المصاب حتى الممات ؟ ومع ان العدوى به تحدث بتلوث أي غشاء مخاطي في الجسم بمكروبه ، فان ٩٩ في المائة من حوادث العدوى تحدث من جراء الدعارة . ولذلك هو منتشر انتشاراً هائلا في البيئات التي يكثر فيها الاختلاط والامتزاج غير العائلي . ولا تجد مأمنا منه إلا في العائلات الطاهرة التي تبالغ في التعفف والتصون . وقلما تمتاز البلاد المتمدنة على غيرها من حيث عدد الاصابات ونسبيتها الى عدد الجمهور. وحيثما تُختَرَق دائرة التصون والتعفف يجد هذا الداء الوبيل منفذاً للعائلة السليمة

هذا الداء الخبيث غدّار خدّاع . لأنه في اكثر اطواره يتراءى ظاهر جسم المصاب به سليما منه وصحيحاً ومعافى ، مع انه يكون متغلغلاً في اجهزة الجسم الداخلية ، ويتأهب

الظهور في دور ثان أو ثالث فظيع . ولذلك اذا حدثت مواقعة بين هذا المزهور وشخص آخر منخدع بسلامته انتقلت العدوى الى السليم

٢ً — اعراض الدور الاول

لا تظهر العدوى إلا بعد ٣ الى ٦ اسابيع من حين المواقعة . تظهر على العضو التناسلي قرحة بسيطة جداً جافة لامعة وصغيرة بحيث لا يكترث بها المصاب . وانما ظهورها دليل اكيد على أن المرض سرى فى كل الجسم . ومعالجة هذه القرحة بالكاويات أو بالدرور الزئبقية ونحوها اشفائها انما هو كحجب الشمس بالاكف . فالشمس باقية واشعتها ساطعة ، وان كانت الكف قد حجبتها عن العين . فقد تشفى هذه القرحة ولكن المكروب يعمل عمله وتستفحل دولته الطويلة الاجل في داخل الجسم ، وكل حين بعد آخر تظهر اثار غزواته للاعضاء الحيوية وحوادث هدمه للبنية القوية حجراً بعد حجر - هذا هو الدور الاول من أدوار الزهري الثلاثة، وهو دور احتلال الميكروب وتوطيد مقامه وتأهبه لمهاجمة سائر انظمة الجسم واجهزته .

٣ً — اعراض الدور الثاني

أما الدور الثاني فقد يأتي بعد الدور الاول أي متصلاً به . وقد لا يأتي إلا بعد بضعة اسابيع أو بضعة اشهر أو عدة شهور الى ٣ سنين، فيغزو المكروب سطح البدن كله ويصاب الجلد بنفاط وبثور وقروح فظيعة الشكل ، وتلتهب غدد الجسم المختلفة . وتظهر قروح سطحية على اللسان وفي بطانة الشفتين الداخلية . ويتقرح الحلق حتى البلعوم ، ويحدث زكام في جميع اغشية منافذ الرأس المخاطية .

ويمكن ان يكون الداء غازياً المعدة والكبد وسائر الاعضاء الداخلية . ويحتمل ان يتساقط الشعر في هذا الدور . وتنحط القوى البدنية ، ويختبل الدماغ ، وتسود الكآبة على النفس . ويمكن ان يشتد هذا العارض العقلي فيصاب المريض بالجنون

هذه أهم واظهر اعراض الداء في الدور الثاني الذي يستمر نحو ٣ سنين على الاقل . وكثيراً ما تكون هذه الاعراض حادة جداً تقض مضجع المريض وتسلبه كل هناء في الحياة ، حتى انه يلجأ الى الانتحار ، إذ لا ملجأ له سواه من تباريح هذا الداء وعذابه

٤ — الشك بعلاج نيوسلفرسان

وقد تتلطف هذه الاعراض أو تختفي بتاتاً بتكرار المعالجة بالمركبات الزئبقية والزرنيخية كنيوسلفرسان واخوته. ولكن العلاج بالزئبقيات والزرنيخيات لا ينقذ العليل من اعراض الدور الثالث الاخير الذي ينتهي بنهاية الحياة في فظاعة وعذاب دونه عذاب جهنم. والعلاج بنيوسلفرسان لم يثبت حتى الآن انه منقذ من الدرجة الثالثة. اولاً لانه في حوادث كثيرة فحص الدم بعد سنة من العلاج بهذا العقار. فظهر المكروب فيه. وثانياً لان كثيرين عولجوا بهذا العقار ولم يطهروا من المكروب الخبيث. وثالثاً ان الذي اثبت الفحص الكيماوي طهارة دمهم من المكروب بعد المعالجة بهذا العقار لم تمرّ عليهم المدة الكافية التي يمكن ان يظهر فيها الدور الثالث ليعلم ان كانوا قد نجوا تماماً لان هذا العقار جديد في تاريخ الطب. وقد يظهر الدور الثالث بعد نحو ٣٠ سنة من الدور الثاني، ولا سيما لانه ثبت علمياً ان هذا المكروب الخبيث متى هاجمته مركبات الزئبق والزرنيخ هرب من الدم وكمن في الكبد، وبقي كامناً هناك مدة طويلة الى ان يتصفى الدم من هذه العقاقير

لذلك لا يركن تمام الركون الى العلاجات الطبية مهما كانت عظيمة الشأن ولا سيما اذا كان الدور الثاني للداء عنيفاً وقد اتلف بعض اعضاء الجسم الحيوية واجهزته وعطلها، ولم يعد في طاقة حيوية الجسم ترميمها واصلاحها، كما لو تعطل الدماغ وحدث الجنون أو الخبل العقلي، أو اذا تعطل الجهاز العصبي وحدث الشلل، أو اذا تشوهت عضلات القلب واوتاره .. الخ ففي هذه الاحوال وامثالها لا ينفع العلاج بالنيوسلفرسان ولا الزئبق. لان هذين العقارين اذا قتلا المكروب فلا يصلحان ما تعطل في الاعضاء والاجهزة بل بالعكس يزيدان تعطيلها. واذا كان القلب قد غزي وانعطب فالنيوسلفرسان يقضي عليه في الحال، ويختصر عذاب المرض باختصار الحياة.

فلا يطمعنّ المصاب بنعمة النيوسلفرسان ورحمته وقدرته كثيراً حتى في الدور الثاني. فكيف يمكن الطمع بفضله في الدور الثالث العقام الذي لا أمل بالشفاء فيه ولا بتلطيف الآلام والاسقام

٥ — ويلات الدور الثالث

الدور الثالث يأتي على هواه ان نجا المصاب من الدور الثاني . فقد يأتي بعد بضع سنين او بعد عدة سنين . ولكنه لا بد ان يأتي ، ولا بد ان يكون علة موت المصاب ، اي ان المصاب لا يموت إلا في وسط الآلام والاسقام التي سببها هذا المرض الخبيث . ومقدار فظاعة هذه الاسقام والآلام يتوقف على مقدار ما كان لبنيته التي ورثها من اهله ، وللعلاجات التي واظب عليها من المقاومة لهذا المكروب الخبيث . وانما الغلبة الاخيرة للمكروب بلا مشاحة

في هذا الدور يكون المكروب قد تحوّل من الظواهر وتغلغل في الاعماق . يترك الجلد ونحوه ، ويهجم على العظام . وفيه تكون معظم خليات الجسم الحيوية في الشرايين والأوردة قد تحولت الى انسجة موصلة Connective tissues وهو ما يسمونه سكليروسز ، اي شيخوخة الشرايين او تصلبها ، وفقدان مرونتها وتعرضها للتشقق والانفجار. وهي حال لا تعالج بتاتاً ، والحياة عندها تحت خطر دائم ✕

اول اعراض الدور الثالث آلام حادة تشبه آلام الروماتزم ، ليست في المفاصل بل بين المفاصل ، ولا سيما بين الركبة والكاحل ، وفي الرأس . ويشتد الألم في الليل فيقضي المصاب ليله متمشياً لا يستطيع الهجوع او الاضجاع .

تصبح العظام قاسية قصمة عرضة للكسر لأقل طارىء ، لأنه لم يبق في طوق الطبيعة ان ترممها وترد لها ليونتها . ويتأكل الأنف تدريجياً بسبب قروح فيه لا تبرأ ، وينتوء عظمه اذ قد ينكسر وينتثر قبل ان يبرز . وقد روى احد الاطباء ان احد المصابين انخلع كل فخذه فيما هو يخلع حذاءه

✕ وتظهر في الجسم تشوهات فظيعة جداً من ثقب في سقف الحلق الى مجرى الأنف ، ومن ثقب في الجمجمة فوق العين ومن عمى او ضعف في البصر ، ومن احديداب شنيع ، الى غير ذلك مما لا يقع تحت حصر . لان الجسم كله اصبح مرعى للمكروب الخبيث ، وقد فقد حيويته وقوة المقاومة وقوة الترميم . واصبح عرضة لتشوهات مختلفة لا حدّ لها .

تقدم احد المزهورين الى طبيب وهو في الدور الثالث الفظيع ، ولكنه لم يكن يدري فظاعة حاله بل كان يظن ان في طوق الطبيب ان يعالجه و يشفيه . ولكن الطبيب لم يَرَ بدًّا من الافصاح له عن حقيقة حالهِ دفعاً لغرورهِ . فلما جلا له الحقيقة بكل امانة وصدق قال المريض ذليلاً : « اذاً أعد نفسي ميتاً ياطبيب » فاجابه الطبيب: « بكل أسف أقول لك : نعم انت في حكم الميت »

هذا اجمال مختصر جداً لاعراض هذا الداء الشنيع الذي لا يترعرع إلا في دوائر الدعارة والفساد والانغماس في الشهوات . ومن رام ان يتوسع فى معرفة احواله وفظائعه فنرشده الى مطوّل به للنطاسي الدكتور جورج صوايا بعنوان « المناهج الطبية في الامراض الزهرية » فقد استوعب في نحو ٦٠٠ صفحة كل معلومات هذا الداء ، والى مطول آخر للنطاسي الدكتور سعيد ابي جمرا صاحب جريدة الافكار في سان بولو البرازيل

ومن رام ان يتحقق فظائع هذا المرض الخبيث فليقصد الى المستشفيات العمومية وليشاهد بعينيه احوال المصابين المحزنة التعسة . أو فليقصد الى متاحف الكليات الطبية حيث يرى النماذج المحفوظة والرسوم التي تمثل مفاعيل هذا المرض ويبصر الجماجم والعظام التي نخرها هذا المكروب في مدة حياة المريض . بل فليقصد الى البيمارستانات ويقابل المجانين الذين جنّهم هذا الداء وهم اوفر عدداً من غيرهم

٦ — الوقاية من عدوى الزهري

نلخص هذه النبذة من كتاب « المناهج الطبية لاتقاء الأمراض الافرنجية » الذي اشرنا اليه آنفاً

لكي تفهم كيف تتجنب العدوى بهذا المرض الخبيث يكفي ان تفهم كيف تنتقل العدوى ، ومتى يكون الجسم في خطر من هجمات المكروب. يجب على الشبان ان يفهموا ان الملامسات الجنسية غير الشرعية هي دائماً ممزوجة بالاخطار . وعليهم ان يرتابوا بصحة كل مرأة من أية طبقة من الناس ، من المومس ومن الزوجة الخائنة .

وكثيراً ما تكون المرأة التي يحسبها الشبان « مصونة » أو بنت عائلة احرى بالريبة والشك من المومس . وكثيراً ما تنتقل العدوى من بنت العائلة ونحوها اكثر مما تنتقل من البغي المحترفة الدعارة ، لأن الشبان يتحوطون من هذه ولا يتحوطون من تلك

فعلى الشبان ان يضعوا نصب عيونهم قاعدة مطردة، وهي اتخاذ احتياطات النظافة كلها فيما لو وقعوا في حمأة الدعارة . لأنه ثبت بالاستقراء ان كل امرأة باعت عرضها كانت « مزهورة » قبل السنة الرابعة من حياتها الدنسة . سواء كانت مومساً أو « بيتية » . فيمكن ان تصاب من أول يوم تدنسها

والاطباء الذين درسوا حياة المومسات في باريس وضعوا قاعدة مبنية على الاستقراء الطويل وهي : ان محترفات « عبادة الزهرة » اللواتي يفقدن عفتهن في الرابعة عشرة من العمر يحسبن مومسات في الخامسة عشرة ومسفلسات في السادسة عشرة

٧ — انتقال العدوى

تنتقل عدوى الزهري أما بالوراثة أو اكتساباً بالملامسة . وتحدث اكتساباً بطرق مختلفة حيث يجد الميكروب منفذاً الى دم الشخص الصحيح أو الى لنفه . وهذا المنفذ يكون كجرح أو تقرح أو تقشب في الجلد أو الاغشية المخاطية كالفم وبواطن الاعضاء التناسلية . وقد يكون الجرح أو الخمش الذي يتغلغل فيه الميكروب صغيراً جداً لا يلاحظه الانسان . هكذا يأخذ السليم المرض من العليل

أما العليل فتنتقل العدوى منه متى كان في جسمه نقاط أو تقرحات خصوصاً اذا كانت في الاغشية المخاطية فيسهل انتقالها في المواقعة والقبلة ، وفي أواني الأكل والشرب وأدوات الحلاقة الخ . وكثيراً ما تكون هذه التقرحات صغيرة جداً لا تزعج المصاب ، أو لا يدري بها ، أو قد يكون ازعاجها خفيفاً للغاية بحيث لا يعلق عليه أقل اهمية

كذلك يوجد الميكروب احياناً في لعاب المصابين ، وفي حليب المرضعات ،

وفي السائل التناسلي والبول وغيرهما من المفرزات الجسدية المختلفة ، فينتقل بواسطتها من غير ان يكون في اجساد المصابين تقرحات أو نقاط

٨ — الخطر حيث يقل الحذر

وتنتقل العدوى بكثرة في بيوت الدعارة، ولاسيما اذا لم تكن المومس تحت المراقبة الطبية المشددة يومياً بعناية حكومة ساهرة على مصالح الرعية . وبالرغم من هذه العناية يمكن حدوث العدوى من المومس السليمة بحيث يطأها رجل مصاب ، ثم يطأها رجل سليم، فيأخذ هذا العدوى من ذاك قبل ان يظهر المرض في المومس ، أي حين تكون محسوبة سليمة . واحياناً هي تسلم ويُعدَى الشخص الثاني لانها تتنظف جيداً بعد المواقعتين . وكذلك يمكن ان ينقل هذا الشخص السليم العدوى الى مرأة اخرى قبل ان يظهر عليه المرض

لذلك ترى ان الخطر في بيوت الهوى هو في الدرجة الأولى من اصغر المومسات سناً واحدثهن في هذه التجارة عهداً ، لانهن يتراءين سليمات ، ويظن انهن لم يصبن بعد ، فيكثر الاقبال عليهن بلا حذر ، ولكنهن لحداثتهن لا يفهمن قيمة النظافة والتحوطات ، فيتهاملن كثيراً ولذلك يكن اكثر عرضة للاصابة اخذاً وعطاء

كذلك الخطر أشد على الفتيان الاحداث العديمي الخبرة منهن على سواهم

واشد ما يكون الخطر من العدوى بهذا الداء هو من مباضعة النساء الواقفات على حافة الفحشاء لا يجتزنها ، فلا تصل الى مقرهن مراقبة الاطباء ولا تطالهن أيدي القضاء ، كالعاملات في الفنارك على انواعها ، والخياطات والمستخدمات في المحلات التجارية ،والصانعات والمشتغلات في القهوات والمسارح ونظرائهن . وقد لا تقل مواصلة الباذخات منهن خطراً عن الوضيعات المعدمات

٩ — وسائل العدوى المجهولة

من جملة وسائل العدوى التلقيح ضد الجدري ، فينتقل المرض بريشة المطعم غير المطهرة التطهير الكافي اذا كان قد استعملها قبلاً في شخص مزهور . فقد حدثت بهذه الطريقة اصابات وافرة بين الاطفال في بلدان عديدة

وكذلك قد يكون الختان وسيلة للعدوى اذا كان الخاتن جاهلا قواعد الهيجين والتعقيم ، اذ تنتقل جراثيم المرض في هذه الحال بالآلة التي يستعملها الخاتن ، أو بالزيت الذي يدهنها هو به معتقداً عن جهل انه بلسم للجرح . وقد يكون هو مزهوراً والمكروب في اداته

كذلك يكثر انتقال العدوى من المرضعات الى الاطفال اذا كانت المرضع مصابة (ومحرر هذا الكتاب يعرف حادثة من هذا النوع) كما انه ينتقل من الطفل الى المرضع اذا كان الطفل مصاباً

فلذلك يجب ان تعلم أن خطر هذا المرض يمكن ان يكون في الشخص الذي تشترك معه بالفاحشة ، أو في فم تقبله ؛ أو في كأس تشرب منها ، أو في صحن تأكل منه ، أو ملعقه تأكل بها ، أو فوطة تستعملها ، أو في فم الشيشة (الاركيلة) الخ .

لذلك يجب أن يكون شديد الحذر في مخالطة الناس ولا سيما المشتبه بهم بسبب نوع معيشتهم وسيرتهم

١٠ — تقصير حكومات الشرق

وهنا نوجّه الحديث الى الحكومات جميعاً وحكومات الشرق خصوصاً لأنها لا تتخذ التحوطات اللازمة لحصر الداء في ذويه ، بل تدعه مطلق الحبل على الغارب. تعزل الحكومة المصابين بالأوبئة كالطاعون والكوليرا والجذام الخ وتضرب على الناحية التي تظهر فيها هذه الاوبئة النطاق الصحي (كرنتينا). فهل الزهري أقل خطراً وفتكاً من تلك الاوبئة ؟ وهل العدوى به اقل سهولة ؟ فلماذا لا تقرر الوسائل لمنع انتشاره ؟

الحكومة المصرية جعلت البغاء حرفة رسمية للبغايا ووضعتهن تحت المراقبة الطبية ، حتى اذا ظهرت أعراض الزهري أو (السيلان) على احداهن عزلتها الى المستشفى الخاص بهن . ولكن الفحص الطبي الجاري لا يكفي لتحقيق سلامة المومس المفحوصة من الداء ، ولا يقي المتصلين بها منه . لأنها قد تكون مصابة ، ولا أعراض للاصابة فيها ، اما لكون الداء ، أو لأنه حديث ، أو في فترة الكمون بين

دورين . ولذلك ليس انتشار الداء في مصر أقل منه في البلاد التي تحرم البغاء الرسمي وان كانت هذه الطريقة تقي بعض الوقاية

وأما سائر الحكومات الشرقية التي يهمنا أمرها على الخصوص فمهملة الامر كل الاهمال .

ثم ان الحكومات الاوربية والاميركية قد انشأت مستشفيات خاصة لهذا الداء لمقاومتهِ ولاسعاف المصابين ، ولا سيما الفقراء الذين لا يستطيعون ان يتحملوا نفقات العلاج الباهظة. وحكومتنا لم تعبأ حتى الآن بهذا الشان مع ان أهميته واخطار المرض لا تقل عن أهمية الأمراض العفنة واخطارها . فلماذا لا تنشيء المستشفيات للامراض الزهرية ؟

١١ — مخادعة الفتى لنفسه

وقد يطمئن الفتى الفاهم نفسهُ بأن هذا المرض الوبيل قد اصبح تحت سلطة الطب ، لأن العقاقير المكتشفة والمخترعة حديثاً تشفيه . فيقول في نفسهِ : « اذا أُصِبت اعالج » . ولكنه لا يدري ما يقاسيه في المعالجة من الالام ، وما يتعرض له من الأخطار ، وما يكابده من النفقات الباهظة ، وما يقضيه من طول الوقت في المواظبة على العلاج . مع ذلك لا يمكن أن يتأكد انه يشفى تماماً ، وان بنيته تحتمل فعل العقاقير ، وهي لا تفتك بالمكروب قبل ان تفتك بأنسجة الجسم وأجهزتهِ واعضائه . فهما كان المصاب موفقاً في العلاج فلا يسلم جسمه من عطب بعض أعضائهِ بسببه . فلا يطمعنَّ الفتى بفضل الطب وتقدمه كثيراً ولا قليلاً ، بل ليطمع بتحامي الدعارة والفساد فهو أسلم عاقبة وأنجى من الوبال وأحفظ لعفة النفس وكرامتها وراحة الضمير والاطمئنان

١٢ — هل يجوز للمزهور ان يتزوج ؟

بعد هذا البيان قد يخطر لك ان تسأل ، هل يجوز للمصاب بالزهري ان يتزوج ؟

اذا كان للمصاب ذرة من الضمير الحي ، أو كان يحسب حساب المستقبل لنفسه ،

اذا لم يحسب حساب مستقبل أولاده وزوجته ، فلا يتزوج حتى ولو عولج وظهر له انه شفي ، لانه قد يكون غير طاهر من مكروب الداء ، بل الغالب انه لم يزل ملوثاً قد يفحص الدم ، ويظهر طاهراً من المكروب ، وبالرغم من هذا الفحص يكون المكروب كامناً في غير الدم كما سبق القول . وقد أثبتت الاختبارات الطبية والتحقيقات العلمية ان المكروب يصاحب مني الرجل ويعيش فيه . فمتى تكوّن الجنين كان ملوثاً بلا محالة . وحينئذٍ تتلوث الحامل من جنينها بكل تأكيد . فاذا تزوج المصاب فلا تمضي السنة حتى تكون زوجته قد اصيبت ايضاً . واذا ولد الولد كان مصاباً حتماً

فاذا كان الرجل المصاب جاهلاً او ميت الضمير يرتكب بزواجهِ جريمةً يستحق عليها الحكم بالموت ، لأنه يكون قد قضى على سعادة زوجته ومستقبل أولاده ، ان سلم له أولاد

١٢ — عواقب مرض الزوج في الزوجة والاولاد

في هذه الحالة يكثر الاجهاض عند الزوجة المسكينة في أي شهر من أشهر حملها . وينـدر ان تلد في ميعاد الولادة ، وان ولدت كان المولود مصاباً وحياته شقية . في العائلات الجاهلة يتوالى الاجهاض في حمل بعد حملٍ ، فيتحير الزوجان ، ويقصدان الى الأطباء . وهناك يندهشان اذا أعلمهما الطبيب انهما مصابان بالزهري ، وان الجنين لا يستطيع مقاومة المرض ، فيسقط قبل تمام نموه .

وقد تكون بنية الزوجة ضعيفة لا تستطيع المقاومة . فلا ينقضي العام على زواجها حتى تظهر أعراض المرض فيها فظيعة . وحينئـذ يبتدىء النكد بينها وبين زوجها ، ولا سيما اذا فهمت انه هو الذي نفحها هذه النفحة « الكريمة »

أما الولد الذي يولد مصاباً فتبتدىء حياته بالاعراض الفظيعة ، لأن الداء يكون فيهِ نشيطاً شديد الوطأة . فقد لا يستطيع المشي الا بعد زمن طويل ، او يظهر عطب في ساقيه كالكساح ، او يكون سقف حلقهِ مثقوباً الى مجرى انفه او غير ذلك . وهو لضعف بنيته وصغره لا يحتمل الحقن بنيوسلفرسان والزئبق ، فيرجىء الطبيب معالجته

الفعلية ربما يبلغ أشده . ولكن هيهات ان يبلغ اشـده . فيغلب ان يموت في سن الحداثة .

١٤ — العواقب لسائر افراد العائلة

ثم ان انتقال العدوى من الطفل الى من حوله سهل واكيد ، ولا سيما اذا كانوا يجهلون انه مصاب . فكل من يلثمه ويختلط به يأخذ المرض بلا شك . فجميع اقاربه وذويه الذين يحملونه ويقبلونه يكونون تحت خطر التلوث بالمرض . وهكذا يمكن أن تصيب جريمة الاب اهله واهل امرأته . فتأمل ما افظع جنايته

هذه عواقب المصاب بالزهري عليه وعلى عائلته وذويه . فكيف يهنأ له عيش متى كان يرى زوجته تقاسي في دورها ما قاساه هو من الداء ، ومتى كان يرى من سلموا من أولاده يتعذبون من تباريح المصيبة وآلامها ، وهو لا يستطيع أن ينقذهم من النكبة التي نكبهم بها لجهله او لخبث قلبه ، لانه تزوج وهو يعلم انه ملوث بالداء . ناهيك عما يكابده من النفقات في درء أعراض المرض وعلاج أهل بيته ، وما يلاقيه من النكد في حياته الزوجية التعسة

أليس خليقاً به ألاَّ يتزوج ، وأن يقتصر على بلواه وحده ، ولا يشرك بها مرأة قدمت له نفسها طاهرة القلب والجسم والنفس ، واولاداً أتى بهم الى الوجود أتقياء فدنسهم ؟

بل أليس خليقاً بالفتى ان يهرب من الدعارة وهي جحيم الانسان على الارض ! وأي عاقل يرمي بنفسه في التهلكة بملء اختياره من غير محرج له سوى شهوته الوقتية التي وان كانت طبيعية ، فقد فتح لها سبيل شرعي امين العاقبة ، وهو الزواج الحلال المقدس .

د - العادة السرية

١ — استفحال الشهوة البهيمية

هذه هي ثالثة الاثافي . فاذا كانت لاتنتهي بمثل فظائع الزهري والسيلان فلا ريب انها تورث ممارسها حياة تعسة ان سلم من الجنون

هذه العادة غير موجودة عند الحيوانات بتاتا ، ما عدا الحيوانات العليا كالقرود واشباه الانسان ، وهي الحيوانات التي لها اكفٌّ تستعملها في قضاء حاجاتها . فالعادة السرية ، أي الاستمناء أو استعمال اليد ، ليست امراً طبيعياً البتة . بل هي اختراع النوع الذي يجري عليها . ولا يمارسها الفرد الواحد الاّ لأنه تعلمها من سواه أو رأى غيره يمارسها . فهي شديدة الاذى لأنها امر غير طبيعي يلجأ اليه الانسان لاحتدام شهوته البهيمية وتجاوزها حد الغريزة الطبيعية . ففي امكان الانسان أن يخمد هذه النعرة اذا كان يرفع نفسه ولا يخضعها لها . وينزه حياته الروحانية ويقيها من رجاسة الشهوة الحيوانية .

٢ — استعار الشهوة

اما الاضرار الفظيعة التي تنجم عن هذه العادة فاولها انها لا تطفيء النعرة الحيوانية كما يظن ممارسها ، بل بالعكس تزيدها استعاراً لانها لاتشبع الشهوة النفسانية ولاتروي غلة العاطفة . لاترتوي شهوة النفس بها لانها ليست الوسيلة الطبيعية التي سنّ الخالق سنتها . لذلك بعد أن ينتهي المستمني من عمله الدنيء يشعر انه قد فشل وخاب مأربا ، أي انه لم يقض الوطر كما زينته له النفس الشهوانية وصورته في مخيلته ، واطمعت عواطفه به . فلا تلبث شهوته أن تثور ثانية وتحتدم فيلجأ الى الطريقة نفسها آملاً ان يطفيء هذا السعير . ولكنه لا ينتهي إلا بنفس النتيجة - الخيبة والفشل والحسرة . وهكذا دواليك

٣ — تملك العادة والصدمة

وقد اكد الاختبار ان ممارسة الوظيفة التناسلية بالطريقة الطبيعية أروى لشهوة

النفس والجسد بحيث لا تتجدد هذه الشهوة إلاّ في ميعادها الطبيعي . واثبت ايضاً ان ممارسي العادة السرية اكثر غلمةً وأشد شبقاً من سواهم . وكلما تمادى الشخص بهذه العادة ازدادت فيه تمكناً، حتى انه لايعود يستطيع الاقلاع عنها . وكلما افرط فيها تفاقمت اضرارها . فهي كعادة شم الكوكايين والمورفين الخ . .

ثانياً – ان الخيبة التي ينتهي بها هذا العمل الشائن انما هي صدمة هائلة للجهاز العصبي ولا سيما الدماغ . فكلّما توالت الصدمات على هذا الجهاز قلقلته ولا تزال تقلقل فيه الى ان تدكّه دكّاً . وأهم نتائج هذا الدك اولاً الضعف العمومي ، واعجاز اجهزة الجسم الاخرى عن القيام باعمالها كالواجب ، ثم توالي سلسلة الامراض العصبية كالهستيريا والنورستينا والصرع ، واخيراً الجنون . واذا تيسر لك ان تتحقق اسباب جنون المجانين الذين في مستشفيات المجاذيب رأيت ان جانباً عظيماً منهم جُنّوا لتماديهم في ممارسة هذه العادة السرية الفظيعة ×

٤ — رد الفعل

ثالثاً – ان لم ينته التمادي في مزاولة هذه العادة بالجنون وغيره من الامراض العصبية والعقلية، فلا بد أن يفضي الى العنة ، أي عجز العضو التناسلي عن القيام بوظيفته الطبيعية . ويحتمل جداً أن يكون هذا العجز كلياً وطول العمر ، بحيث لا تعود تنجع فيه العلاجات والعقاقير المقوية ، حتى اذا تزوج صاحب هذه العادة صادف هو وزوجته خيبةً تقضي حتماً بنكدهما وتنافرهما وتمكن الكره بينهما . فان لم يتسن لهما الطلاق أو الفراق لسبب ما كانت حياتهما الزوجية تعسة لا تطاق ، فكأنّ الزوجين معاً يعاقبان بجريرة احدهما .

فاذا كان للفتى ذرةٌ من الضمير الحي يقمع شهوته الحيوانية، حاسباً حساب زواجه في المستقبل ، لكي لا يظلم شريكة حياته التي حافظت على طهارتها في شبابها لكي تهديها اليه هدية لا تقدر بثمن مهما غلا .

رابعاً – اذا سلم الفتى الذي يزاول هذه العادة السرية من الجنون والعنة فلا يسلم من ضعف عمومي قد يرافقه مدى الحياة . ولا يقدر أن يصيب هذا الضعف جراثيمه المنوية فيصبح عقيما او شبه عقيم . وربما اتصل هذا الضعف ببنيه ان رزق اولاداً

اظن هذه العواقب التي تنجم عن العادة السرية كافية لان تروع الفتى الحريص على سعادته والذي يحسب حساباً لمستقبله والذي عنده ذرة من الضمير فيحاذر ان يظلم الفتاة التي يختارها شريكة حياته

ننصح للقارىء ان يطلع على هذا الموضوع في كتاب « حياتنا التناسلية » للنطاسي الدكتور سعيد ابي جمرا صاحب جريدة الافكار في البرازيل، فان في هذا الكتاب فوائد جمة للشبان ، وكذلك كتاب الامراض التناسلية وعلاجها وطرق الوقاية منها لحضرة الدكتور فخري ، طبيب الامراض الجلدية بمصر

هـ - حياة الفحش

بعض الشبان يقنعون انفسهم ان التبتل مستحيل على المرء . فمهما كان قوي الارادة ومعانداً لشهواته ومجاهداً في قمعها فلا بد ينغلب لها . وينتحل لنفسه اعذاراً مختلفة منها قوله : ان هذه الشهوة قوة عنيفة ، ويجب ان يجد منفذاً لها لصرفها وإلا اسقمتهُ . ولذلك ينتهج ثلاث مناهج كلها أو بعضها لتصريف هذه القوة :

أ — في مواخير البغاء

الأول انه يرتاد مواخير البغاء متنقلاً بين بنات الهوى . وهو لا يجهل ان هؤلاء المومسات المأجورات هنَّ الحثالة التي تفلتها الهيئة الاجتماعية ، لانهنَّ تجردن من كل جمال اخلاقي ونفساني ايضاً . ولم يبق لهنَّ إلا الطبيعة الحيوانية فقط . فهو باتحاده مع المومس يتسفل من مقامهِ الانساني الى حقارة الدرك الحيواني . ومهما كان ضعيف الخلق سقيم الارادة والضمير فلا بد ان يخجل من نفسهِ حين يكون مع بغيٍّ ، وهو يعلم انها منذ برهة كانت مع سواه ، وربما كان هذا السوى من طبقة منحطة سافلة ليس لشرف النفس وكرامتها قيمة عندهُ

وان كان يجهل ذلك فلا بد ان يقنعه الاختبار القليل ان هذه المومس الحيوانة ليس لها قلب البشر ولا عواطف الناس ، فلا تعطف ولا تشفق عليه لتمنعه ان كانت

مبتلية بداء خبيث ، ولا تحب فيه إلا ماتستطيع ان تبتزه من ماله . بل بالعكس ان قلبها الحيواني مفعم حقداً وكرهاً لجنس الرجال ؛ لأنها ماسقطت من مقام الانسانية الشريف إلا لسبب غدر رجل أو خيانته ولؤمه . فهي تستلذ الانتقام من كل رجل ، ولا تدخر جهداً في ان تبيع مع عرضها داءها ودنسها ورجاستها بماله وشرفه وسمعته . وكلما بالغ في التستر جاهدت في فضحه . × الخبيث يستر

وفيما هي تحاول ان تسلبه ماله وشرفه وسمعته تبذل جهدها في مخادعته وايهامه انها متولهة بحبه متيمة بهواه ، لكي تستبقيه في شبكتها مستحكمة منه ، ولكي تستزيده جوداً بدينارهِ ، وسخاء بشرفهِ وكرامتهِ ، وتساهلاً بسمعتهِ

ومع ذلك مهما كان غبياً وساذجاً فلا بد ان يكتشف بعد حين طويل أو قصير انها خدعته وكذبت عليه بكل ما فيه من عاطفة وجمال — كذبت عليه بقلبها وقبلاتها وضمها ، وبسواد عينيها ونجلهما وابتساماتها ودلالها ، حتى بدموعها وعتابها واساها وشوقها

يكتشف ذلك فينقلب وداده لها الى بغض ، وهواه الى جفاء ، وينتقل بين اخواتها . وكلما تمادى في التنقل عاد خائباً ، إذ لا يجد في تلك البيئة قلوباً تعطف ولا خلقاً يُحَب ولا دلالاً يستهوى ولا جمالاً يُعبَد . وهكذا يقضي حياته مصادفاً خيبة بعد خيبة ، الى ان يمل ويعدل عن هذا الضلال ، ويقصد الى الصراط المستقيم ؛ فاذا به يرى نفسه قد اضاع الشرف والسمعة الحسنة ، وقد استنفد قوى الشبيبة ، وكسب سقماً . هذا اذا سلم من تمغة العار التي تمغ بها الدعارة اهلها من زهري أو سيلان ونحوهما

٢ — شر الحيلة ×

المنهج الثاني هو ان يختار الفتى خليلة غير شرعية يساكنها ما شاء ، مستعيضاً بها عن حليلة شرعية محاذرةً من الوقوع في شباك البغايا اللواتي يخشى من التلوث بامراضهن الخبيثة المشينة . ولا تدري لماذا يتحايد الحليلة الشرعية ، ويطمح الى التمتع بمساكنة الخليلة ، وهذه تكلفه من النفقات اكثر من تلك . فهو مضطر ان يفتح بيتاً خاصاً لها ، وان ينفق باسراف على ازيائها وغنجها ودلالها ونزهاتها وملاهيها . فضلاً عما تبتزه من ماله لنفسها ، لانها تحتاط لمستقبلها ، إذ لا تدري متى يملها وينبذها نبذ النواة

وكيف يثق ان تكون الخليلة امينة له كالخليلة . وهل يمكن ان تكون الخليلة اطيب قلباً من المومس واصفى وداً . وما الفرق بين هذه وهذه وكلتاهما ساقطتان مجردتان من الجمال الخلقي والنفسي ؟

لا نرى فرقاً بين الخليلة والمومس إلا فرقاً واحداً وهو أن مساكنة الخليلة دعارة جهارية « على عينك يا تاجر » كأنه لا يخشى من فضيحة وعار ، ولا تهمه السمعة الشريفة ، أو لا يهمه ان يحرم الاختلاط بالعائلات النبيلة الصالحة التي تتحايده تحايد السليم الاجرب . وكيف يطمع بعد ذلك بيد فتاة تفوقه أو تعادله منزلة اجتماعية . ولا يحسب حساب انه يسقط من تلك المنزلة السامية التي كان يستطيع فيها ان يتزوج فتاة صالحة زواجاً ضامناً لسعادته المستقبلة ؟

وهل يمكن ان يسلم حقيقة من التلوث بداء عقام ، وهو لا يضمن ان تلك الخليلة لا تخونه ، ولا تواقع شخصاً آخر مصاباً بزهري أو سيلان ، فتنقل الداء اليه من ذاك ؟

واذا اتته الخليلة بغلام ، وهو أمر غير بعيد الحدوث ، فماذا يفعل ؟ هل ينبذ الغلام وأمه ؟ وماذا يكون شأنه فيما لو تزوج ورزق أولاداً ثم عرف أولاده الشرعيون ان لهم اخاً غير شرعي . وكيف ينظر اليه اولاده اذا قحم ذلك الأخ غير الشرعي فيما بينهم وادّعى حق البنوة له وحق الاخوّة لهم ؟

بل كيف يقف امام زوجته اذا كانت تلك الخليلة تهجم عليهما بابنها كل حين بعد آخر تطالب بحقوق نفقة أو نحو ذلك ؟ بل أي دعاء يدعو له أولاده اذا كان ذلك الابن غير الشرعي يطالبهم بحق من الأرث ؟

واذا رام ان يتلافى كل هذا بأن يتزوج تلك الخليلة زواجاً شرعياً فهل يمكنه ان يمحو العار وينفي تلك السمعة القبيحة ، ويسترد مقامه السابق مهما تسامح معارفه ، واغضوا الطرف عن ماضيه ؟ فهم فيما بينهم يتحدثون بذلك الماضي باحتقار ، ولأقل سبب يذكرونه بذلك العار ، أو يذكرونه عنه ويشيرون اليه بالاصابع

فالحياة مع الخليلة لا تختلف عن حياة الدعارة ، ولا يتسامح بها إلا من كان يخدع نفسه . ومن يخدع نفسه لا يستفيد شيئاً سوى انه يخسر شرف نفسه وكرامته وطهارته وعفته

٣ — غزو المرأة المصون

المنهج الثالث . بعض الشبان يطرقون ابواب الحنا السرية كاللصوص فيغزون المضاجع المصونة ، ويراودون العقائل المحصنات ويحاولون استهواءهنّ بكل وسيلة ممكنة ، ولا سيما اذا توسم الشاب في عقيلة ضعفاً في اخلاقها وآدابها .

ان فتى كهذا لأدنأ من لص ، وجريمته افظع من جريمة السرقة ، لأنه يحاول ان يختلس اعزّ عزيز عند غيره — يختلس عرضه وينهك حرمته . وان كان مصاباً بداء دعارة لوث به العائلة كلها . واذا انفضح امره — والغالب ان ينفضح — اوجد في العائلة نكداً كل الحياة ، وقد ينتهي هذا النكد بافتراق الزوجين أو بطلاقهما ، وبسقوط تلك المرأة الخائنة الى هاوية الفساد التي يستحيل عليها بعد ذلك ان تصعد منها - أظنك لو كنت قاضياً لكنت تحكم على هذا اللص الخائن بالموت

واشرّ من هذا وارداً الشاب الذي يحاول غزو عرض فتاة عذراء طاهرة بالاستهواء واخرى بالوعد انه يتزوجها ، حتى اذا وقعت فريسة له ماطلها وعللها بالآمال الكاذبة، الى ان تيأس منه وتنقم عليه، فيروغ منها كالثعلب . عمرك الله ماذا تحكم على هذا اللص الخائن اللئيم ؟

اذا كنت ايها الفتى تبتغي ان تتزوج فتاة طاهرة عذراء لم تقبلها نسمة الصباح فبأي حق تنتهك أنت عرض فتاة وتسلبها أعز ما لها ؟ وبأي شرع تجيز لنفسك ان تغزو اعراض الناس وتغضب اذا غزا غيرك عرضك ؟ وبأي ضمير تلتمس زواجاً مقدساً ومضجعاً طاهراً مدة حياتك الزوجيـة ، بعد ان قضيت شبابك منغمساً في حمأة الدعارة ؟

٤ — تسامح الهيئة الاجتماعية مع الرجال

ان الهيئة الاجتماعية الراقية الشريفة تنبذ شاباً كهذا من بينها نبذ الزبالة والوساخة، ولا تقبله عضواً فيها في حال من الاحوال . ولكن لسوء الحظ ان معظم طبقات الأمم تغض النظر عن شاب سافل كهذا ، وتتسامح معه ، فتتركه يخالطها ، واخيراً تأذن له

ان يتزوج من بناتها الطاهرات . وهذا التسامح هو الذي يجرئه وامثاله على اللصوصية والغزو . فليت العائلات الشريفة المتصونة تسأل عن آداب الشبان كما تسأل عن عفة الفتيات . وليتها تعاقب الفتى الذي يغوي النساء عقيلات واوانس ، كما تعاقب هؤلاء متى سقطن بالنبذ والاحتقار ، فتقل الدعارة كثيراً

ان الذي يشين الفتاة ويسوّي سمعتها يجب ان يشين الفتى ويسوّي سمعته ايضاً . وإلا فما فضل الشاب على الفتاة ، والرجل على المرأة ، حتى يجوز له ما لا يجوز لها؟

فيا أيها الفتى القاريء الكريم لا تعد تسامح الهيئات الاجتماعية مع الفتيان في هذه الاحوال شريعة شريفة . ان هو الاّ انحطاط في الهيئة الاجتماعية . فكن انت شريف النفس وعدّ ل هذه الشريعة لنفسك ، وحافظ على سمعتك وآدابك ، واحترم حرمة سواك ، تجد جزاء هذا في حياتك الزوجية العتيدة سعادة وهناء

٥ — صحة التبتل

وشيطان الغواية يزين لاخساء النفوس الشهوانيين ان العفاف مضرٌّ بالصحة ، فينتحلون هذا القول عذراً لانغماسهم في الدعارة . ولمن يعتذرون ؟ للناس ؟ فما الناس حكامهم ، وانما قضاتهم فيحكمون عليهم بسوء السيرة والسمعة . فان كانت تهمهم سمعتهم فهذا العذر لا يرفع عنهم لطخة العار لانه غير صحيح . وان كانوا يعتذرون امام ضميرهم فهم يضحكون على ضميرهم ، وهذا الضحك لا يدرأ عنهم عواقب الفاحشة .

اما القول ان التبتل ضار بالصحة فكما قلنا ليس إلا غواية شيطانية . لان الحقيقة هي العكس بشهادات اهل العلم ، واليك اهمها :

«اعلنت لجنة العلوم الطبية في جامعة خريستيانا » ان مايزعمه بعض الناس ويذيعونه من ان التبتل مضر بالصحة انما هو افك وبهتان . والاختبار يبطله بتاتا . ولذلك نصرح بالاجماع اننا لا نعرف حالة مرضية أو شكلا من اشكال ضعف البنية يمكن ان يكون ناجماً عن حياة التبتل والعفاف بتاتا »

وقرر مؤتمر بروكسل الدولي الصحي العام في سنة ١٩٠٢ قراراً فحواه : « على الشبان

ان يعلموا أن العفة أو حياة البتولية ليست غير ضارة بالجسم فقط بل هي فضيلة صحية . ويجب ان تتعزز هذه الحقيقة من الوجهة العلمية الهيجينية »

وقد اشتهر الدكتور اوغست فورل من زوريخ في سويسرا بمعالجته المواضيع التناسلية في كتابه المشهور « المسألة التناسلية » وقد قال بهذا الشان ووافقه زميله البارون كرانت ابنغ من جامعة فينا : « نقرر ونؤكد ان العفة (او التبتل) مدة عزوبة الفتى الى حين زواجه صحية جداً ، ليس بالمعنى الادبي والفني فقط ، بل من الوجهة الهيجينية ايضاً »

وقد سأل المستر هارون بول رئيس التحالف العفافي الاميركي في مجمع الاطباء المؤلف من معظم مشاهير الاطباء في نيويورك عن رأيهم بهذا الشأن فكان جوابهم هكذا :

« نحن الموقعون ادناه اعضاء النقابة الطبية في نيويورك وضواحيها مجمعون على التصريح بان العفة لكلا الجنسين صحية جداً جسدياً وعقلياً وادبياً »

الفصل الثالث

الموبقات المتملكة

من مدنسات العفة

ا - ادمان المسكرات

١ً — كيف نشأت عادة المسكرات
٢ً — تأثير الخمور في القناة الهضمية
٣ً — تأثير الخمور في القلب والدم
٤ً — الكحل كغذاء
٥ً — تأثير الكحل في الجهاز العصبي
٦ً — تأثيره في الكبد والكليتين
٧ً — عواقب الادمان القصوى
٨ً — تأثيره الادبي
٩ً — تأثيره في النسل والمجتمع
١٠ً — حذار الكأس الاولى

ب - الافيون ومشتقاته

١ً — تأثيره في الجهاز الهضمي
٢ً — تأثيره في الدم
٣ً — تأثيره في التنفس
٤ً — في الجهاز العصبي
٥ً — في الكلى وغيرها
٦ً — التسمم
٧ً — التسمم المزمن
٨ً — العواقب الفظيعة
٩ً — تأثيره العقلي والادبي

ج - الكوكايين

١ً — تأثيره الموضعي
٢ً — تأثيره في الجهاز العصبي
٣ً — تأثيره في القلب والدورة الدموية
٤ً — في الجهاز التنفسي
٥ً — في الجهاز العصبي
٦ً — التسمم بالكوكايين
٧ً — نتائج العادة

د - الحشيش

١ً — في المعدة
٢ً — في الجهاز العصبي
٣ً — في الاجهزة الاخرى
٤ً — عواقبه الفظيعة

هـ - التدخين

١ً — النيكوتين السام
٢ً — عواقب التدخين
٣ً — تأثيره في الاحداث
٤ً — الاعتدال في التدخين

الموبقات المتملكة

من صفحات العفة

غريب وأي غرابة ان الانسان الذي يمتاز على الحيوان بعقليته التي ترشده الى الصواب وتمنحه قسطاً وافراً من الحرية وتُحكِّمه بسائر انواع الحيوان وتقدره على استخدام قوى الطبيعة — هذا الانسان القدير يقع تحت سلطة عادات ضارّة به ويستسلم لها، ولا يستطيع بعد ذلك ان يطرح نيرها عن رقبته . والحيوان الذي هو أحطُّ منه جداً يعرف كيف يتجنب الامور المؤذية له مهما كانت غرّارة ومغوية . الحيوان لا يأكل النباتات السامة أوالمخدرة، لان غريزته ترشده الى عدم صلاحيتها له من غير أن يفهم وجوه الأذى فيها . اما الانسان وهو يعلم تمام العلم عواقب ادمان المسكرات وتملك عادات تعاطي الافيون والمورفين والكوكايين والحشيش والتدخين الخ واضرارها القتالة، ويرى في مدمنيها ومتعاطيها شواهد كثيرة على فتكها، مع ذلك يتعاطاها ويدمنها ويخضع لسلطان عاداتها . اليس هذا عجيباً ؟

اننا نستغرب كيف دخل شيطان هذه الموبقات الى نفس الانسان فأغواها وتسلط على ارادته فاعتقلها، ثم استعبد شخصيته وتحكم فيها بظلم واستبداد

ولما كان ادمان المسكرات شائعاً في كل العالم تقريباً، وليس عندنا أقل شيوعاً،

واستعمال الكوكايين والهيروين (أحد أملاح المورفين) اخذ يغزو الشرق كما هو يغزو الغرب ايضاً ، واستعمال الحشيش كان رائجاً منذ زمان في هذا القطر - رأينا أن نتبسط في بيان اضرار هذه العادات الخبيثة وعواقبها القتالة تحذيراً للشبان وللشابات ايضاً لئلاً يغويهم شيطانها فيُطرَدون من فردوس السعادة في هذه الحياة فضلاً عن الآخرة

ا - ادمان المسكرات

أ — كيف نشأت عادة المسكرات

اما الخمرة التي تطلق الآن على عددٍ من اصناف الاشربة الروحية فقديمة العهد في حياة الهيئة الاجتماعية . وربما كان سبب نشوئها وانتشارها ان الكرّامين قديماً كانوا يخزنون العنب الناضج الوافر عندهم فيختمر اختماراً كُحُلياً حتى اذا اكلوه ذاقوا طعماً آخر له مستعذباً ، وشعروا بعده بنشوة مبهجة وبنشاط وبهمة لا يعهدونهما . فاكتشفوا ان ذلك في خزنه . ولعلهم لم يعلموا امر الاختمار حينئذٍ . ولكنهم لما صاروا يعلمونه صاروا يعصرون العنب ويخزنونه لكي يختمر ويشربونه ويسمونه خمراً ، والنكهة التي يجدونها في ارتشاف الخمرة ، والنشوة التي تعقب ارتشافه ، كانتا تغريانهم على الاكثار من ارتشافه فأصبح إدماناً . وبالرغم من عواقب السكر المباشرة كالقيء والدوار والترنح واضطراب الوجدان وانتفاء توازن القوى العقلية يعودون الى ارتشافه كلما انتهت نشوته تجديداً لها ، لأن في هذه النشوة تخديراً للجهاز العصبي ينتهي برد فعل ، أي بهياج لا تخفُّ ثورته إلا بتعاطي المخدر ثانية . وهكذا تنشأ العادة وتتسلط وتتحكم وتستحكم بارادة السكّير وقواه العقلية

العنصر الفعال في الخمرة هو الكُحُل [1] (او السبيرتو) وهو سائل خفيف يمتزج

---

(١) اخذ الافرنج هذه اللفظة عنا فقالوا Alcool , alcohol ثم عدنا فاخذناها عنهم فقلنا الكحول والصواب الكُحل بضم الكاف والحاء

بالماء بسهولة ، سريع الالتهاب . يوجد في أنواع الخمور المختلفة على نسب مختلفة تتراوح بين ٨ الى ٥٠ أو ٦٠ بالمئة

ولبيان تأثيرات الكُحُل في الجسم نلخص عن أحدث كتب المواد الطبية ما نصّ عليه بهذا الموضوع .

٢ — تأثيره في القناة الهضمية

يبتدىء فعل الكحل الموجود في الاشربة الروحية أو أنواع الخمور المعتدلة بمجةٍ في الفم خاصة به ، وبحرقة مؤلمة ، وتهيج في الغشاء المخاطي في الحلق واللسان . واذا حفظ هنيهة في الفم ينكمش النسيج الابيثيلي (الظاهري) ويكثف ويبيضّ ، وتتخدّر الأنسجة التي تحته فيضعف احساسها . ولذلك يمكن تسكين بعض أنواع ألم الاسنان بالمضمضة بشراب كُحُلي . وفيما هو في الفم يحرض الغدد اللعابية فيفيض اللعاب . والخمر المعتدل المقدار الكحلي الطيب المذاق ينبه الشهوة للطعام ويحرض المعدة

وتأثير الكُحُل في المعدة مختلف مختلط مركب

١ — متى امتزج الخمر او الشراب الكُحُلي بمحتويات المعدة ينحلّ بعضه الى الدهيد Aldehyde وحامض خلّي ، ويرسب البيسين ومختلفات البروتون والبروتايد . والبيسين من أهم عناصر العصارة المعدية التي تهضم الطعام . فمتى رسب تعذر الهضم

٢ — يحرّض الكُحُل غشاء المعدة المخاطي ويهيجه ، فيمدد الاوعية الدموية فتمتلىء دماً . ويحرض ايضاً غدد العصارة المعدية فتتدفق ، ويهيج الشهية للطعام ، ويحمس الحركة في الجهاز الهضمي . ولولا انه يتلف العصارة المعدية إذ يرسّب أهم عناصرها ويبطل فعلها لكان فعله في المعدة جزيل النفع . ولو لم يكن مغرياً وتكراره قاضياً بالادمان حتماً لكان استعمال المقادير القليلة منه نافعاً ، لأن القدر القليل يحرض المعدة ولا يعطب إلا النزر اليسير من عصارتها . ولكنه ويا للاسف شيطان مغوٍ غرار فتان . ومزية التنبيه والتحريض التي له لا تساوي جزءاً يسيراً من أذاه . والجسم السليم لا يحتاج الى تحريض معدة ، لان المعدة تعمل عملها اللازم وتقوم بواجبها بلا منبه . ولا لزوم لهذا التنبيه او التحريض ولا داعي له إلا النهم والشره

بلى يلزم القليل جداً منه في بعض الاحوال المرضية كدواء وقتي حيث يضعف نشاط الاعصاب والاوعية والغدد الخ. واما الكثير منه (وتكراره) فيتلف فاعلية العصارة المعدية ويقلص الاوعية، ويحدث افراز المخاط القلوي بغزارة، وهذا يعرقل الهضم جداً ويفضي اخيراً الى مرض سوء الهضم المزمن. لذلك ترى ان معظم مدمني الخمر يشكون من معدهم، ويعالجونها بالتي كانت هي الداء، فتزداد سقماً يقصر اعمارهم

٢ً — ان فعل الكحول على جدران المعدة يمتد الى ما حولها. فالقلب ينشط بفعل قدر قليل من الخمر، فيرتفع مقدار ضغط الدم ارتفاعاً سارًّا ويشعر المرء بنشاط عمومي في جميع قواه. وتتمدد الاوعية عموماً وتمتلىء الاعضاء الحيوية دماً، فيزداد نشاطها وتتحمس حيوية الدماغ تحمساً فائقاً. والجلد يتورد ويدفأ.

وانما، اذا زيدت الجرعة، وتبعت الكاس الثانية الاولى — وهو الامر المعتاد ولا مناص منه متى كان تعاطي الخمرة يتكرر كل يوم — فهذه المزايا الحميدة التي للخمرة تنقلب الى مزايا خبيثة. فذلك النشاط يتحول الى هبوط ووني. واذا زيد المقدار كثيراً أفضى فجاءة الى صدمة قاتلة

٣ً — تأثير الخمور في الدم والقلب

يتطرق الكحول الى الدم بكل سهولة من غير ان ينحل، وقد يدخل معه ما انحلّ منه في المعدة الى الدهيد، ويتوزع بواسطته على جميع الانسجة والاجهزة والاعضاء. وقليل منه يذهب حامضاً كربونياً وحامضاً خلياً. فلو اخذت قدراً من دم سكران وادنيت اليه لهباً لالتهب كما تلتهب الخمور دلالة على وجود الكحل فيه

وبعد أن يُمتص الكحول يكون تأثيره في القلب واضحاً. فيشتد النبض ويقوى ويسرع بسبب نشاط العضلات القلبية. وكذلك تتمدد الشرايين السطحية بسبب تأثيره في المراكز العصبية التي لاعصاب القلب وتتمدد الاوعية. ولهذا السبب يشتد ضغط الدم على جدران الاوعية الدموية. ومن نتائج هذه الحركة « فرفحة » العقل واستقواء العضلات وغزارة البول ونضح الجلد العرق. على ان هذه الحركة التحريضية لا تطول كثيراً، بل لاتلبث ان يعقبها انحطاط يستمر طويلاً. واعلم ان القلب الذي

هو اول ما يتحمس ينتهك جداً بعد أن تنقضي الحركة الحماسية . والجرعات الكبيرة من الكُحُل لا تقوي القلب بل تصرعه وتشله . ولذلك من الخطاء الظن ان الكُحُل يساعد الشخص على العمل العضلي من غير عناء أو كلال . بل هو بالعكس يتعب كثيراً وينتج عملاً قليلاً

اما فعله على كريات الدم فلا يزال غامضاً بعض الغموض وانما ثبت انه يثبت الاوكسيجن بالهيموجلوبين (المادة الحديدية في الدم) . مع ان وظيفة الكريات الحمراء أخذ الاوكسيجن من هواء الرئتين في اثناء التنفس وتوزيعه على الانسجة وخلياتها . فاذاً الكحل يسبب تقليل هذا التوزيع، وبالتالي يمنع الى حدٍّ عملية التغذية العام في الجسم Metabolism

٤ً — الكحل كغذاء

يمكن أن يتأكسد الكحل المنتشر في الجسم اذا كان قليلاً جداً ، أي انه يحترق ويتحول الى حرارة، كما هو الحال في المواد الكربوهيدرائية كالسكر والنشاء الخ. ولكنه اذا اخذ قدراً فوق الجرعة الطبية أحدث التحريضات التي تقدم ذكرها وجعل يخرج كما دخل من الرئتين مع النفس ومن الكليتين مع البول قبل ان يتأكسد. وفي حالة تأكسده لا وظيفة له في بناء الخليات ، وجل ما يفعله انه ينتج حرارة قليلة كما تقدم . هذا اذا كان قليل المقدار ، والاَّ انعكس فعله كما علمت

مع ذلك لتأكسد الكُحُل في الجسم على نحو ما تقدم ضرر يفوق جداً على نفعه الذي لا حاجة له والجسم في غِنًى عنهُ ، لانهُ يعرقل اكسدة المواد الاخرى Metabolism وعرقلة عملية الاندثار والتعويض (Wear and tear) . ولا محل هنا للاسهاب بهذا الموضوع الخطير الشان لأنه فني محض . وانما بالاجمال نقول ان الكحل يعطل عملية الميتابوليزم المشار اليها آنفاً. وهي من أهم العمليات الحيوية في الجسم ونتيجتها القصوى الانماء العمومي

٥ً — تأثير الجهاز العصبي

أهم تأثير للكُحُل تأثيره في الجهاز العصبي . فالتأثير الاول للجرعة الطبية منه

التحميس والتحريض . فيبتدىء التحريض في الدماغ ثم يتسلسل الى درجات المراكز العصبية من أعلى الى أسفل حتى يعم جميع الاعصاب . فالمراكز العصبية في الدماغ والحبل الشوكي تنشط نشاطاً ظاهراً — التخيل يتلألأ والعواطف تتضخم والعقل ينجلي والحواس تكون حادة الحساسة ، والشعور بالقوة البدنية يرتفع ، والشهية تتحمس تحمساً وقتياً ، ومراكز التكلم والحركات العضلية تنشط فيكثر الكلام وتتواتر الحركات الاشارية باليدين وغيرهما . وبالاجمال يشعر المرء بنشاط وبهجة في كل جسمه وجهازه العصبي على الخصوص

فاذا أُخذت الاشربة الروحية زيادة عن الجرعة القانونية كما يفعل الشاربون المدمنون حدث التحريض والتحميس الموصوفين آنفاً بأبلغ مايمكن ، ولكنهما لا يلبثان أن يتحولا عاجلاً الى هبوط عام يبتدىء في الدماغ وينتشر في جميع درجات المراكز العصبية على نحو ما حدث التحريض

فأولاً تعجز قوة التعقل والحكم السديد في حين ان قوة التخيل والعواطف وقوة التكلم لا تزال متحمسة . ثم تضعف قوة التخيل وقوة الارادة او تفقدان . فيثرثر السكران ويضحك ويغني ويبكي من غير داعٍ . ثم يفقد السيطرة على هذه ايضاً ، فيتلعثم لسانه بالكلام الى ان ينعقد . ثم ترتخي عضلاته : فأولاً لا يستطيع الكتابة والعزف الى غير ذلك مما يستلزم الحركات الدقيقة . ثم تختل الحركات الاخرى ، واخيراً تنشل الاعضاء كلها . وقد يشتد به الامر فيتغوط ويبول على نفسه من غير ان يشعر . واخيراً ينشل مركزا الجهازين التنفسي والقلبي فيموت

ومن نتائج هذا الهبوط العام ان هبوط مركزي الجهاز الدموي والجهاز التنفسي يفضيان ايضاً الى اضطراب التنفس ، ثم ضعفه ، وتقصير التيار الدموي الى حد الموت . وكثيراً ما يموت السكيرون من ذوي الطبقة الواطئة الذين لا يقدرون العواقب ، فيتمادون في الشرب الى ان ينصرعوا في الشوارع ويُنقَلوا الى دائرة البوليس : إما مفارقي الروح او في حالة النزع . وليس على من يروم ان يتحقق ذلك إلا أن يستقصي عن احصاء صريعي الخمرة في دوائر البوليس

٦ً — تأثيره في الكبد والكليتين

بعد امتصاص الجسم الكحل من المعدة يمر في الكبد عن طريق التيار الدموي، فيؤثر في الخليات الكبدية ويحدث فيها التهاباً. وقد يزول هذا الالتهاب في بضعة ايام اذا لم يتجدد تعاطي الخمور. وانما اذا كان المرء مدمناً للخمرة يزمن هذا الالتهاب ويحدث تضخماً في الكبد، ولا يندر ان يحدث خراجاً فيه

واما في الكليتين فيزيد الكحل ادرار البول قليلاً بسبب تمدُّد الاوعية الدموية الكلوية، ويخرج جانب كبير من الكحل عن طريق الكليتين فيهيجهما. وادمانه يفضي الى التهابهما المزمن Chronic Nephritis

٧ً — عواقب الادمان القصوى

اما عواقب التسمم المستمر بسبب ادمان المسكرات فكثيرة وكلها تنغص الحياة وتعجل الوفاة واهمها:

١ً — التأرُّق بسبب الاضطراب العصبي المتتالي

٢ً — الارتجاج العضلي بسبب ضعف الاعصاب المحركة. وهذا الارتجاج يسبب اضطراب الحركات البدنية

٣ً — اضطراب مزعج في وظائف الجهاز الهضمي. وهذه النتائج الثلاث تظهر باكراً في المدمن

٤ً — التهاب معدي مستمر

٥ً — التهاب الاعصاب في سطح الجسم او اطرافه

٦ً — تضخم الكبد الذي يحدث اخيراً الاستسقاء

٧ً — التهاب كلوي مزمن يحدث تسمماً عاماً في الجسم بسبب ارتداد قسم من البول لتعذُّر الكليتين عن ادراره

٨ً — تمدد القلب وارتخاء جدران تجاويفه. ولا يخفى ما معنى هذا الخلل في القلب وتعرضه للخطر بسببه

٩ – داء النقرس المسمى داء الملوك، وهو ألم شديد في المفاصل

١٠ – اضطراب عصبي عام مستمر مختلف الاعراض والنتائج ، ومنها الارتعاش

١١ – الصرع

١٢ – الفالج

١٣ – الخبل والبله والجنون

١٤ – هزال عام . اما الذين يشربون البيرا والجن فغالباً يسمنون ، وانما سمنتهم ليست صحية،لأن الدهن يتكون بسبب قلة احراق المواد الكربوهيدراتية . وقلة هذا الاحراق تنتج عن ان الكُحُل يمنع افلات الاوكسيجن من كريات الدم الحمراء . ولذلك نرى هؤلاء السكيرين السمناء قليلي القوة عديمي النشاط

١٥ – المدمنو الخمر لا يستطيعون مقاومة الأمراض الخبيثة القتالة كذات الرئة والطيفوس والطيفوئيد والالتهاب السحائي الخ ولذلك هم معرضون لها اكثر من سواهم. واذا انتاب أيُّ داء منها سكيراً قضى عليه بلا محالة

شاربو الجن معرضون على الخصوص لتضخم الكليتين والكبد

١٦ – ان ضعف الرئتين بسبب تأثير الخمور يعرضهما لمرض السل ، اذ تعجزان عن مقاومة مكروب هذا الداء الوبيل . واذا تحريت اصابات السل في أي مكان وجدت ان اكثر من نصفها في السكيرين او مدمني المسكرات

١٧ – ان أذى ادمان المسكرات يبلغ اخيراً الى الجهاز التناسلي . فيعطبه وقد يعطب الغدد المنوية فتخرج الجراثيم منه ميتة او ضعيفة جداً . وكثيراً ما يصاب السكيرون بعنة لا تعالج

١٨ – لقد اثبت الدكتور متشنيكوف العالم الروسي العظيم الذي خلف باستور في معهد باستور في باريس ان ادمان الخمور احد العوامل الثلاثة[1] التي تسبب تصلب الشرايين Arterio Sclerosis وهو مرض عضال شديد الخطر يعطب القلب ويسبب انفجاراً في شرايين الدماغ ، فيحدث فالجاً او شللاً لا براء له

---

(١) العاملان الآخران هما الزهري والتعفن المستمر في المعى الغليظ بسبب الامساك او غيره من الامراض المعوية

٨ً — تأثيره الادبي

تلك أهم عواقب الخمرة في أجهزة الجسم الحيوية . واما عواقبه العقلية والادبية فلا تقل فظاعة عن تلك

١ً — ان الارادة متى ضعفت تجـاه عادة السكر يعم ضعفها تجاه جميع الامور . فلا يمكن أن ننتظر من مدمن الخمرة حزماً وعزيمة وادارة نافذة . السكير لا يمكن أن يكون مدير عمل او رئيس عمال . والعمل الذي يديره يفشل ، والعمال الذين يرأسهم لا يلبث ان يقوم من بينهم من يقلبه عن كرسي رئاستهِ ويحل محلهُ

٢ً — ان الضعف العقلي العام الذي يسببه ادمان الخمور تظهر آثاره في اعمال السكير واشغاله سواء كان مستقلاً أو مستخدَماً . لان ضعف ذاكرته وسقم قوة الاستدلال والاستنتاج فيه وطموس صفحات التخيل والتصور في مخيلته ، كل ذلك يعرضه للخطإ وارتكاب الاغلاط في اعماله ، الامر الذي يخرب عمله ان كان مستقلاً ، أو يسبب عزله ان كان مستخدماً ، او على الاقل يحول دون ترقيتهِ

٣ً — ان الخمول الذي يمنى به السكير ، او الكسل الذي يتسلط عليه ، يجعله كثير الاهمال في اشغاله واعماله ، الأمر الذي يفقده ثقة الاخرين به فلا يعود أحد يستأمنه على عمل او يكل اليه قضاء مهمة

أما ما يزعمه البعض من ان الخمرة تنبه اذهان أصحاب الاشغال العقلية كالكتاب والشعراء الخ فهو وهم ، لأن هذا التنبيه وقتي يعقبه الونى والخبل عاجلاً ، فلا يستطيع السكير أن يتمّ عملاً حق الاتمام

٤ً — تنحط ادبية المدمن كثيراً ويفقد عزّة نفسه وكرامتها ، ولا يبقى له من الاخلاق المتينة ما يعصمه عن ارتكاب الآثام ، فيستسهل السرقة والكذب والخيانة والقمار ، ولا يأنف ان ينغمس في الرذائل والموبقات والاختلاف الى مواخير الفساد والعهارة . وهكذا يفقد منزلته الادبية من غير اسف عليها ، ولا يجني بعد ذلك إلا الاحتقار والعار

٥ً — تتلاشى مطامعه في مقتضيات الحياة ، فيسعى الى الرزق من الطريق الاقصر

ولو كانت نتيجة السعي ضئيلة لأن الكسل يتسلط عليه . وربما عاف العمل واقتصر على الاستعطاء . واذا كان ذا ثروة موروثة بددها عاجلا ، لانه لضعف ارادته وعقليته لا يحسب حساباً للمستقبل . ولا بد أن تكون نهايته الفقر في كل حال

٦ — تموت عواطفه ويتلاشى حبه ولا يبقى إلا حبه لنفسه . ومع ذلك يكون حبه لنفسه ضعيفا ايضاً بدليل ضعف مطامعه . فاذا كان رب عائلة فلا يهتم باولاده ولو رآهم يشقون . اعرف سكيرين كثيرين كانوا في حالة حسنة وهم في مقتبل العمر ، فجعلوا ينفقون ثروتهم على ملذاتهم ومسكراتهم بدل ان ينموها و يورثوها لاولادهم مضاعفة . ولما انتهت الثروة وساءت حالهم عجل القضاء على حياتهم فغادروا العالم وتركوا اولاداً قاصرين في شقاء لا مزيد عليه

حاشية — ان هذه العواقب الادبية التي رأيتها في ادمان الخمر لهي افظع جداً من عادات الافيون والمورفين والكوكايين والحشيش

٧ — تأثيره في النسل والمجتمع

لقد اثبت الاستقراء والاحصاءات العديدة والملاحظات العامات ان ادمان المسكرات وتأثيراته تنتقل بالوراثة الى الاولاد والاحفاد ، وان نسل السكرين وسائر من يتعاطون المخدرات الاخرى كالافيون والكوكايين الخ يكون ضعيفا ولا يندر ان يكون بعض المواليد مصابين بالعنة و بعض الآفات .

وسنفرد لهذا الموضوع فصلا خاصاً فيما يلي . ونجتزيء هنا بالقول ان وراثة مواليد السكرين الضعف العام تضعف السلالة كلها على التمادي . واذا كان السكر خلة أمة اضعف الامة كلها في المستقبل وافضى بها الى الفناء ، ولا سيما اذا كان لابد لبقائها من منازعة الامم الاخرى

وقد تجلت هذه الحقيقة لاهل اميركا الشمالية ، لانهم كلهم اهل علم واخلاق نبيله يقدرون المقدمات ونتائجها حق قدرها ، فقررت مجالسهم النيابية كلها منع تعاطي الخمور ومنع استقطارها في البلاد ، ومنع دخولها من الخارج اليها . وستجني هذه الامة العظيمة بعد جيل واحد ثمار العافية العقلية والجسدية ، وسيرى العالم انها تزداد تفوقا

على سائر الامم، وستكون لها الغلبة والسيطرة، وربما كانت سيطرتها خيراً للعالم وقد حذت تركيا الحديثة حذوها بهذا الشأن وسيكون لها نصيبها من النفع.

ومما يذكر بالثناء والفخر اهتمام جمعية مقاومة المسكرات في هذا القطر برئاسة سمو البرنس عمر باشا طوسون في اتخاذ كل وسيلة ممكنة للقضاء على تعاطي الخمور. ولنا الامل أن تنجح اخيراً كنجاح اميركا

١٠ً — لا نغفل عن الضرر الاقتصادي، ليس فيما تستنفده الخمور من الاموال فقط، بل فيما تجره من الاسراف والتبذير ايضاً. ومهما كان السكير، أي مدمن الخمر، بخيلاً فانه سخي على الخمور. يضن بكثير من كماليات المعيشة وضروريّاتها ايضاً، ويقتر على عائلتهِ ولكنه متى جلس على خوان الشراب صار كريماً جوّاداً، ليس على نفسه فقط بل على صحبه ايضاً. والغالب ان السكير ينفق في جلسة شراب اعتيادية اكثر مما ينفقه على نفسه من النفقات الاخرى الضرورية وغيرها، وربما بلغت نفقة الشرب ضعفيها، اذا كان عازباً. ناهيك عن أن تعاطي الخمور يدفع المدمن الى الانغماس في الرذائل الاخرى كالدعارة والقمار. ولايخفى ان هذه تستنفد جانباً كبيراً من المال ايضاً.

ولو امكننا احصاء النفقات التي تذهب في سبيل الاشربة الروحية وعلمنا نسبتها الى الثروة العمومية، أو الى ماينفقه الناس في سبيل حاجياتهم وكمالياتهم الاخرى، لهالنا هذا الحساب، ولاستجهلنا الجنس البشري الذي يضيع نحو ربع أو ثلث نتاجه في سبيل اذى نفسهِ، ولقلنا ان الحيوان الاعجم اعقل منه

١٠ً — حذار الكأس الاولى

ذلك هو مجمل اضرار المسكرات وعواقبها. ولا نظن احداً يظننا مبالغين في البيانات المتقدمة، لان الشواهد على صحتها كثيرة، وكل يوم يراها الناس، ولاسيما سكان المدن. وكل هذه الاضرار الفظيعة التي تذهب بسعادة المرء وتنغّص عيشه وتودي بحياتهِ انما هي نتيجة تساهل بسيط في الكؤوس الاولى، حتى اذا تكرر الشرب بضع جلسات وتكررت الكأس في جلسة جرت العادة وتسلطت وكانت نتيجة تسلطها انها تجعل

لطريق الحياة الراقي مفرقاً يتراءى انه مواز للطريق الطبيعي، ولكنه لا يلبث ان يبان انحداره الى هاوية سحيقة يتعذر جداً تداركها والاتجاه ثانية الى الطريق القويم الصاعد الى قمة الرقي

ففي الكأس الاولى البلاء المحجَّب. تتراءى هذه الكاس عديمة الضرر وقد تعتقد انها نافعة ومقوية ومنبهة، ولكنها مفرق الطريق الذي يظهر لك جزءاً من الطريق نفسهِ. فلذلك نحذر جداً من الكأس الاولى مهما تراءت انها عديمة الضرر. فهي بالحقيقة لا تضر ولكنها تشق الطريق الى هاوية الاضرار.

تستغرب ان الكأس الواحدة تجلب الكؤوس وتفضي الى مصائب السكر. ولماذا لا تستغرب ان بزرة خردلة بسيطة اذا وقعت في الارض نبتت وصارت شجرة تورق وتزهر وتثمر. فاين كانت هذه الشجرة واين كانت اوراقها وزهورها واثمارها؟ والجواب: كانت مكنونة في الخردلة كما ان بلايا السكر كانت مكنونة في الكأس الاولى

لذلك نعيد التحذير من الكأس الاولى ولا سيما لانها ليست لازمة للحياة بتاتاً. فالانسان يستطيع ان يعيش بلا خمر، بل يعيش عيشة طبيعية صحية. لأن الخمرة دخيلة في كماليات الحياة، ولا ريب ان روحاً شريرة ادخلتها، فلذلك يجب طرد هذه الروح لانقاء جحيمها

وقد يلوح في بال القاريء، اذا كانت الخمرة مؤذية هذا الأذى فلماذا يصفها الطبيب احياناً؟ نقول ان الخمر والكُحُل المستعمل كدواء يعطى بمقادير غير ضارة بل مفيدة لاحوال خاصة، ويعطى ممزوجاً بمواد اخرى، فلا يسكر ولا يخشى ان يُصبح عادةً. فهو كسائر السموم الزعافة القتالة التي تعطى للمريض بمقادير طبية لا تقتل ولا تضر، بل كثيراً ما تنقذ حياة المريض

واذا كان لشارب الكأس الاولى هذا المصير وهو الجنوح من طريق الصواب المؤدي الى قمة الرقي، الى هاوية التعاسة والشقاء، فما اعظم جنون الوالدين اللذين يصحبان اولادهما الى حانات المتنزهات العمومية ويشركانهم معهما بالتساقي، ولاسيما لأن الخطر من العادة على الاحداث اعظم منه على الكبار. والضرر الذي يصيب الاولاد من الكحل اشد جداً من الضرر الذي يصيب الكبار. العادة أملك للصغار عاجلاً

وبعنف منها للكبار . وتأثير الخمرة في قلوب الصغار واجهزتهم العصبية اشد منه جداً في الكبار . ان الذي يسقي ولده كأساً أو بعض كأس يكون ساقيه كأس الشقاء في مستقبل الحياة .

لذلك نحذر الوالدين جداً من تجرئة اولادهم على الشرب . حسبهم انهم هم جنحوا في طريق الضلال ، فلماذا اولادهم ؟ ان الاب العاقل الحنون العطوف لا يدع الخمرة تدخل الى بيته ولا يدع اولاده يرون الكأس في يده بتاتاً ، ولا يؤذن لهم ان يجلسوا في مجلس المنساقين والندامى

ب - الافيون والمورفين والهيروين

اذا كانت الخمور كحلاً فالافيون ومشتقاته عمىً . ولأن هذا العقار يسكن أشد الآلام سريعاً فقد سمّي « الدواء الالهي » . ولكن ، لان نتائجه فظيعة وتسكينه للآلام ليس إلا اغواء واغراء ، فالاجدر أن يسمى الدواء الشيطاني

يؤخذ الأفيون من السائل اللبني الذي ينزفه الخشخاش (أبو النوم) المجروح قبل نضجه . فمتى تجفف هذا السائل أصبح أفيوناً . وفي المعامل يعالج لكي يصبح نقياً . وأما المورفين فهو أهم عناصر الافيون الفعالة . ونسبته اليه نحو نسبة واحد الى عشرة . والهيروين أحد أملاح المورفين الكيماوية . وللأفيون عناصر أخرى فعالة وكلها مخدرة كثيراً أو قليلاً . ولا محل هنا للتبسط بالأفيون من الوجهة الكيماوية ، لأن غرضنا الرئيسي بيان فتكه بالجسم الانساني . فنلخص ماورد عنه في كتاب المواد الطبية للدكتورين بير وجوش

١ — تأثيره في الجهاز الهضمي

اذا أخذ الافيون (أو المورفين) جرعة طبية متوسطة أحدث جفافاً في الحلق واللسان والحنجرة لانه يشل الغدد اللعابية . وكذلك يفعل في المعدة فيقلل الحساسة فيها وافراز العصارة المعدية ويضعف الحركة الدودية Peristelsis اللازمة لتحريك الطعام

والغالب انه يحدث غثياناً وقيئاً، لا لهياج في المعدة، بل لحدوث بعض مركبات مع الابومورفين (أحد مشتقات الافيون) فتؤثر على المركز العصبي الخاص بالقيء. ونتيجة هـذه المفاعيل ضعف الشهية وضعف الهضم أو توقفه، وسكون الامعاء ان كان ثمت ألم. ومتى دخل الى الامعاء فعل مثل هذه الافعال بحالة أشد. فيقل الافراز فيها وتضعف جداً حركتها الدورية فيحدث امساك شديد.

٢ — تأثيره في الدم والدورة

يدخل المورفين (عنصر الافيون الفعال) الى الدم بابطأ ما تدخله العناصر (اشباه القلويات) الاخرى. وقد وجد في الانسجة متأكسداً (Oxydimorphine) فأذا اخذ جرعاً صغيرة تحمس القلب بسبب تأثيره في أنسجته العضلية العصبية وفي مركز عصبه. وانما الجرعة الكبيرة منه تحدث هبوطاً عظيماً لتأثيره مباشرة على الاعصاب، فيضعف النبض ويبطؤ جداً. واذا كانت الجرعة مميتة ظهر هذا الضعف في النبض بكل جلاء، واستحال بعدئذ رده الى سرعته المعتادة. ولذلك ينتهي أمره بالسكون والموت بسبب انشلال الجهاز التنفسي الذي يسبق سكونه

٣ — تأثيره في التنفس

يحدث المورفين هبوطاً في الجهاز التنفسي. فأذا حدث تسمم به بطؤ التنفس جداً الى حد أن يصبح ٣ أو ٤ مرات في الدقيقة ولا يكون عميقاً. ولذلك يتراكم الحامض الكربوني في الدم (لأن وظيفة التنفس تنقية الدم منه كما تعلم). واذا كانت الجرعة كبيرة يفقد المركز العصبي التنفسي شعوره. ولذلك يموت الشخص مختنقاً.

الافيون ومشتقاته تقلل افراز الصفراء فيظهر الغائط باهت اللون أو دلغانياً.

والجرعات الكبيرة تنزل حرارة الجسم

٤ — تأثيره في الجهاز العصبي

أهم تأثير للافيون ومشتقاته هو الجهاز العصبي. فالجرع الصغيرة منه أو الزهيدة تنبه القوى العليا، لأنها تؤثر في خليات التلافيف الدماغية (Convolutions) لا في

التيار الدموي الدماغي كما يُظن. ففي أثناء ذلك (عند البعض) يكون التأثير تحركا عالياً في العواطف : فالتخيل يسرُّ لاقترانه بالشعور بالغبطة والسعادة والهناء والراحة . وعند بعض آخر تتعالى الفاعلية العقلية فيمكنهم أن يحصروا أفكارهم في الموضوع اكثر. وعند اكثر الناس ليس لهذه التنبهات العقلية قاعدة مطردة. فالغالب أن تكون التصورات مبالغاً بها وهوائية

على ان هذا التحمس او التنبهُ لا يدوم طويلا ،بل لايلبث أن ينقضي . ويليه هبوط عميق مقرون بدوار يفضي الى نوم يختلف عمقه باختلاف مقادير الجرعات . وبعد الاستيقاظ يشعر المرء بصداع وغثيان

وفي هذه الدرجة تنحط أولا قوى المراكز العقلية العليا . ثم تنحط القوى الاخرى بعدها وتتخدر الحواس كلها من بصر وسمع ولمس الخ ، فلا يعود النائم يشعر بألم . واذا كانت الجرعة كبيرة كان الخماس قصير المدة جداً ، أو قد لا يحدث اذ يعجل النعاس فالنوم فالسبات أو الغيبوبة ، وينحط المخ انحطاطاً كثيراً وتتقلص حدقة العين ويضيق البؤبؤ جداً

وأما خليات المراكز المحركة في الدماغ والحبل الشوكي فهي أول ما يتحمس وأول ما ينحط أو يختبل ويتخدر في الجهاز العصبي ، بدليل ان التأثير يبتدىء بقاق ثم ينتهي بضعف عضلي . والاعصاب الحساسة والمحركة تتأثر كذلك أيضاً .

بؤبؤ العين يتقلص جداً حتى يصبح قدر رأس الدبوس . وفي أثناء الاسفكسيا (الاختناق) أو قبيل الموت تتمدد الحدقة جداً . وكل ذلك راجع لفعل المورفين في مركز العصب البصري الذي في الدماغ ،لا في أعصاب العين نفسها ،لانك اذا قطرت محلول المورفين في العين فلا تتأثر

٥ — تأثيره في الكلى وغيرها

الأفيون (والمورفين) يقلل كمية البول . والمورفين يظهر في البول غير متغير . ولهذا تعود المثانة فتمتصه ثانية . ويرجح انه يعود الى الجسم ويبقى فيه مدة بسبب عجز الكلى عن افرازه بعد أن اختلت وظيفتها بسببه

في الجلد — الافيون معرّق لانه يحرض الغدد العرقية ويؤثر في الجلد . ويمكن أن ينتج حكة وطفحاً

الافراز — الافيون يقلل الافرازات ما عدا افراز الغدد الجلدية للعرق وافراز الغدد الثديية للبن .

خروج المورفين — يخرج من الجسم عن طريق الامعاء حتى ولو أعطي حقناً تحت الجلد فأنه يوجد في المعدة والامعاء كل مدة فعله . وقد وجدت آثاره في لبن المرضع وفي العرق والبول أيضاً . وبعضه يتحول الى اوكسي داي مورفين Oxydimorphine وفي هذه الحاله يخرج مع البول

٦ً — التسمم

التسمم بالافيون شائع جداً في الهند ، ولا سيما في البنغال حيث لا قانون يمنع تعاطيه . واستعماله في الهند اكثر منه في اوروبا . فهو كنوع من الانتحار : وفي اكثر الاحوال يمزجونه بالزيت قبل التعاطي . وفي هذه الحال قلما يحدث هياجاً أو حماساً لانه لا يلبث أن يحدث دواراً ثم نوماً . وقد يمكن أن يتنبه متعاطيه في أول الأمر ولكنه بعد حين قصير يقع في غيبوبة ، فلا يعود يصحو ولا يمكن ان توقظه المحرضات الخارجية . ثم تتقاص الحدقة ويضيق البؤبؤ بقدر رأس الابرة . ويبرد ظاهر الجسم ويزرقُّ الوجه والشفتان ويضعف النبض ويبطؤ . ويقل التنفس ولا يبقى منتظماً . واخيراً يموت المسكين اختناقاً (بالاسفكسيا) وقبل الموت ببضع دقائق تتمدد حدقة العين

من جملة عراض التسمم غير ما ذكر ان الحرارة تنخفض أولا ثم ترتفع . ويظهر زلال في البول . وأحياناً يظهر سكر ، ويمكن أن يظهر الحامض الخلي المزدوج . ويحدث صرع بعضه سبات واحياناً تظهر أعراض هستيرية ،

٧ً — التسمم المزمن

من طبع هذا العقار الشيطاني انه حالا يصبح عادة فيطلبه متعاطيه مرة بعد مرة . ولهذا لا يحسن أن يعرف المريض به اذا أعطاه اياه الطبيب للضرورة كعلاج

اذا أعطي الافيون من ٥ قمحات الى ٢٠ في مدة ٢٤ ساعة فلا يكون شديد

الضرر. ولكن اذا تكرر فلا تعود المقادير القليلة كافية للتأثير فيستزيد المتعاطي رويداً رويداً حتى انه يأخذ نحو جرامين من المورفين لكي يتأثر، مع انه لو أخذ عُشر الجرام أول مرة لقضي عليه. على ان تعاطيه التدريجي، وان كان لا يقتله حالا، بيد انه يقتله تدريجاً، إذ يسل روحه من جسمه سلا ويسل هناءه من حياته

الاطفال أشد تأثراً منه من الكبار، ولهذا هو خطر جداً عليهم، فلا يعطى الطفل في أي حال شيئاً من هذا العقار الشيطاني، والمرأة، تتأثر منه اكثر من الرجل. والمرضع لا يجوز ان تتعاطاه لانه يتطرق الى الطفل مع اللبن

٨ً — العواقب الفظيعة

أما النتائج الفظيعة الناتجة عن الافيون ومشتقاته: المورفين والهيروين الخ، فلا ريب انها تذهب بكل ما للانسان من سعادة أو هناء أو غبطة ممنوحة له، فلا تترك له الا حياة وقتية مفعمة بالنوائب والرزايا. فهما أشد وافظع من نتائج ادمان المسكرات وأسرع حدوثاً، واليكها:

١ً — ان من يشرع في أخذ هـذا العقار الشيطاني يتعوده سريعاً ولا يعود يستطيع الامتناع عنه، كانه القوة الساحرة المستهوية وكلما أخذ منه طلب زيادة. لأن القليل لا يعود يؤثر فيه التأثير المباشر الذي يبتغيه. وهكذا يستطيع بعد حين أن يجرع من الباطن أو حقناً تحت الجلد أو في العضل، عشرة وعشرين وثلاثين ضعفاً من الجرعة القانونية. وكلما ازدادت الجرعة ازدادت العواقب السيئة وكانت النوائب المنتظرة شديدة وسريعة

٢ً — هزال عام سريع يأول حتماً الى انحلال انسجة الجسم الذي ينتهي بالموت العاجل

٣ً — فقر الدم. ولا يزال الدم يشح في الجسم الى ان تتلاشى القوى ويسكن القلب

٤ً — ضعف عضلي متناه بحيث يعجز الافيوني عن اتيان أي عمل جسدي فيكون في كسل دائم لا علاج له

٥ً – انحطاط جسماني يعم جميع وظائف أجهزة الجسم ، فتبطىء هذه في أعمالها . وهكذا تنحط الصحة وتهن القوى

٦ً – ضعف نبض القلب

٧ً – ارتجاج فى جميع الاعضاء المتحركة

٨ً – ترنح في اثناء الوقوف والمشي

٩ً – فقد الشهية للطعام

١٠ً – سوء الهضم واختلال الوظائف الهضمية

١١ – كسل الأمعاء واستمرار الامساك

١٢ – تأرق بين فترات التعاطي وعدم انتظام النوم بتاتاً وانزعاج لا مثيل له من هذا القبيل . ولهذا يتوق الافيوني لأخذ جرعة ، لاعتقاده انها تنقذه من هذا الانزعاج . فتنقذه منه هنيهة ثم يعود . وهذا هو سر تسلط العادة

١٣ – شعور دائم بالدوار

١٤ – العنّة والضعف التناسلي العام

١٥ – انقطاع الطمث عند النساء

١٦ – تضيق بؤبؤ العين

أفلا ترى ان هذه النتائج مفضية الى الموت المعجل حتماً ، فكأن الافيوني ينتحر انتحاراً رغم انفه لا لدافع له

٩ً – تأثيره العقلي والادبي

راجع تأثيرات ادمان المسكرات على القوى العقلية والادبية كما بسطناها آنفاً في النبذة السابقة ، ثم اضربها بخمسة على الاقل فيكون لك شيء من التصور عن حالة الافيوني أو المورفيني .

متى تمكنت عادة الافيون والمورفين في الشخص تلاشت قواه الادبية بتاتاً . فلا قوة ارادة ولا عزة نفس ولا انفة ولا كرامة ولا مطامع ولا عواطف . يصبح كالبهيم

لولا انه ناطق . بل يمتاز البهيم عليه بالنشاط والقوة والحركة . وكيف يمكن أن يكون ذا اباء أو مطامع و عواطف، وهو يقضي معظم وقته في مثل سبات أو غيبوبة

وأما حالته العقلية فتختصر بكلمة واحدة وهي البله . وما هي عقلية الابله ؟ ولا يطول أمره حتى يصبح مجنوناً اذ يفقد كل قواه العقلية

ج - الكوكايين

الكوكايين يختلف فاعلية عن المورفين ، وإن كان زميله في وظيفة التخدير ، وفي نتائجه الفظيعة ، ولهذا نجعل فصله مستقلاً

يستخرج الكوكايين من ورق شجر الكوكاو وانواعه المختلفة . والكوكايين الهيدروكلوريد اكثر استعمالاً ، بل هو الوحيد المستعمل دون سائر املاح الكوكايين لانه سريع الذوبان

١ — تأثيره الموضعي

لا تأثير له على الجلد السليم ، وانما يمتص في الجروح والقروح ، فيؤثر محلياً ويمتص في الاغشية المخاطية كالحلق واللسان والانف والمستقيم الخ فيؤثر فيها باديء ذي بدء تأثيراً محلياً إذ يحدث تخديراً ، لانه يشل الاعصاب الحساسة

فاذا أخذ حقناً في العضل يلاشي الحساسة بتاتاً في البقعة المحقونة ويتورد ماحول مغرز الابرة . وتخديره الموضعي يدوم نحو ربع ساعة كاملة . ولهذا يلجأ اليه اطباء العيون والأنف والحلق والاسنان عند العمليات وغيرها ، لانه يسكن الالآم أو يتلافاها تماماً

اذا اخذ من الفم الى الباطن لاشى حاسة الذوق واللمس في الحلق ، وقلل افراز اللعاب . والمحلول القوي منه يزيل الحساسة في اللثة

٢ — تأثيره في الجهاز الهضمي

الجرعة الصغيرة جداً منه تفعل كمقوٍّ للمعدة ، والجرعة المتوسطة تقلل ادرار العصارات

المعدية، وتلاشي حاسة الجوع، وتسكن الألم ان كان ثمت ألم. والجرعة الكبيرة توقف الحركة الدودية في المعدة والامعاء، فلا يعود الطعام يتقلب ولا يسير في القناة الهضمية، وقد ينتج بعد ذلك اسهال او امساك.

٣ً — تاثيره في القلب والدورة الدموية

بعد ان يبطيء القلب هنيهة بسبب فعل الكوكايين يشرع ينبض بسرعة لفعل هذا في المركز العصبي الخاص باسراع النبض. وبعد اخذ الجرعات الكبيرة يضعف القلب وتبطؤ نبضاته بسبب هبوط قوة عضلاته. وقد يفضي الامر الى السكتة القلبية بغتة

واما ضغط الدم فيشتد بسبب تحريض المركز العصبي الذي يقبض الاوعية الدموية. ولكن هذا المركز يهي وينحط متى حدث التسمم بالكوكايين

٤ً — تأثيره في الجهاز التنفسي

اذا اخذ الكوكايين شما أو وضع محلوله في الانف بواسطة قطنة مبتلة به لاشى حساسة الغشاء المخاطي الانفي. وثم يسري في الجسم كفعله حين يعطى بالحقن أو من الباطن. واذا أُخذ من الباطن أو حقنا في العضل زاد الحركات التنفسية بسبب تحريضه للمركز العصبي الخاص بالتنفس. ولكنه لا يلبث ان يضعف هذه الحركات، ويمكن ان يضعف التنفس جداً الى حد ان يحدث الموت اختناقاً Asphyxia

٥ً — تأثيره في الجهاز العصبي

متى بلغ تأثيره الى المخ Cerebrum احدث بهجة، واكثر الثرثرة، وسبب شعوراً بالراحة والهناء، وذهب بالوهن العقلي والتعب الجسمي. ويغلب جداً ان يعقب ذلك ارق قد لا يكون مزعجاً. وحينئذ تتحمس مراكز التنفس والاعصاب المحركة والمعجلة الحركة. وكذلك يمكن ان تتحمس مساحة المراكز المحركة في الدماغ كلها، فتحدث حركة عمومية في كل الجسم لا راحة في خلالها

ذلك اذا كانت الجرعة بسيطة شماً أو حقناً أو تجرعاً. وانما اذا كانت

ولابد ان تكبر رويداً بسبب الاعتياد كما علمت في تعاطي الافيون - انعكس التأثير وحدث هبوط أو انحطاط عام في الجهاز العصبي يبتدي في المخ ثم ينتشر في جميع مراكز الحبل الشوكي

أما الحبل الشوكي فالجرعة الكبيرة تشل اطراف الاعصاب الحساسة المتفرعة منه وتؤثر في قوته المدرّبة للاعصاب المحركة والاعصاب الحساسة وعلى الخصوص هذه . ثم انه يحرض الكلى فيزداد ادرار البول . وهو يخرج من الجسم مع البول

أما النعرة التناسلية فتضعف على العموم

٦ً — التسمم بالكوكايين

في حالة التسمم الحاد بالكوكايين ترتفع درجة الحرارة ، ويكثر الهذيان والثرثرة والسرسام والهوس . ثم يعسر التنفس ويصعب النبض وتتشنج الاطراف وتتصلب ، ويعجز المسموم عن الحركة والمشي . وفي اثناء ذلك يحس باجسام غريبة تسير تحت جلده كالحصى أو الديدان . فتزعجه وتقضُّ مضجعه

٧ً — نتائج العادة

قلما تختلف النتائج القصوى من تعاطي الكوكايين عن نتائج المورفين . فراجعها فيما تقدم وهنا نلخصها فيما يلي :

١ً - تسلط العادة
٢ً - سوء هضم مستمر
٣ً - هزال مستمر الى الموت العاجل
٤ً - دوخة (دوار) دائمة
٥ً - ارق مزعج
٦ً - اشباح وهمية تتراءى للنظر
[redacted] تخيلات غريبة تمرُّ في الذهن
[redacted] هوس وسرسام الى غير ذلك من الاضطرابات العقلية
[redacted] ضعف عام ظاهر لا علاج له إلا ابطال العادة . ولكن الكوكايني لا يبطل

العادة من تلقاء نفسهِ إذ لا تبقى له قوة ارادة لابطالها . فاذا لم يحبسه ذووه في مستشفى قهراً فقد قضي عليه بالهلاك العاجل

واكثر متعاطي هذه المخدرات يتعاطونها خليطاً من الكوكايين والمورفين أو أو الهروين . وبذلك يزيدون الطين بلة

د - الحشيش

الحشيش ثالثة الاثافي . فهو الخصم الجبار الذي يضرب الضربات القاضية

يستخرج من زهر انثى نبات القنب الهندي . ومعظم محصوله من بنغال . يمزجه باعته للحشاشين ببعض الافاوية المنبهة لتحسين طعمه ورائحته

واليك موجز تأثيراته :

١ً — في المعدة

الجرعات الصغيرة جداً منه تنبه الشهوة الى الطعام وأحياناً تكون الشهوة جشعة جداً لا تعرف الشبع ؛ وكذلك تقوي الهضم . وانما اذا تكررت الجرعات وتزايدت - وهو الامر المحتوم على من يستعمله مرة أو مرتين ، وهو كذلك الأمر الشائع عند الحشاشين - انعكس الفعل تماماً فتنتفي الشهية ويضطرب الهضم كل الاضطراب ويختل اختلالاً لا مثيل له

٢ً — في الجهاز العصبي

ان تأثير الحشيش الرئيسي هو في الياف المخ ، وهو يشبه فعل الافيون والكحل في كثير من أعراضه ، فراجعها هناك واجعلها مضاعفة الشدة عشرة أضعاف ، ثم اقرنها بهذا الفصل إذ لا موجب لتكرارها هنا

الجرعات الصغيرة منه المأخوذة تدخيناً أو مضغاً تحدث شعوراً بهيجاً وفرحاً . وتعظم التصوّرات وتنبه العواطف ولا سيما بعد التعب العقلي والجسدي . وتحت

هذه التأثيرات يفقد الانسان وجدانه ، أي علمه بشخصيته ، وينقضي من ذهنه ادراك الوقت . فاذا تكرر اخذه احدث تسمماً ، وفقد متعاطيه رشده وصوابه ، ولا تبقى له سيطرة على نفسه . وانما يكثر عليه الضحك والثرثرة والهذيان والعربدة بلا انقطاع بالرغم من وهي قواه . ولا يزال كذلك برهة طويلة الى ان يستولي عليه الانحطاط العام فينام حالماً احلام العصافير ، أي الاحلام الغريبة ، واكثرها سارٌّ . وهذه الاعراض من أشد العوامل في تعود المرء على التحشيش . فالحشيش بعازبول المخدرات ، أي رئيس جحيمها

واحياناً يشعر الحشاش بثقل في راسه ، وبتوهم ان دماغه يغلي ، وان الغليان يرفع طاسة جمجمته . واذا ازدادت الجرعة قليلاً حدث تخشب يعقبه سُبات ينتهي بالموت بسبب عجز القلب

أما الاعصاب الحساسة فتنشل بحيث يخدر الجلد ولا يعود الحشاش يحس إلاّ بشيء « كالتنميل » . والاحساس العضلي يفقد ، والألم يمكن ان كان ثمت ألم . وانما قوة التخدير فيه ليست قوية كما في الافيون

٣ً — في الاجهزة الاخرى

التنفس يسرع أولاً ثم يهبط ويبطؤ . والحرارة ترتفع مدة الاضطراب ثم تهبط مدة النوم

الكلى تتأثر كتأثرها من الكوكايين ، ويشتد ضغط الدم

العضلات تنشط أولاً ثم ترتخي ، الجهاز التناسلي ينشط في أول الأمر ، وانما على تمادي التكرار يضعف جداً الى حد ان لا يستطاع علاجه بأي وسيلة من الوسائل ، أي انه يتعطل تعطلاً تاماً

٤ً — العواقب الفظيعة

أما عواقب تعاطي الحشيش فقلما تختلف عن عواقب الافيون والكوكايين . فنجملها كما يأتي للاختصار

١ً — تسلط العادة

٢ً – الهزال العام الى الموت العاجل
٣ً – الترنح وارتعاش الاعضاء الظاهرة
٤ً – الخبل والبله والسرسام
٥ً – الضعف العقلي الى حد الجنون المطبق
٦ً – الانحطاط الأدبي الذي لا مثيل له

تتعاطى الحشيش طبقة واطئة من الناس. وقد قلّ متعاطوه في مصر بسبب جهاد مصلحة الصحة في منع دخوله ومقاومة تعاطيه. فاذا تيسر لك ان تراقب بعض اشخاص ممن يتعاطون الحشيش برهة من الزمان ادركت فظاعة نتائج «التحشيش» التي لا يمكن ان يدركها من يطلع على هذا الفصل أو غيره مما كتب بهذا الموضوع. ترى حينئذٍ ان حياة الحشاش دون حياة البهيم ولا سيما وهو تحت تأثير الحشيش، ولا تطول الأيام حتى تراه ذات ليلة صريعاً في أحد الازقة الرديئة. وقبل ان يصل به الشرطي الى دائرته على عربة نقل أو في مركبة يكون قد فارق الروح

هـ - التدخين

التدخين أقل ضرراً من المخدرات التي سبق الكلام عنها، ولكنه أكثر شيوعاً وله مساوىء شخصية واجتماعية تستلزم أن يشار اليها، وأن يعرفها القاريء والقارئة تحذيراً لهما منها

١ً — النيكوتين السام

العنصر المخدر في التدخين هو النيكوتين الذي يختلف مقداره باختلاف اصناف التبغ. وهو مادة زيتية الشكل ولكنها تمتزج بالماء والكحل خلافاً لسائر أنواع الزيوت. وهو سم زعاف، ولهذا يضرّ مضغ التبغ ضرراً بليغاً؛ لأن معظم النيكوتين يدخل الى الجوف. وأما تدخينه فأقل ضرراً من مضغه لأن الدخان لا يحمل الاّ قدراً من بخار زيت النيكوتين. وكذلك تدخينه بالنارجيلة أقل ضرراً لأن ماء النارجيلة

يمتص جانباً من بخار النيكوتين ، وتدخينه سيكارات أو سيجاراً أو في الغليون يختلف تأثيراً باختلاف صنفهِ واختلاف تنفسهِ . فبعضهم لا يدع دخانه يدخل الى الرئتين فيكون تأثيره فيهم أقل منه في من يصعّدونه الى أعماق الرئتين . والتنباك العجمي المستعمل للنارجيلة اغنى بالنيكوتين من سائر أنواع التبغ . فغسله بالماء وترطيبه ومروره في ماء النارجيلة كل ذلك يخفف من تأثيره .

ولولا أن جميع أساليب التدخين تخفف من تأثير التبغ لكان التسمم بهِ محتوماً وضحاياه كثيرة . مع ذلك لا يحسن غض النظر عن بيان اضراره ، وهي ليست مما يستهان بها وأن تراءت للجمهور بسيطة

قلنا ان النيكوتين مادة زيتية وهي تتبخر على حرارة ٢٥٠ سنتكراد . ومتى احترقت نتج منها حامض يسمى باسمها Nicotinic Acid فالدخان الذي ينهله المدخن يحتوي على بخار النيكوتين وعلى هذا الحامض أيضاً . و كلاهما سامان جداً . والمقدار القليل منه يحدث غثياناً وقيئاً واسهالاً ثم هبوطاً ، وتعاطيه يصبح بعد قليل عادة يصعب الاقلاع عنها

٢ً — عواقب التدخين

أول تأثيرات التدخين يقع على الرئتين وشعبهما والقصبة ، فيعرضها جميعاً للاحتقانات والالتهابات الى ما هنالك من الاضطرابات الرئوية التي تسبب سعالاً ، وقد تزمن النزلات الرئوية المختلفة ويتعذر شفاؤها

٣ً — ان التسمم المستمر بالنيكوتين وان لم يكن مميتاً بسبب التعود فانه يضعف الجهاز العصبي ، وبالتالي يضعف العضلات ويشعر المرء دائماً باسترخاء وهبوط جسماني عام

٣ً — لقد أكد الطب أن التدخين يؤثر في النظر فيضعفه ، وقيل أنه يؤثر في السمع أيضاً

٤ً — ان التسمم بالنيكوتين ينتج مثل النتيجة التي ينتجها الكُحُل ، وهي تصلب الشرايين Scerosis

٥ً — ربما كان أشد تأثير له وأكثره ضرراً تأثيره على القلب ، فانه يحدث خفقاناً مزعجاً تختل بهِ نبضاته . وقد يصبح هذا الخفقان مزمناً يتعذر شفاؤه ، حتى ولو اقلع المدخن

عن التدخين . حينئذٍ يحدث هذا الخفقان عند كل حركة عنيفة ولا سيما في الصعود على السلالم .

٦ً – تأثيره على الجهاز العصبي ينتج احتمال التهيج لاقل حادث. فالمدخن قريب الى النزق والغضب والخصام بسبب تهيج جهازه العصبي

٧ً – يلاحظ ان المدخنين أقل جرأة وشجاعة من سواهم ، يتخوفون من أقل الطوارىء ولا يقدمون على المخاطر .

٨ً – التدخين يوسخ الاسنان ويجعلها سوداء . ويجعل رائحة الفم كريهة لا يكاد يطيقها أهل البيت ممن لا يدخنون . وفي الصباح يشعر المدخن بمرارة في حلقهِ

٩ً – التدخين يورث الأرق ، ويحاول المتأرق أن يعالج ارقه بالتدخين فيتداوى بالتي كانت هي الداء ، فيزيد الطين بلة

١٠ً – واذا افرط المدخن يشتد خفقان قلبهِ ويتصاعد الدم الى رأسه، فيحدث صداعاً

١١ – يمنى المدخنون بضعف الذاكرة قبل سواهم

١٢ – يبلغ تأثير التدخين الى الكبد فيسبب تضخمها

١٣ – التدخين من جملة أسباب السرطان في الحلق

١٤ – وربما كان أشد اضرار التدخين المباشرة صده للشهوة للطعام. فان المدخن يستطيع ان يصد جوعه بسيكارة أو اثنتين ولهذا يقل الغذاء عند كثيرين من المدخنين وبالتالي يضعفون

١٥ – لاريب ان التدخين الكثير يعرقل عمل الهضم

٣ – تأثير التدخين في الاحداث

وقد ثبت من الملاحظات والاستقراآت المختلفة أن تأثير التدخين على الاحداث والفتيات حول سن المراهقة وفي أول الشباب مضاعف الضرر اضعافاً . ولا سيما لان الاحداث لا يعرفون اعتدالا . وقد تتمكن بعض مضاره في الجسم فلا يستطاع تلافيها في المستقبل . وقد لوحظ في الكليات الاميركية ، التي لا تحظر التدخين على طلبتها خارج قاعات الدرس والتدريس ، أن الطلبة الذين كانوا يدخنون كانوا اقل نشاطاً

تابع ٩ (ـــــ)

بدنياً ،ووجوههم اميل الى الشحوب، وكانت نتائج دراستهم اقل قيمة منها عند من لا يدخنون. وأما الذين كانوا يفرطون في التدخين متجاوزين حد الاعتدال فكانوا في هزال بيّن وشحوب واضح وضمور .ومعظمهم كانوا من المقصرين في الامتحانات الاخيرة . فلذلك نحذر الفتيان والاحداث من عادة التدخين . وعلى اهاليهم أيضاً أن يحذروهم منها وأن يراقبوهم جيداً . والافضل أن ينصحوا لهم بالاّ يتعرضوا لهذه العادة في كل حياتهم اذ لا منفعة في التدخين . وأن كانت ثمت تسلية وتمويه فيه على مملات الحياة فضرره ابلغ من هذه المنفعة التي يشعر المرء بحاجته اليها قبل أن يتعاطى التدخين . وما صار المرء يشعر بتسلية التدخين وتمويهه على مملات الحياة الا بعد أن تعوده . فالعادة خداعة لانه متى توقف المدخن على التدخين شعر بسآمة وملل وضجر وميل الى التمويه على هذه بالتدخين . فكأن التدخين يبتدع الشعور بالسآمة لكي يموه عليها

نعم ننصح للفتى أن لا يعرض نفسه لعادة التدخين لأنه ليس في حاجة اليها ولا يشعر بهذه الحاجة قبل أن تملكه العادة . ولا يتورط الغلام أو الفتى بهذه العادة الا من قبيل المحاكاة والاقتداء بمن حوله . وقد يبتدى بسيكارة وهو يظن أن سيكارة واحده لا تضر . اجل انها لا تضر . ولكن السيكارة الاولى كالكاس الاولى لا تضر ، وانما تجر غيرها الى أن يصبح المتساهل من فحول المدخنين، يدخن عشرات السيكارات في اليوم .

٤ — الاعتدال في التدخين

يقول بعض الاطباء أن خمس أو ست سكاير في اليوم لا تؤذي بتاتاً . ولكن من يغتر بهذا القول لا يستطيع أن يثبت على خمس أو ست سكاير ،مهما قال أنه قوي الارادة . فاذا صار يدخن الخمس والست فلا يلبث أن يدخن العشر والعشرين، وعذره عند نفسه أنه لا يشعر بضرر ، والسيكارة تلذ له ، فلماذا يحرم نفسه منها ، وانه متى شعر بضررها يبطلها لأنه قوي الارادة .

ولكنه يجهل انه متى صار يشعر بضرر من التدخين ولا سيما في رئتيه يكون الضرر قد ازمن وصار صعباً تلافيه . ومع ذلك تكون العادة قد تملكت وتلك

الارادة القوية التي كان يعتمد عليها في ابطال التدخين متى شاء قد ضعفت، وصار يعز عليه أن يترك التدخين مع اقتناعه بضرره .

لذلك ننصح للفتى أن لا يعرض نفسه لعادة مهما تراءت قليلة الضرر ، فان ضررها على التمادي عظيم وعادتها ملكة . فخير له أن يبتعد عن عادة هذا شأنها وهو في غنى عنها على كل حال

* * *

حاشية — رأينا من الواجب ان نسهب في بيان اضرار هذه المخدرات على اختلاف درجات اذاها لأن المسكرات وانواع التدخين شائعة فى كل العالم وعندنا من بلاياها القسط الوافر منها ، وقلما عندنا من الروادع عنها ، ولان عادة الافيون والمورفين والكوكايين جعلت تنتشر فى العالم كله وتكاد تفتك به فتكا ذريعاً ، ونحن الشرقيين اكثر تعرضا لفتكها من سوانا لان قوة المحاكاة والاقتداء والاقتباس عندنا شديدة ؛ ولأن الحشيش شائع في هذا القطر ، وبالرغم من مطاردة الحكومة له لا يزال مهدداً حياة الامة والامم المجاورة التي لا يزال قليل الانتشار فيها . اذاً لم يكن بد من الاسهاب في هذا الفصل تحذيراً للفتيان والفتيات من سوء العواقب قبل أن يقعوا فيها

الفصل الرابع

طهارة الفتاة

جمال الفراسة وقراءة المجال

أ - المراهقة والبلوغ

١ً — على صورته ومثاله
٢ً — التطورات النفسانية في دور المراهقة
٣ً — التطورات الجسمانية
٤ً — البلوغ الفسيولوجي
٥ً — اعراض البلوغ
٦ً — البلوغ المبتسر

ب - الطمث - آلامه وامراضه

١ً — عسر الطمث
٢ً — اسبابه المباشرة
٣ً — اسبابه السابقة — الجلوس والوقوف
٤ً — امراض الطمث
٥ً — السيلان الابيض
٦ً — العلاج التدجيلي
٧ً — تاخر الطمث
٨ً — قدر الطمث
٩ً — المداراة في اثناء الطمث

ج - العادة السرية

١ — محرضات العواطف
٢ً — محرضات جسمانية
٣ً — المحرضات الخليعة
٤ً — عقوبات العادة السرية
٥ً — التخيلات الغرامية
٦ً — قبح العادة السرية

ا - المراهقة والبلوغ

١ — على صورته ومثاله

خلق الله آدم على صورته ومثاله ، أي اجمل جميع مخلوقاته ثم خلق حواء بعده .

فالله نظم الانسان قصيدة بديعة . أو انه رسم في الانسان اجمل صورة . ففي آدم نظم ورسم نموذج الجمال (البروڤة) وفي حواء نقح النظم والرسم . فجاءت المرأة ابدع خلائق الله ، جامعة لعناصر الجمال التي استعارها الخالق من جماله ومنحها للطبيعة ، وحصر خلاصتها في المرأة . فالمرأة حازت اعظم نعمة من نعم الله في خليقته — نعمة الجمال الاسمي .

الانسان جسم وعقل وروح . وأما المرأة فاكثر من ذلك . هي أيضاً جمال

إن بين الفتى والفتاة تماثلا عمومياً . فكلاهما لهما الجسم والاجهزة العاملة من قلب ورئتين وقناة هضمية الخ . وكلاهما لهما الدماغ والعقل والنفس . وكلاهما لهما الجمال والعواطف والاخلاق الخ . وانما بينهما فرق في جوهريهما وتفاوت في جمالهما كما ان بينهما فرقاً فسيولوجياً وتفاوتاً في ظواهرهما . الفتى اقوى بدناً واثخن عظماً واعرض صدراً واخشن بشرة واقسى خلقاً . والفتاة الطف ناسوتاً واجمل شكلا وانعم بشرة واصفى رواء وأرق قلباً الخ .

فالخالق خصها بالقسم الاوفر من الجمال . وما شملها اياه من الجمال الخارجي البارع ليس شيئاً يذكر بأزاء ما منحها من الجمال الداخلي الروحاني . جعل نفسيتها ينبوع الجمال . وجعل نفس الرجل القناة التي يجري فيها ذلك الينبوع . وجعل خلقها بؤرة الذوق الجميل . وجعل ذوق الرجل الصفحة الحساسة التي ترسم عليها اشعة ذلك الذوق . وجعل عقلها القوة التي تدفع ينبوع الجمال المنفجر في مجراه . وجعل عقلية الرجل القوة الجاذبة لذلك الينبوع . فهي القوة الموجبة أو الايجابية ، و لرجل القوة السالبة أو السلبية . لذلك خصها الله بأن تكون المسبك الذي تسبك فيه حلقات السلالة ، وجعلها تصوغ من اعراضها وجواهرها وعناصرها هذه الحلقة . فانظر ما اعظم قيمة المرأة وما اهم وظيفتها .

لقد تبسطنا كفاية بهذا الموضوع في تمهيد الكتاب . فيكفي هنا أن نجمل الموضوع بكلمة واحدة ، وهي أن الله جعل المرأة خزّان جماله الذي يتدفق على الانسانية . فما اعظم وظيفة المرأة في الحياة البشرية . لا تبالغ المرأة بالتصون والتعفف والحشمة والحرص على الطهارة عبثاً . أن في نفسها وحياً يوحي لعقلها وعواطفها اهمية النعمة التي اعطيت لها .

لذلك ينبغي أن تعنى الفتاة بتفهم هذه الفصول التالية الخاصة بها لكي تسترشد بها في سبيل محافظتها على هذه النعمة واجراء ذلك الينبوع (ينبوع الجمال) في مجراه الامين النظيف

ان الفتاة مستودع اعظم نعم الله . لهذا هي مصنوعة من معدن اللطف والرقة . ولهذا هي اكثر تعرضاً للعطب من الفتى . ولهذا ينبغي ان تكون شديدة التصون . ولهذا درس حياتها دقيق ، وينبغي ان يدرس بتدقيق

لكي تستطيع الفتاة أن تحتفظ بنعمة الجمال التي مُنحتها يجب ان تحتفظ بسلامة نفسها وعقلها وجسدها . فلذلك يجب ان تُعطي جانباً من اهتمامها للعناية بصحتها الجسدية والعقلية . فما قلناه من هذا القبيل في فصل الفتى يقال هنا . وأما ما يختص بها دونه فيشار اليه في تضاعيف فصولها الآتية في اماكنه

٢ — التطورات النفسانية في دور المراهقة

في عهد الطفولة والحداثة يتشابه الصبي والبنت كل التشابه ، حتى لا تكاد تعرف أيهما الصبي وأيهما البنت . فكلاهما جميلان لطيفان ناعما البشرة نضيراها ، رخيما الصوت ساذجا النفس . وكلما قاربا سن البلوغ افترقا شكلاً وناسوتاً . فهو يخشوشن جسماً وسحنة ، ويضخم اعضاءه ويقسو خلقاً ، وقد يبشع شكلاً . وأما الفتاة فبالعكس تزداد لطفاً ورقة ونضارة وحشمة . وبالاجمال تزداد جمالا . فكأنّ كلاً منهما يتجه الى الوظيفة التي عين لها وعينت له

ان التطورات التي تطرأ على الفتاة في سن المراهقة الى ما بعد البلوغ أهم شأناً من التطورات التي تطرأ على الفتى في هذا الدور . ولا بدع في اهمية هذا التطور

عند الفتاة لانها حينئذ تُهيَّأ لتكون المسبك الذي تسبك فيه حلقات السلالة ، ولكي تصوغ هذه الحلقات . لذلك يجب ان تكون دائماً تحت مراقبة والديها الدقيقة ولاسيما مراقبة أمها . وعلى الأم ان تهيء ذهن بنتها لتفهم ما سيطرأ عليها من التغير ولاسيما حين حدوث الطمث لئلا تنذعر لما يباغتها ، وهي تجهل انه أمر طبيعي . وكذلك يجب ان تكون تحت حراسة والديها لئلا تشذ عن جادة الصواب لطيشها وضعف خلقها وارادتها

في هذا الدور تمر الفتاة في ازمات مختلفة يلاحظها ذووها واصدقاؤهم . ولذلك يجب ان تُعامل معاملة خاصة بكل دقة وتؤدة وصبر وحكمة لكيلا تُصدم نفسيتها صدمات ضارَّة . يجب ان تعذر في كثير من تصرفاتها ، وان ترشد الى الصواب بالحلم وطول الأناة

في هذا الدور تشتد عصبية مزاجها وثورة نفسها ، ويكثر حردها وعنادها . ويمكن ان يتناوبها صداع وألم في الظهر وقد تكون كثيرة الضجر والملال . ويمكن ان تبكي وتذرف الدمع من عين مدرار لأقل سبب ، وتتذمر من نفسها وذويها ومن العالم . ويغلب ان تكون خيالية هوائية الافكار والتصورات ، وتميل كثيراً الى قراءة الروايات ولا سيما الغرامية والعاطفية المؤثرة . فاذا لم ترشد وتوعظ ، أو اذا لم يكن لها من نفسها ، ومن تربيتها واعظ ، فقد تأتي أموراً نخجل من تذكرها في المستقبل

٣ — التطورات الجسمانية — الفسيولوجية

هذا من حيث نفسيتها . وأما من حيث جسمانيتها فتطرأ عليها تغيرات واضحة . تطول قامتها سريعاً ، وينمو جسمها نموًّا ظاهراً في وقت قصير ، وتستدير اعضاؤها ويبرز نهداها ، ويشتد الشعور في صدرها ، ويظهر الشعر في جسمها . فكأنها البرعمة التي شرعت تفتح ويظهر نَوْرُها من بين اكمامها — تتحول من فتاة الى مرأة

حينئذ الاعضاء التناسلية التي كانت كامنة أو نائمة تستيقظ . وهذه اليقظة تظهر في كل انظمتها العضوية ، ولا تقتصر على الجهاز التناسلي فقط ، خلافاً لما يظن العامة . ان هذه اليقظة تشمل كل شيء فيها ، حتى دماغها وعقليتها وروحانيتها وعواطفها

في هذا الدور يجب ان تُفهَّم الفتاة ، بأي اسلوب لائق ، حقيقة جهازها التناسلي ، وان تعلم انه اقدس جزء فيها واطهره ، لكي تفهم قيمة التصوُّن ومعناه وان تعلم ما يدنسها وما لايدنسها

أقل ما يجب ان تعلمه من الوجهة الفسيولوجية هو ان البدن يحتوي على ثلاثة تجاويف : اعلاها مركزاً هو التجويف المحتوي القلب والرئتين ، واوسطها التجويف البطني المحتوي على المعدة والكبد والامعاء الخ ، واسفلها التجويف الحوضي المحتوي على المثانة والجهاز التناسلي . وهو يبتدىء بالفرج فالمهبل ، وفي أعلى هذا فم الرحم . وفي الرحم يتكوَّن الجنين في حالة الحمل . وهو شبه كيس مرن بقدر الكمثرى ، معلق برباطين عريضين يمتدان الى الجانبين ، ورباط آخر مستدير يمتد الى الوراء . على ان هذه الاربطة لا تثبته في مكانه ، بل تؤذن له بالصعود الى التجويف البطني في مدة الحمل ، لأن التجويف الحوضي لا يسع الجنين متى نما وكبر . والى جانبي الرباطين الجانبين المبيضان اللذان تتكوَّن فيهما البويضات التي تتكوَّن الاجنة منها بعد لقاحها

متى نضجت البيضة في المبيض نزلت منه في القناة أو البوق الى الرحم . فاذا صادفت جرثومة اللقاح من الذكر تلقحت وشرع الجنين يتكوَّن وينمو الى ان يتم نموُّه في مدة تسعة اشهر فتحدث الولادة . وإلا فالبيضة تخرج من الرحم وتمضي الى الفناء

٤ — البلوغ الفسيولوجي

لا يبتدىء نضوج البويضات عادة قبل أن تبلغ الفتاة سن الثالثة عشرة . وفي بعض البلاد الحارة قد يبتدىء قبل هذه السن . وفي بعض الفتيات يبتدىء قبل بعض . وفي كل ٢٨ يوماً تقريباً تنضج بويضة واحدة في أحد المبيضين وتنزل

والرحم مبطن بغشاء مخاطي . فمتى جعل المبيض يخرج البويضات ينعم غشاء الرحم المخاطي وينتفخ ويحدث فيه نزف دم قانٍ مدة ٣ أو ٤ أيام ويخرج الدم من الفرج تدريجاً . هذا هو الطمث أو الحيض أو ما يسمى تادُّباً « العادة » . وظهور « العادة » لأول مرَّة دليل على حدوث البلوغ من الوجهة الفسيولوجية

اذا تأخر الطمث الأول عن ميعاده القانوني كثيراً وجب أن يستشار الطبيب الخاص في الأمر لئلا يكون ثمت شذوذ خلقي أو عوارض فتمكن ازالتها

يجب أن تفهم الفتاة هذه الحقائق قبيل سن البلوغ ،لئلا يفاجئها الطمث ،وهو أمر جديد عليها،فتتذعر جداً ، لظنها أنه عارض مرضي ،وقد تخجل أن تخبر به امها أوذويها فيخفى عليهم أمرها . وقد تستعمل وسائل الاخفاء أمرها تضر بحياتها المستقبلة

يكون الطمث مصحوباً بأعراض غير اعتيادية ، فيجب في كل حال أن تفهم الفتاة ان هذا الحادث امر طبيعي لكل النساء وأنها يجب ان تسرّ بأنها صارت مرأة تامة،وان المرأة اذا لم تحصل على هذه النعمة فلايمكن أن يكون في الوجود امهات و بنون واخوة

مع ذلك يجب أن تفهم الفتاة ان حدوث الحيض لها هو بلوغ طبيعي ولكنه ليس نضوجاً عاماً . ولا بد من مرور برهة من الزمان لكي تستوفي بلوغها الحقيقي في كل اجهزتها ، وتصبح صالحة للزواج والحمل والحضانة .

٥ — اعراض البلوغ

ننقل هنا ما كتبه العلامة النابغة الدكتور نجيب بك محفوظ استاذ الولادة وأمراض النساء في كلية الطب المصرية في كتابه « فن الولادة » عن أعراض البلوغ لزيادة الفائدة للفتاة واهلها :

البلوغ

يتم البلوغ عند البنات بظهور الطمث وتكوّن الصفات المميزة للجنس ، ويبتدىء عادة عند المصريات في السنة الثانية عشر الى الرابعة عشر ، وقد يظهر في السنة الحادية عشرة ، ويندر قبل ذلك .

وقبل ظهور الطمث تحدث عدة تغيرات في المجموع العصبي والمجامع الأخرى للبنت ، فيبتدىء الحياء عندها ويقل اختلاطها بالصبيان ، وتتملكها الوداعة النسائية .

وتم هذه التغيرات كل أخلاقها وطبائعها . وفي هذه السن تجب ملاحظة الفتاة بكل تدقيق ، اذ كثيراً ماتنتابها الأمراض العصبية والهستيرية في غضون هذه التغيرات النفسانية . وأما شكل جسمها فيأخذ في التغير ليتحول تدريجاً الى شكل المرأة النهائي. وأول ما يلاحظ ظهوره هو نمو الشعر في الابطين وعلى جبل الزهرة ، وكبر الثديين واستدارتهما . وبعد ذلك بقليل تحدث ارتشاحات شحمية في بعض أجزاء الجسم فتسمن الأليتان والفخذان وجبل الزهرة والثديان والكتفان والعنق . ويكون ثمت ميل عام للاستدارة والسمن في كل أجزاء الجسم .

زد على ذلك أنه يحدث أيضاً نمو ظاهر في أعضاء التناسل فيكبر الرحم ويأخذ شكله البلوغي ، أي أن جسمه يكبر حتى يصير أطول من عنقه . ويبتدىء ظهور حويصلات جراف في المبيضين . ويظهر أن ظاهرة التبويض قد تحدث قبل ظهور الطمث . فقد ثبت حدوث الحمل عند بنات كثيرات قبل ظهور الحيض عندهن .

ومن المفهوم ان للافراز الباطني للمبيض خصوصاً ، وسائر الغدد التي لا قناة لها عموماً ، تأثيراً عظيماً في كل التغيرات التي تحدث حين البلوغ . ولكن المحقق أن نمو الرحم متوقف على تأثير المبيضين ، لأنه في الاحوال التي يستأصل فيها المبيضان يقف نمو الرحم ويأخذ في الضمور

في وظيفة الطمث : يحدث الطمث عادة كل ثمانية وعشرين يوماً . ولكن يختلف هذه النظام باختلاف النساء ، فاما أن تقل مدته الى واحد وعشرين يوماً أو أن تزيد الى اثنين واربعين يوماً . ويكون الطمث عادة في ابتداء ظهوره غير منتظم ، وربما ظهر لأول مرة ثم اختفى لمدة تتراوح بين شهرين وسنة ، ثم ظهر ثانية بانتظام وتحتقن عادة كل اعضاء التناسل مدة الطمث . ويلين كل من الرحم والعنق وجدر المهبل .

أما الرحم فهو مصدر السائل الطمثي الذي يدوم عادة نحو ثلاثة أو اربعة أيام . وتنقسم الدورة الطمثية عادة الى أربعة ادوار : — أولا — الدور الذي يعقب الطمث ويمكث من اليوم الرابع لغاية اليوم الثاني عشر . ثانياً — الدور ما بين الطمثين ، ومدته من اليوم الثالث عشر لنهاية اليوم العشرين . ثالثاً — الدور قبل الطمث ومدته من اليوم الحادي والعشرين لنهاية اليوم الثامن والعشرين . رابعاً — الدور الطمثي من

اليوم الأول لنهاية الثالث . ولا يغيب عن الذهن أنه لا يوجد أي فاصل حقيقي بين هذه الأدوار بل ينتهي كل دور بابتداء الآخر . وفي الدور الذي يعقب الطمث تكون الغدد التي في الغشاء المبطن للرحم فارغة وواقفة عن العمل . ويكون الغشاء نفسه رقيقاً وانيماوياً . وفي الدور ما بين الطمثين تأخذ الاوعية الدموية في الامتلاء تدريجاً حتى أنه في نهاية الدور يكون الغشاء محتقناً . في الدور الذي يسبق الطمث يكون الغشاء المخاطي شديد الاحتقان وسميكا ، وتكون الغدد في عمل مستمر وتفرز مخاطاً كثيراً . وفي الدور الطمثي ينفرز من الغشاء مخاط ودم . أما سبب نزف الدم فهو تآكل جدر الاوعية الشعرية بتأثير الترسين الموجود في المخاط الذي تفرزه الغدد . والطمث نزف حقيقي يحدث من تمزق الاوعية الدقيقة الرحمية ، وقد يكتسح معه كل الانسجة السطحية للغشاء المخاطي ، ولا يبقى منه إلا الطبقة الغائرة فقط ، ومنها تتجدد الانسجة في كل دورة

وتبلغ كمية السائل الطمثي خمسين أو ستين سنتيمتراً مكعباً . ويكون السائل في الاربع وعشرين ساعة الأولى خفيفاً ولونه فاتحاً ، ولكنه يدكن بسرعة حتى يصير دماً صرفاً . وبعد اليوم الثالث يقف النزف ويكون الافراز عبارة عن مصل اصمر عكر ينقطع تدريجاً بعد يوم أو يومين . وهو يحتوي على مقادير من الاملاح الجيرية (الكلسية) اكثر مما في الدم العادي بكثير . ويحتوي أيضاً على مقادير كبيرة من الميوسين . ويلاحظ أن الدم الطمثي لا يتجمد ، وذلك لعدم احتوائه على خميرة الفبرين والفيبروجنين

الاضطرابات العمومية التي تحدث وقت الطمث :- تكون هذه الظاهرة عند الحيوانات غير مصحوبة بأي أعراض مرضية سوى ازدياد في الشهوة التناسلية . أما عند النسوة فقليل منهن من تتوعك . وتكثر عصبية بعضهن قبل الطمث مباشرة ، ويصرن قابلات للتهيج السريع . ويرتفع عادة عدد النبضات . ويشتد الضغط الدموي والحرارة قبل الطمث مباشرة . وكذلك تكثر نسبة أملاح الجير (الكلس) في الدم ، وترتفع قليلا قبل الطمث ولكنها تهبط بعده مباشرة

وتحدث عادة آلام في الظهر أو في البطن ، قد تكون مسببة عن ازدياد كمية الدم في الأوعية واحتقانها . أما اذا كانت الآلام شديدة فقد تكون مسببة عن حالة مرضية . وتأخذ هذه الاوجاع في الزوال عند ظهور الطمث . وكثيراً ما تشتد آلام

دماغ في هذا الوقت . ومن المحقق ان المناعة الطبيعية ضد الأمراض المكروبية تقل كثيراً في وقت الطمث . أما وظيفة الطمث فهي في الحقيقة غير معروفة تماماً حتى الآن . وجميع النظريات التي قيلت في هذا الصدد ليست كافية لتفسير هذه الظاهرة تفسيراً مقنعاً . ولذلك ضربنا صفحاً عنها .

ويرى بلير بل أن أهم وظيفة للطمث هي افراز الاملاح الجيرية الزائدة التي تتجمع في الدم بسبب عدم استعمالها في غير أوقات الحمل .

سن اليأس من الحمل

يبدأ هذا الدور من سن ٤٢ الى ٥٠ ويتميز بعدم انتظام الطمث ثم بانقطاعه التدريجي أو الفجائي . وقد يصحب ذلك حدوث نوب نزف شديد لا تمكن معرفة سببها . وفي هذا الدور تأخذ الاعضاء التناسلية في الضمور التدريجي ، وتصير المرأة شديدة الاستعداد للسمن خصوصاً في البطن ، وتشكو من فورات حرارية في الجلد قد يصحبها عرق . على أننا اذا لمسنا الجلد وقت حدوث هذه الفورات نجد حرارته طبيعية . ويصحب هذا الدور أعراض عصبية مختلفة الشدة مع نوب دوخة ، وفيه تتعرض المرأة للاصابة بالسرطان . - انتهى

٦ — البلوغ المبتسر

في اساليب الحياة المدنية المختلفة ما يوقظ اعراض البلوغ ويحرّض الطمث قبل حينه ، فيكون النضوج غير طبيعي ، لأن سائر اجهزة الجسم لم تنضج بعدُ النضوج الاستعدادي لنضوج الجهاز التناسلي . فتُترك الفتاة تخالط النساء اللواتي هن اكبر منها سناً كأمها واخواتها وسائر قريباتها الخ . تخالطهن في كل حال وتسمع احاديثهن حتى عن خصائص النساء المتزوجات . وربما سمعت منهن اخبار الحب عن فلان وفلانة الى غير ذلك مما لا يحسن ان يقال على مسمع الاحداث مهما تؤدّب في قوله ، لأن مثل هذه الاحاديث توقظ النعرة الجنسية في الفتاة ، وان كانت لا تفهم شيئاً عنها . وقد يمكن ان تكون قد فهمتها . وانما لم تفهم حقائقها الطبيعية العلمية

التي يجب ان تفهمها قُبيل البلوغ ، أو عند ظهور اعراضهِ ، لكي تعلم كيف تحافظ على صحتها وسلامتها واتقاء العلل بسبب جهلها .

ثم ان عادة الامهات ان يشرعن بتهيئة بناتهنَّ كعرائس جميلات اغراء للشبان قبل ان يبلغن الى السن التي يحسن ان يكنَّ فيهـا هكذا . ومع ان الأمَّ تبالغ في كتم حقيقة سن بنتها ، حتى بعد تجاوزها سن المراهقة ، تشرع تلبسها الملابس الضيقة والاحزمة الضاغطة والاحذية العالية العقب الى غير ذلك من مزعجات الازباء ومؤذياتها للصحة — تشرع تقيدها بقيود « الموضة » من قبل ان ينمَّ نضجها الطبيعي . فكأن الأم تحرج برعمة الفتاة ان تفتح قبل ان يستتم نَورُها نموَّه ويستوفي نضوجه

فمخالطة الفتيات الصغيرات للسيدات في مجالسهنَّ الخاصة وسماع ثرثرتهنَّ في الشخصيات من جهة ، ثم من جهة أخرى تهيئتهن كعرائس لاستهواء الفتيان ، بحيث تجرئهنَّ هذه التهيئة على مخالطة الشبان أيضاً ، وقد تجرئهنَّ على لعب ادوار الحب ، كلا هذين الأمرين يوقظان الغريزة الجنسية ، ويحرّضان الطمث قبل اوانه

واذا اضفت الى ذلك تساهل الابوين في تربية الفتاة ، والتراخي في حراستها ومراقبتها وصيانة آدابها ، والتساهل في حضورها الملاهي المائلة للخلاعة من سينما آت وتياترات ومراقص ، كان تحريض الطمث اشدَّ . كذلك لا نغفل عن ان قراءة الفتيات الروايات الغرامية ونحوها من الكتب غير اللائقة أو المحرضة للحب تعجل بالبلوغ قبل ميعاده

لذلك يغلب ان الطمث الذي ظهر لأول مرة مبتسراً يكون بعدئذ دائماً مقروناً باعراض مزعجة مختلفة ، ولا يندر ان يكون أليماً . وقد يكون وبالاً على الفتاة في مستقبلها ، ولا سيما اذا كانت عند حدوثه لأول مرة تجهل معناه وحقائقه وكيفية الحرص على الصحة في اثنائه ، واتقاء الاخطار التي يمكن ان ترافقهُ ، والتي تتعرض لها الفتاة بسببهِ

لذلك نصح لكل أم ان تترك بنتها حدثةً في مدة حداثتها ، ويافعاً في مدة يفعها . ولا تعجل في تهيئتها للشبيبة قبل ميعادها بمزعجات الازياء . وينبغي ان تراقبها جيداً ، ولا تعرضها للاجتماعات المهيجة للعواطف من مجالس نسوية أو ملاهٍ أو مخالطة

للفتيان ، لأن كل ذلك سابق أوانه فيجعل بلوغها سابقاً أوانه ايضاً . فيعرضها في المستقبل للنوب الهستيرية والآلام العصبية

ثم من اسباب ظهور الطمث قبل النضوج الحقيقي بطء النمو العمومي الطبيعي لقلة الرياضة البدنيـة . فالفتاة في سن الحداثة يجب ان تترك لها الحرية في اللعب والحركة بقدر ما يقتضيه مزاجها . وأما تقييدها بمزعجات الازياء ومجالس السيدات ، وهي لم تزل دون سن اليفع ، يحرمها الرياضة اللازمة لها ويؤخر نموها الطبيعي . فقد يحدث الطمث قبل استيفاء النمو العام

وهناك أمر خطير الشأن يجب ان يعيره الوالدان كل اعتبار ، وهو ان تعاطي الصغار بعض انواع المنبهات كالقهوة والاشربة الروحيـة من بيرة ووسكي الخ يؤذيهم اذى شديداً ولا سيما في حياتهم المستقبلة . ان هـذه المنبهات والمكيفات أشد تأثيراً في الاحداث منها في الكبار . أقل شيء منها يعرض قلب الصغير للضعف والعطب ويثير الجهاز العصبي . والفتاة اكثر تعرضاً للعطب من الفتى . ويظهر تأثير المسكرات وسائر المنبهات على الفتاة في أثناء البلوغ وبعده في كل ميعاد طمث إذ تتناوبها الآلام والاعراض الهستيرية . فضلاً عن ان هـذه المنبهات تعجل البلوغ قبل ميعاده ، فتضاعف الاضرار الناجمة عنها

فحذار من السماح للصغار بالاشربة الروحية والتدخين والاكثار من القهوة والشاي . واذا كان الابوان شديدي الحرص على سعادة اولادهما فلا يدخلان الاشربة الروحية الى منزلهما ، ولا يأخذان اولادهما الى حانة ولا يأخذان اشربة في متنزه عمومي سوى المرطبات البسيطة

ب - الطمث - آلامه واضراره

الطمث حادث طبيعي فيجب ان يكون خالياً من الآلام والمزعجات . فاذا رافقه ألم كان ثمت سببٌ أو اسبابٌ اخرجته من دائرته الطبيعية . وقد يكون الألم شديداً احياناً ينغّص حياة الفتاة حتى بعد ان تصير زوجة وأماً . ولذلك يجب ان يتنبه الابوان ويعنيا بوقاية بناتهما من اسباب عسر الطمث . وكذلك على الفتاة ان تعلم هـذه

الاسباب لكي تتقيها . وقبل ان نشرح الاسباب نورد ما كتبه سعادة الدكتور نجيب بك محفوظ عن عسر الطمث في كتابه امراض النساء

أ — عسر الطمث

يصحب الحيض ألم قليل في الجزء السفلي للبطن والحوض والظهر . فاذا زادت هذه الاعراض لدرجة تستوجب ملازمة الفراش عُدَّت مرضية . وعسر الطمث نوعان: الأول غير مصحوب بعلامات موضعية ، والثاني مصحوب بها

فغير المصحوب بها منه هو « عسر الطمث التقلصي » وهو يحدث عند العذارى واللواتي لم يلدن . وفيه يبدأ الألم قبيل الحيض أو في بدئه، وقد يستمر بضع ساعات أو يدوم يوماً أو اكثر . وقد يأتي الألم على شكل نوب مغصية أو على شكل وجع مستديم ، تتخلله نوب المغص الذي قد يشتد لدرجة توجب اثناء المريضة على ذاتها . ويُصطَحب بغثيان وقيء وصداع شديد ، واحياناً باسهال مفرط . وينزل الدم في أثناء ذلك قطرة فقطرة . وهذا الألم الشديد ، وان كان لا يدوم اكثر من يوم ، يتعب المريضة لدرجة تضطرها الى ملازمة الفراش بضعة أيام . وقد يحدث في هذه الاحوال ان تكون فوَّهة العنق ضيقة والعنق نفسه قمعياً ، وجسم الرحم شديد الانثناء الى الامام . ولكن كثيراً من هذه الاحوال لا تصطحب بضيق ظاهر .

ومنها «عسر الطمث العصبي» وهو يحدث عند عصبيات المزاج . وقد يُصطَحب بنوب هستيرية في احوال قليلة

أما عسر الطمث المصحوب بعلامات موضعية فينسبب أما عن وجود عائق لنزول الدم مثل ضيق خَلْقي أو مكتسب في العنق ، أو من احتقان الرحم الناشيء عن عدم انكماشه انكماشاً تاماً بعد الولادة ، أو من اصابته باورام ليفية ، أو من وجود امراض التهابية في الحوض . وفيه يبدأ حدوث آلام قبل الحيض ببضعة أيام

العلاج — تعالج الاحوال المصطحبة بامراض موضعية بما يناسبها . أما في الاحوال الأخرى فيلجأ الى العلاجات المخففة للآلام ، مثل وضع كيس ماء ساخن على القسم

الخثلي ، وإعطاء المريضة خمس نقط من روح النعنع القوي (١٠ بالمئة من الكحل) في فنجان ماء . فان لم يزل الألم تعطي برشامة اسبيرين ٣٠ سنتيجراماً ، وتكرر بعد ٤ ساعات - . انتهى

٢ — اسباب عسر الطمث المباشرة

من جملة اسباب عسر الطمث اهمال تنظيف الامعاء ، الاهمال الذي كثيراً ما يفضي الى الامساك . والغريب ان جانباً كبيراً من النساء في العالم المتمدن مصابات بالامساك . وسببه اهمال الأبوين هذا الأمر في بناتهن منذ الحداثة ، فيصبح الامساك فيهن مزمناً ، ويستعصي على الطب والاطباء والعقاقير .

وتعليل تأثيره في الطمث ان الأمعاء اذا لم تفرّغ دائماً تفريغاً نظامياً يومياً تتجمع الفضلات في المعى الغليظ قرب المستقيم ، وتضغط على الاوعية الدموية التي في محتويات الحوض ، وتحدث احتقانات مختلفة ، ولا سيما في المبيضين والرحم ، حتى متى جاءت « العادة » ظهر الألم . ومن جملة اسباب عسر الطمث ايضاً هبوط بعض الاحشاء من التجويف الاوسط البطني الى التجويف الاسفل الحوضي . ومعلوم ان طول الامعاء نحو سبعة امتار تقريباً ووزنها نحو ١٥ رطلاً طبياً . فقد تهبط احياناً نحو قيراطين الى ست قراريط من تجويفها البطني وتتدلّى الى التجويف الحوضي . وقد تهبط معها الكبد والكليتان

وكثيراً ما يكون سبب هذا الهبوط ضغط الملابس على الخصر فيعصر الاحشاء . وعلى التمادي تمطّ اربطتها فتتدلّى الى الحوض . ولا يخفى عليك انه ليس فوق الوركين من عظم يصد مقاومة الاحزمة والملابس الضاغطة على الخصر ، فيقع الضغط على الاحشاء نفسها فتتدلى . ولما كانت الامعاء اسهل تحركاً من سواها فهي اول واكثر ما يهبط من الاحشاء .

فاذا كانت الفتاة أو لمرأة ترى انخفاضات على جانبيها تحت الاضلاع السائبة كان ذلك نذيراً بهبوط امعائها . واذا كانت تشعر بتعب وضجر ووني ووجع في الظهر عند الوقوف والمشي كان ذلك نذيراً بأن الامعاء أو الاحشاء كلها متدلية الى الحوض ،

وضاغطة على محتوياته ، ومعرقلة الدورة الدموية ، وموجبة احتقاناً ، بحيث لايتصرف الدم بحرية . فمتى حدث الحيض اشتد ألم الاحتقانات . في مثل هذه الاحوال تستعمل السيدات احزمة صحية لرفع الاحشاء الهابطة . وبعضهن لسوء حظهن يجهلن كيفية استعمالها ، بل يجهلن الغرض من استعمالها ، فبدلاً من ان ترفع الاحشاء الى فوق وتحفظها في اماكنها تعصرها الى تحت فتزيدها هبوطاً . فلذلك يجدر بها ان تعالج هذا الهبوط بحزام ، وان تستفهم جيداً من طبيبها عن كيفية استعماله

من حسن الحظ ان الازياء الحديثة الأخيرة خالية كثيراً أو قليلاً من الضغط على الخصر إذ ان الحزام نازل الى العجزين تحت الخصر ورخو

٣ — اسباب عسر الطمث السابقة — الجلوس والوقوف

وهنـاك اسباب اخرى لعسر الطمث ترجع الى عهد الصبوة وأيام المدرسة . فمنها كيفية الوقوف ، فان معظم الصبيان والبنات لا يقفون على القدمين بتوازن ، بل يجعلون معظم ثقل الجسم على احدى القدمين دون الأخرى ، الأمر الذي يفضي على التمادي الى زيغان الرحم من موضعه أو اعوجاجه . وتعليل ن الوقوف على قدم واحدة يجعل الكتف والورك فوق تلك القدم متقاربين ، فتقل سعة التجويف البطني في تلك الجهة وتندفع الاحشاء الى الجهة الأخرى التي تكون قد اتسعت بسبب هذا الميل الى الجهة الاولى . وحينئذ ينحرف سند الاحشاء في الجهة الأخرى ، فتهبط الاحشاء ، أي محتويات التجويف البطني ، الى التجويف الحوضي ، وتدفع الرحم الى الجهة الاولى التي قلّ الضغط عنها . فاذا تكرر هـذا الوقوف على القدم نفسها وتكرر هذا الهبوط يرتخي على التمادي الرباط العريض لكثرة الاستعمال وينمطّ ، وأما الرباط الآخر فيقصر لقلة الاستعمال ، ويبقى الرحم زائغاً عن مكانه ، أي معوجاً ، واعوجاجه يسبب عسر الطمث وآلامه

وتكرار الوقوف على القدم اليسرى أشد ضرراً منه على القدم اليمنى ، لأنه يجعل الرحم والمبيض يضغطان على المستقيم فيحدثان امساكاً ميكانيكياً ولا سيما في أثناء الحيض

كذلك الجلوس غير المعتدل أو المائل الى جانب واحد ، بحيث تكون الفتاة متكئة

تابع ١٠ (— —)

ومرفقها على مكتبها في المدرسة ، يفضي الى مثل تلك النتيجة ، لأن الراس يميل الى الجهة الأخرى فيحدث اعوجاج العمود الشوكي (أو الفقاري) . واذا القت الفتاة كلا مرفقيها على المكتب ارتفعت كتفاها وتقوّس عمودها الشوكي . فاذا كان الجلوس على هذا النحو أو ذاك يحدث ولا بد التواء في العمود الشوكي ، فتتوتر بعض عضلات الاربطة التي هي تحت سلطة الاعصاب الواردة من النخاع (أو الحبل) الشوكي وترتخي العضلات الأخرى ، فيحدث الاعوجاج المشار اليه آنفاً

لايقتصر ضرر سوء الوقوف والجلوس على الاعضاء الحوضية فقط ، بل يضر المعدة وسائر الاحشاء والصدر ، ويشوّه اعتدال القوام ، ويذهب بجمال الجسم الطبيعي ، فضلاً عن أنه يضر بصحته .

فكم هو جدير بالوالدين ونظار المدارس أن يتنبهوا جيداً لهذه الأمور الصحية ، ويكرروا تنبيه البنات والصبيان الى الجلوس والوقوف القويمين ، والى كيفية المشي والقامة منتصبة بحيث يرتكز الرأس على العمود الشوكي الذي يجب أن يكون دائماً قائماً معتدلاً

٤ — امراض الطمث

تقلق الفتاة ويقلق اهلها أيضاً اذا علمت وعلموا أن الألم الذي تشكو منه في اثناء الطمث مسبَّب عن زيغان الرحم عن موضعه ، بحيث يكون فمه منحرفاً كثيراً أو قليلا الى أحد الجانبين أو الى فوق أو الى تحت . يمكن أن يعلموا ذلك من فحص أو تشخيص طبيب اختصاصي . وقد يزعجهم كثيراً اذا كان الألم مصحوباً بسيلان السائل الابيض (وهو غير السيلان المسمى بالنقعة) المسمَّى ليوكوريا Leucorrhea

فاذا عرفوا اسباب ذلك الزيغان وتحققوا انها هي نفس الاسباب التي ذكرناها آنفاً من ضغط الملابس وسوء الوقوف والجلوس والمشي ونحو ذلك ربما خف قلقهم ، لأن الانحراف يمكن جداً أن تزال أسبابه ، وازالتها سهلة اذا كانت الفتاة تواظب على مزاولة الوقوف والجلوس الطبيعيين ، وعلى ترك كل لباس يضغط على الخصر والبطن والاحشاء ، وعلى عدم احتذاء الحذاء العالي العقب .

وافضل نوع من اللباس ما كان رخواً وواسعاً جداً حول البطن والصدر والخصر وغير معلق على الوركين ، بل ما كان معلقاً على الكتفين

٥ — السيلان الابيض

اما سيلان السائل الأبيض فالعامة يحسبونه مرضاً . فاذا طرأ على الفتاة العذراء ذعرهم جداً . وقد يحاولون أن يعالجوه بغير الوسائل الطبية القانونية عن يد قوابل غير قانونيات، أو دجالين أو دجالات فيؤذون الفتاة أذىً قد لا يتلافى. والسيلان الأبيض ليس مرضاً ، ولا هو نتيجة تعفن مكروبي ، بل هو عارض بسيط يدل على حادث غير عادي في الجهاز التناسلي . فيكفي لازالة هذا العارض تلافي الحادث فقط

لا يخفى ان تجاويف الجهاز التناسلي كالفرج والمهبل وداخل الرحم مبطنة بغشاء مخاطي كالغشاء الذي يبطن الانف والفم والحلق والامعاء والعين الخ . . وهذا الغشاء يفرز دائماً مادة مخاطية لكي يبقى ناعماً لزجاً يسهل تحركه . وقد يطرأ طارىء فيزيد افراز هذا المخاط . وتسمى هذه الحالة زكاماً أو رشحاً

ويزداد هذا الافراز في الجهاز التناسلي قبيل الطمث وبعده زيادة طبيعية . فحينئذ لا ينبغي ان يقلق احداً مهما كان كثيراً لانه أمر طبيعي . وانما اذا استمر كل مدة الشهر بين حيض وحيض فيجب ان يشاور بأمره الطبيب المختص ، ولا سيما اذا كان السيلان ذا رائحة كريهة او ملوناً بالدم . حينئذٍ يكون مرضياً

يمكن ان ينتج السيلان المرضي عن احتقان بسيط في الاوعية الدموية التي في الغشاء المخاطي نفسه ، لاسباب مختلفة كضغط الملابس أو الامساك في الامعاء ، أو بسبب اختلال في الجهاز الهضمي ، أو لاسباب اخرى يكتشفها الطبيب . ففي اي حال يجب ان يستفتى الطبيب المختص في السيلان المستمر بعد الطمث ، سواء كان ذا رائحة او لم يكن . ولا يخفى ان نتانة رائحته تدل على حدوث تعفن في الغشاء بسببه، لا ان التعفن سبب له .

٦ — العلاج التدجيلي

في مثل هذه الامراض النسوية التي تكثر جداً عند النساء بناتا وعقيلات تكثر ثرثرة

القريبات والصديقات والجارات؛ وكل واحدة تصف علاجاً بناء على اختبارها الشخصي أو اختبار جارة أو صديقة اخبرتها به . وهكذا يقع حظ الفتاة المصابة بالسيلان الابيض بين ايدي هؤلاء الدجالات . ويعزل الطبيب الاختصاصي من البيت وتعوّل الفتاة أو اهلها على الوصفات « البلدية » التي تفوق اضرارها ويغلب اذاها على نفع الطبيب ونجع العلاج . وقد يتأصل ضررها فيتعس مستقبل الفتاة

ان الجهاز التناسلي النسوي شديد الاحساس رقيق الأعضاء نضيرها رخصها . فأقل عامل مؤذٍ يعطبها ويصعب بعدئذٍ اصلاح عطبه . فلذلك يكون خطراً جداً أن تتلاعب بسلامتهِ ثرثرة النساء وتدجيل الدجالات من قوابل جاهلات وغيرهن، بل يعد خطاء أن يعتمد في علاجهِ على طبيب غير اختصاصي أو عابر سبيل . فيجب أن يولى أمره الطبيب الاختصاصي الشريف الذي تعتمد عليه العائلة في كل ملمة مرضية .

والغالب أن تكون الحالة بسيطة فيعالجها طبيب العائلة بابسط العلاجات فتشفى ، ويسلم هذا الجهاز النحيف من العطب

وكثيراً ما يتهافت الناس على الأدوية الجاهزة التي تطنطن بها الاعلانات في الجرائد ،وتبالغ في وصف فوائدها ومنافعها . والغالب ان ٩٩ بالمئة من الاعتماد على هذه الادوية الجاهزة ضارٌّ في معالجة الاحوال النسائية ،لأنه لا يكون علاجاً للحالة المقصودة بل لحالات اخرى، ولذلك يغلب أن يضر بدل أن ينفع . وقد يكون الدواء نفسه محض تدجيل وافك ، الغرض منه مادي بحت . فيؤذي . وان لم يكن بنفسهِ مؤذياً فالاعتماد عليه يقضي باهمال الطبيب . وهذا الاهمال وحده كافياً لايذا المريضة

فلذلك ننصح للفتيات ولاهلهن بالابتعاد عن ثرثرات الجارات والصديقات والدجالات والأدوية الجاهزة، وبالاعتماد على طبيب البيت والاختصاصي المقيم . ويكفينا فضل الطبيب أن يطمئننا بأن الحالة بسيطة وأن يعالجها بالعلاج الصائب الناجع

٧ — تأخر الطمث

في بعض الاحوال قد يتأخر بلوغ الفتاة جداً ؛ أي ان الفتاة تتجاوز السن المعتادة

فتبلغ السادسة عشرة أو اكثر ولا تأتيها العادة ، فيقلق ابواها . ويمكن ان تكون الأم قد سمعت ان المرأة التي لا تحيض تكون مصابة بالسل . فتظن ان عدم الحيض يسبب السل . فلكي تنقذها من هذا الداء الوبيل تعطيها بعض العقاقير المحرضة للعادة . وقد تذعن لرأي الجارة والصديقة والدجالة في هذه الحالة اكثر مما تصيخ لنصح الطبيب

فمن الجهل الفاضح ان يعوّل العامة على ذكائهم الخدّاع الغرار في تعليل علائق الامراض بعضها ببعض . فتظن الواحدة ان تأخر العادة يسبب مرض السل . ولا ندري لماذا لا تظن العكس اي ان مرض السل من جملة الاسباب غير المباشرة لتأخر العادة أو انقطاعها .

ان السبب الاساسي لتأخر العادة عند الفتاة الناهد هو ضعف الجسم العمومي وفقر الدم . وقد يكون السل سبب هذا الضعف ، وقد تكون اسباب الضعف أموراً اخرى . فليس محتوماً ان تكون متأخرة الحيض مسلولة

فلذلك ، العقاقير التي تعطى للفتاة لتحريض العادة عندها تضرها جداً ولا تنفعها . وانما ينفعها علاج واحد فقط ، وهو العلاج الذي يقوي جسمها تقوية عمومية ويوفر دمها . وطبيب العائلة اخبر من امها وجاراتها وصديقاتها والدجالات في معالجتها وتقويتها . ومتى تقوّت ووفر دمها تأتي العادة من نفسها طبيعية مبشرة ببلوغ الفتاة الطبيعي

وقد تحدث للفتاة اعراض تبشر بدنو العادة ، ولكن العادة لا تأتي وتمر تلك الاعراض بلا جدوى . وربما تكرر هذا الأمر شهراً على شهر . وهو أمر يقلق الفتاة وأهلها ايضاً . فان لم يكن لهم صبر على هذا الحالة ريثما يستتب الأمر الطبيعي فليلجأوا الى الطبيب لا الى « الوصفات البلدية » . وان كان لهم صبر فليجتهدوا في تسيير الفتاة على القواعد الصحية التي تقوي جسمها وتساعد نموها . اللهم إلا اذا اشتبهوا بعارض غير اعتيادي للفتاة فليلجأوا الى الطبيب

وقد يظهر الحيض مرّة ثم ينقطع بضعة اشهر . وهي حالة تقلق ايضاً ، ولكنها قد تكون بسيطة السبب ولا داعي للقلق . قد يكون ثمت عارض بسيط يوقف وظيفة الحيض مدة كالجهاد العصبي أو العقلي . فقد علم ان بعض الفتيات ينقطع الطمث

عندهنَّ في الاشهر المدرسية ويعود في عطلة الصيف . فكأنَّ الجهاد العقلي يستغرق كل القوى الحيوية ، فلا يترك شيئاً منها للجهاز التناسلي ليقوم بوظيفتهِ الطبيعية . وفي هذه الحالة تجب ملاحظة صحة الفتاة العمومية ومعالجة ما يظهر فيها من الضعف العمومي أو الموضعي ، ولا داعي للقلق على انقطاع العادة

٨ً — قدر الطمث

قد يكون الطمث شحيحاً فيقلق الفتاة أو ابويها . وغزارة الطمث تسر العوام كأنها دليل على نظاميتهِ والصحة العمومية . والحقيقة ان غزارة الطمث انما هي نتيجة حياتنا الصناعية المجهدة . ولو كنا نعيش عيشة بسيطة نظامية حسبما تقتضيها الطبيعة ، لكان الطمث الشحيح قانونياً صحياً . فاذا كانت الفتاة جيدة الصحة وتامة النمو ولا تشكو ضعفاً ولا آلاماً بتاتاً فلتشكر الله على شح الحيض ، فانه دليل على حسن صحتها

وانما ان كان الحيض غزيراً ثم شح فجاءة ، أي في حيض تالٍ ، فلا بد ان يكون نذيراً بتوعك كبرد ، أو اختلال صحي كضعف عمومي بسبب اجهاد القوى ، أو وني الجهاز العصبي ، أو الاضطراب العقلي ، أو الهياج العاطفي . فاذا استمرَّ شح الطمث على هذا النحو وجب حينئذ الالتجاء الى الطبيب

ولا يخفى انه لا يمكن تعيين قدر عمومي لغزارة الطمث فهو شيء نسبيٌّ . فاذا كان وافراً ولكنه نظاميٌّ والصحة العمومية جيدة فلا ينبغي ان يقلق . وانما يجب ان تلاحظ الحالة الصحية العمومية معهُ . فقد يكون سببه بدء انحاط صحي عمومي لا يظهر إلا بعد حين . وقد تشعر الفتاة قبله وبعده بوني وبضعف عمومي . وقد يستمر مدة اطول من المدة المعتادة .

وقد يكون سببه امتلاء Plethora فيحدث صداعاً وألماً في الظهر . وربما ظهر شيء من اعراض الحمى .

فاذا كان السبب الثاني أي الامتلاء أو وفرة الدم وجب ان ينظم غذاء الفتاة ، فيكون بسيطاً خالياً من المواد الحريفة والمهيجة ، وان تكثر الفتاة من الرياضة خارج المنزل ،

وان ترتاح راحة تامة جسمية وعقلية نحو يوم قبل الميعاد المنتظر . والافضل ان تضجع في السرير ، وان تضع مكمدات الماء البارد على بطنها وعلى عانتها مدة ساعة كل دفعة وبين الدفعتين نحو نصف ساعة . ويجب ان تنظف الامعاء من فضلاتها ، وان تعطى كل يومين أو ثلاثة حقنة شرجية باردة في سائر الشهر . فان لم تنجح هذه الوسائل وجب الالتجاء الى الطبيب

وأما اذا كان السبب ضعفاً عمومياً وكان يتحول الى نزف في بعض الاحيان وجب ان تلزم الفتاة سريرها حتى بعد وقوف النزف . ويجب ان تتخذ كل الوسائل لتقويتها ، ليس بالمقويات لانها تحرّض النزف ، بل بالوسائل الصحية القانونية حسب ارشاد الطبيب

٩ — المداراة في اثناء الطمث

في أثناء الطمث يثقل الرحم لأنه مثقل بالدم المحتقن في الاوعية . وقد قلنا فيما سبق انه معلق بأربطة مرنة تسهل حركته . فالحركة البدنية العنيفة تعرّضه للهبوط أو الاعوجاج ، فينتج عن ذلك آلام في الجهاز التناسلي كله وصداع أو انزعاج عام على الاقل . كما ان السكون التام أو الاضجاع في السرير يجعلان الطمث بطيئاً . فلا الرياضة العنيفة مستحسنة ، ولا الهدوء التام مستحسن ، بل يجب الاعتدال فيهما . ولا يمكن اعطاء قاعدة عامة لمقدار الحركة ونوعها وكيفيتها في أثناء الطمث ، إذ تختلف هذه القاعدة باختلاف الاشخاص . فالفتاة نفسها اذا كانت فطنة تعلم من نفسها ان كانت الرياضة اللطيفة لازمة لها ، أو اذا كان الهدوء افضل واسلم عاقبة . يتوقف الأمر على صحتها العمومية وقوتها ونشاطها وشعورها والاعراض التي تحس بها ، فان كانت خالية من الاعراض التي اطلعت عليها في النبذات السالفة وكانت صحتها العمومية جيدة فلا لزوم لأن تغير شيئاً من احوالها العادية ، وإلا فلتتئد وتقلل من العمل والحركة في حالة الألم والانزعاج . يحسن بالفتاة ان تستقر في المنزل أو في السرير وتستعمل المكمدات الدافئة على اسفل البطن ، وان تتعاطى الاشربة السخنة كالشاي الخفيف . وأما استعمال الاشربة الروحية فضار اكثر مما هو نافع ؛ وأقل ضرر له ان الفتاة تتعوده

فتستعمله في حالة السلامة أيضاً . وعواقب ادمان المسكرات وخيمة كما علمت

وهناك نوع من آلام الطمث يرجع سببه الى حالة عصبية ناتجة عن نوع الحياة المناقض للقواعد الصحية كادمان المسكرات أو التعرض للهيجات . ففي هذه الحال نجرب الفتاة المكمدات الباردة . فان سكنت الألم فلتستعملها بغير افراط . وانما هذه المكمدات الباردة تفيد اذا لم يكن الاحتقان شديداً ، وإلا فهي ضارّة ، ولا بد من استعمال المكمدات الدافئة

في أثناء الطمث يجب ان تحاذر الفتاة من التعرُّض للبرد ، وان تتقي الاطعمة الحريفة والمهيجة ، بل يجب ان يكون طعامها بسيطاً مغذياً سهل الهضم . واذا كانت امعاؤها غير منتظمة الافراز فيحسن بها ان تأخذ مسهلاً لطيفاً قبل ميعاد العادة بيوم أو اكثر

في أثناء الطمث تمتنع النساء عن الاستحمام ، فقد يكون غير ضروري ولا مفيد ، وانما لا يمتنع عليها ان تنظف المكان الذي يتسخ بالطمث بالماء الدافىء والصابون لكي لا يتعفن . وربما افاد الحمام الحوضي ، أي القعود في حمام نصفي ، بعض دقائق بحيث يكون الماء فاتراً

أما الفوطة المستعملة لتلقي الدم فيحسن جداً أن تكون معلقة بنطاق متقاطع يلقى على الكتفين ، فذلك خير من ربطهِ بحزام على الخصر . ويجب أن تكون الفوطة من قماش سريع الامتصاص ، وأن تبدل كلما امتلأت بعض الامتلاء ، ولا تترك طويلا الى ان تجف او تثقل بالسائل

يجب على المرأة في اثناء الطمث أن تصرف افكارها عن الاعضاء التناسلية وتفتكر ان الطمث امر طبيعي صحي . واما حصر افكارهن فيهِ فيجعله مزعجاً

ج - العادة السرية

١ — محرضات العواطف

الحياة المدنية الحالية بما فيها من مهيجات للعواطف ومحرضات تجعل الفتاة تبلغ قبل ميعاد البلوغ . فهي كطقس المناطق الحارة التي تجعل الثمار تنضج قبل ميعادها . ومتى استيقظت الغريزة التناسلية ونشطت نبضاتها اجتذبت افكار الفتاة اليها بحيث لا تستطيع الفتاة كبح جماح أفكارها عنها إلاّ بعناء . والفتاة في هذا العصر محفوفة بجمّ من محرضات هذه النعرة ومحسساتها، من معشر قليل الاحتشام كثير المزاح ، كثير الاحاديث عن الحب والأحباء والعشق والعشاق ، وقد لا يخلو من الإيحاض ، ومن ملاهٍ اقرب الى الخلاعة والتهتك منها الى الحشمة والوقار ، ومن روايات غرامية تتنقل بينها الفتاة تنقل النحلة بين الزهور والثمار ، فلا بدع ان يتواتر تيقظ نعرتها الجنسية وان تحوم افكارها حولها . فنشاط النعرة على هذا النحو يفضي احياناً بل غالباً الى العادة السرية الأثيمة المعروفة باستعمال اليد ، وهي تشابه العادة السرية المعروفة بالاستمناء عند الشبان ، واضرارها كاضرار تلك ، لأن تحرك النعرة الجنسية يقترن بشعور سارّ أو احساس لاذّ ، فلا تلبث الفتاة ان تكتشف انها تحصل على هذا السرور بوسيلة ميكانيكية ، أي باستعمال اليد . ولأنها تجهل وخامة عاقبة هذه العادة تسترسل بها ، بالرغم من ان غريزتها توعز اليها ان تكتم أمرها وتبقيه سرًّا مكنوناً . ومتى تملّكت فيها العادة يصعب عليها الاقلاع عنها ، ولو علمت بسوء عقباها ، بل يكثر بها الميل للاختلاء بنفسها واطلاق العنان لافكارها وتصوراتها الغرامية . وحينئذٍ يشتد الخطر على صحتها ومستقبلها من جراء تملك هذه العادة

لذلك يجب تيقظ أبوي الفتاة لتدارك هذا الخطر قبل ان تتيقظ النعرة الجنسية فيها . على الأبوين ان يتنبها لكثير من الأمور المختلفة التي تحرك شهوة الفتاة ، وتقودها الى هذه العادة ، ولا سيما لأن هناك اموراً واحوالاً مسببة هذه

العادة الذميمة تسبق دور البلوغ بكثير . نذكرها فيما يلي لكي يتداركها الأبوان .

٢ — محرضات جسمانية

لا يخفى ان الجهاز التناسلي كتلة اعصاب شديدة الاحساس ، وأقل مساس بها يهزها كهز قوس العازف للوتر . يبتدىء هذا الاحساس العصبي منذ الحداثة ، وان كان لا ينشىء تخيلات عقلية قبل سن البلوغ . فاذا كان ظاهر الجهاز في البنت الصغيرة وسخاً ولا ينظف دائماً فلا بد ان يحدث تهيجاً أو حكةً تحرج البنت لحكه وفركه . فتجد بالحك والفرك احساساً سارًّا فتكرره . وعلى التمادي يصبح عادة ، ويتحول الى العادة السرية بعد البلوغ الذي يأتي باكراً لهذا السبب عينه ايضاً

وفي بعض الاحوال يفضي الامساك المستمر عند الفتاة الى احتقان في محتويات الحوض ، والاحتقان يحرج الفتاة الى الحك والفرك وينتهي بالنتيجة السابقة

واذا كان اللباس ضيقاً وضاغطاً على خارج الجهاز التناسلي ينبه فكر الفتاة الى العضو التناسلي . وفي محاولتها ان تشد اللباس الى اسفل لتمنع ضغطه تمس العضو فيحدث عندها الاحساس ، ومن ثمَّ تبتدىء العادة

وقد يكون عند الفتاة ديدان صغيرة تقيم في المستقيم ، فيخرج بعضها منه ويتطرَّق الى مدخل الجهاز التناسلي ، فيحدث عند الفتاة حكةً تحرجها الى الحك والفرك ، فتبتدىء العادة الأثيمة على نحو ما تقدم الوصف

هذه اسباب ميكانيكية يمكن الأم ان تتداركها بسهولة اذا كانت تنتبه دائماً لنظافة اسفل البدن جيداً ، ولجعل اللباس واسعاً كفاية بحيث لا يضغط على مدخل الجهاز التناسلي ، واذا كانت ايضاً تنتبه جيداً لحركة امعاء الفتاة ، وتتدارك الامساك في الحال ، وتعالج الديدان . وبالاجمال تتدارك كل سبب يحمل الفتاة على حك العضو التناسلي

متى قاربت الفتاة سن البلوغ تيقظت الاعضاء التناسلية ، وثم يحدث الاحتقان الطبيعي ويشتد الاحساس في الجهاز ، وحينئذ تميل الفتاة الى وضع يدها . فيجب ان تُحذَّر جيداً من هذا الأمر وتفهم سوء عقباه

ولا يخفى ما للنهدين والصدر من العلاقة بالجهاز التناسلي ، وما في النهدين من شدة

الاحساس ، فاذا كانت الملابس ضاغطة على النهدين ، واذا كانت أم الفتاة واهلها لا يحاذرون من مس نهديها ، فأقل ضغط عليها أو لمسها ينبه النعرة التناسلية ، ويميل بالفتاة لاستعمال اليد .

وإذا لاحظت الأم في الفتاة ابتداء هذه العادة يجب ان تمنعها عنها بالتحذير والانذار وبكل وسيلة ممكنة . واذا كانت الفتاة في سن التعقل وجب ان تفهمها أمها ان الفرك والحك يضرّان بها

تطرأ هذه الامور قبل سن البلوغ بزمان طويل . فاذا لم تتدارك استمرت العادة الى ما بعد البلوغ وتمكنت

٣ — المحرضات الخلبية

بعد البلوغ تطرأ اسباب اخرى شرٌّ من تلك : أولها العشرة الرديئة . فان الفتاة التي لم تمارس العادة بعد تتعلمها من فتاة أخرى تمارسها . لذلك يجب ان يكون معشر الفتاة تحت مراقبة أبويها الدقيقة ، فلا يسمح لها ان تختلي مع صديقة أو رفيقة مشتبه بها

نكرر التنبيه الى المهيجات النفسانية في أوائل عهد البلوغ وبعده اذ تتعرض الفتاة لخطر العادة كثيراً ، فقراءة الروايات الغرامية تسدد فكر الفتاة الى جهازها التناسلي . وكذلك الملاهي البعيدة عن الحشمة . وأردأ من كل ذلك ممارسة الرقص الافرنجي فتى مع فتاة ، فانه من أشد المحرضات والمهيجات . كل هذه تلقي جذوة في العواطف وتتركها كالهشيم يلتهب ويأكل بعضه بعضاً . وحينئذ تميل الفتاة الى الخلوة . ومتى لاحظت الأم هذا الميل في بنتها وجب ان تأخذ حذرها وان تشدد في مراقبتها وان تمنعها من الاختلاء

لا يجوز ان نُحرِّم الفتاة من الملاهي السارة والعشرة اللطيفة . وانما يجب ينتقى لها أبعد الملاهي عن الخلاعة والتهتك . فان خلت البلاد من الملاهي المحتشمة اللائقة كان على الوالدين ان يقوموا بوجه الحكومة يطالبونها بتطهير الملاهي من الخلاعات حرصاً على وقاية النشء من الاخطار التي تتهدد جوهر حياته

لحكمة سامية جعل الخالق الجهاز الذي اناط به استمرار النوع الانساني المركز

الرئيسي لمصادر اللذة والألم . ففيه محرك العواطف ومحرض القوى النفسانية لابراز صور الجمال

وفيما تكون العواطف الناشطة علة اللذة والسرور يكون نشاط حركة العواطف مستنفداً قوى الاقنوم الانساني . وفيما يكون الجهاز العصبي التناسلي مشتغلاً في اعداد حياة جديدة ، تخلف الحياة التي هي فيها ، يكون هذا الجهاز بعمله مستنفداً جانباً من الاقنوم . فلا يأتي المولود الجديد إلا على حساب هـذا الاستنفاد . فاذا كانت الفتاة (والفتى ايضاً) تستنفد قواها الجوهرية الحيوية في سبيل لذة بغير وصول الى النتيجة التي مهد لها الخالق السبيل ، وعلى هذا النحو المحفوف بالافعال والحركات العاطفية ، كانت مجرمة ، ولجرمها هـذا عقاب صارم يقع عليها في حياتها الدنيوية . فلا وسيلة لتصريف هذه القوة الحيوية إلا الزواج المقدس

٤ — عقوبات العادة السرية

ان العقوبات التي تنزل على الفتاة بسبب هذه العادة تشابه كثيراً العقوبات التي تنزل على الفتى ، وقد ذكرناها في مكانها . وهنا نكتفي باجمال عقوبات الفتاة وأهمها : أولاً - هبوط صحي عمومي بسبب التفريط بالقوة الحيوية عبثاً ، وبسبب الافراط في ممارسة العادة ، وبسبب الصدمات العصبية التي تتوالى في الممارسة . وتظهر آثار هذا الهبوط العمومي في شحوب الوجه واصفرار العينين والهزال والوني وزوال كل مسحة من مسحات الجمال الجسماني

ثانياً - ضعف القوى العقلية وسقم الذاكرة على الخصوص ، لأن الممارسة التي تنهك الجهاز العصبي تنهك الدماغ ايضاً . ويتبع ذلك الضجر والملل وقلة الرضى باحوال الحياة

ثالثاً - الاضطراب النفساني التابع للاضطراب العصبي ، وكلاهما يظهران في الامراض العصبية المختلفة ، وأهمها الهستيريا ، ونهايتها في كثير من الاحوال الجنون

رابعاً - ان هذه النتائج منذ ظهورها تحول دون توفق الفتاة الى زواج مقدس

بعيد . لأن ظواهرها تذهب بجمالها الجسماني والنفساني معاً . فينفر منها الفتيان اكثر مما يقربون اليها

خامساً - ان استعمال هـذه العادة فيها قد يفضي الى عطب بعض اعضائها الحيوية كالقلب والرئتين ، بحيث يتعذر بعدئذ رجوعهما الى حالتهما الصحية السابقة ، حتى ولو شفيت من عادتها السرية . وان تزوجت بعدئذ شاركها أولادها بهذه العقوبة بجريريتها ، وهم ابرياء ، لأنهم يرثون منها ضعف القلب . وان اصيبت بالسل الذي تعرضها العادة السرية له أورثته لبنيها ايضاً .

٥ — التخيلات الغرامية

بعض الفتيات يعلمن هذه الحقائق المتقدمة لاطلاعهن على مؤلفات مسهبة فيها ، أو لأن اهلهنَّ افهموهنَّ أياها فيمتنعنَ عن العادة السرية احترازاً من الوقوع في مخاطرها . ولـكنهنَّ يستعضنَ منها بعادة أخرى ، وهي عادة الاسترسال في التخيلات الغرامية . وقد تمادى الفتاة في هذه التخيلات الى حد ان تحدث لها تشنجات عصبية ليست أقل ضرراً من العادة السرية

ان تحريض الجهاز التناسلي سواء بالفعل أو بالفكر يرجُّ جميع الجهاز العصبي الذي هو عدته . ولا يخفى ان هذا الجهاز موزع على جميع اعضاء الجسم واجهزته بلا استثناء . فلذلك يبلغ تأثير هذه الرجَّة الى جميع الاعضاء واطرافها . وعلى تمادي الأيام يهدمها أو يقلقلها . فخطر هذه العادة السرية التخيلية أعظم مما يتراءى للفتى والفتاة . فهو خطر قاض على سعادة المستقبل وهناء الحياة . فاذا كان للفتاة ذرة من التعقل تفزع من هـذه العادة وتهرب منها ، وان كانت قد مارستها لجهلها بعواقبها فيجب ان تقاومها قامعة ميلها اليها .

٦ — قمع العادة السرية

قد تجد الفتاة صعوبة في قمعها . وانما الانسان في كل احوال حياته أمام الصعوبات

والعقبات . فلا ينحدر الى الفناء تخوفاً من الصعوبات والعقبات . على الفتاة ان تبذل جهدها في مقاومة هذه العادة الوبيلة بكل وسيلة ممكنة . يجب عليها اذاً :

١ً — ان تتجنب الخلوة والانفراد
٢ً — ان تبتعد عن عشيرات السوء
٣ً — ان تمتنع عن قراءة الروايات الغرامية
٤ً — ان تتجنب المجلس الذي يقل الاحتشام فيه
٥ً — ان تلتهي بالاشغال المنزلية والمطالعات الأدبية والاخلاقية والعلمية المفيدة
٦ً — ان تتسلى بالرياضة البدنية الصحية
٧ً — ان تبتعد عن الملاهي غير اللائقة
٨ً — ان تقصد المتنزهات المنزهة عن مخلات الآداب
٩ً — ان تتجنب الملابس الضيقة
١٠ً — ان تتجنب مداعبة الفتيات والفتيان

وعلى أبويها ان يكونا حارسيها ومساعديها على تنفيذ هذه الوصايا العشر

وأخيراً يبقى للفتاة ملجأ منيع يصونها من العادة السرية اذا كانت تربيتها متينة واخلاقها قوية ، وهو ان تصرف افكارها عن الجهاز التناسلي بتاتاً ، وان تعتقد انهُ خُلِق جوهراً مقدساً لغاية سامية ، وهي استمرار النوع وانشاء حياة من حياة تتعاقبان في دوران الزمان . فكل فكر بهذا الجهاز يدنس قداستهُ ويفسد غايته انما هو إثم أعظم من آثام السرقة والكذب والقتل . فاذا كان للفتاة من شرف النفس وعزتها وكرامتها ما يعصمها من السرقة والكذب الخ فيعصمها أيضاً من هذه العادة الدنسة . واذا كانت الفتاة تأنف ان تسرق أو تكذب أو تفعل أي معصية وتخجل من نفسها ، فبالأولى يجب ان تخجل من نفسها عند ممارستها هذه العادة . إنها حينئذٍ ترتكب اخس الجرائم وأدناها .

فلا تدنسي ايتها الفتاة العفيفة ذلك الهيكل المقدس المخلوق ينبوعاً للجمال .

الفصل الخامس

الحب

نعمة الله

ا - أي حب

١ — نعمة الحب المقدس
٢ — عناصر الحب
٣ — حب بلا نعرة جنسية
٤ — ضلال النظرة الاولى
٥ — حب العذراء عذري

ب - حذر الفتيات

١ — العذراء نور في كم
٢ — الفتى نحلة تغزو الزهرة
٣ — الحبيبة المغزوة لا تكون زوجة
٤ — الفتى الغازي يفسد الحب

ج - المحبة الصداقية

١ — من هو الصديق
٢ — الوالدان خير الاصدقاء
٣ — الام مستودع اسرار الفتاة
٤ — الام الجاهلة خطرة
٥ — صداقة الاخوة والاخوات
٦ — صداقة الصديقة
٧ — خطر الصداقة على الاسرار

د - عشرة الفتيان والفتيات

١ — الغواية
٢ — مظاهر الفتاة المعنوية
٣ — صداقة الفتاة للفتى
٤ — استطلاع الفتاة اخلاق الفتى
٥ — عهد الفتيان المتقلقل
٦ — خطر المكاتبة
٧ — التساهل في المخالطة

أ - اي حب

١ً — نعمة الحب القدس

الحب أعظم نعمة خلقها الله للانسان . وقد جعل له نموذجاً في جميع خلائقه الكونية . ولكن لسوء الحظ ان الطبيعة البشرية اساءت فهم معنى الحب ، وأساءت استعماله ، فاصبح كأنه معرّة بدل أن يكون بركة . فالحب الذي يتجه الى زواج شرعي هو نعمة مقدسة ، والاّ فهو نجاسة . لذلك لا يجوز أن نطفىء هذه الشرارة الآلهية المقدسة في الاحداث لاحتمال ان الطبيعة البشرية قد تنجسها ، بل علينا أن نربي هذه الطبيعة البشرية ونهذبها ونطهرها لكي تصلح هيكلاً مقدساً للحب الشريف المقدس المشتق من حب الله .

لا متسع هنا لتعريف الحب ووصفه وتشريحه ، وقد وقفنا كتاباً برمته عليه ولقي والحمد لله استحساناً كبيراً من القراء (كتاب الحب والزواج)

على ان هذا الكتاب يبقى ناقصاً اذا اغفلنا بتاتاً بيان ماهية الحب فنوجز هذا البيان ما امكن

الحب هو تجاذب رجل وامرأة لتلاؤم بين اخلاقهما وطباعهما بحيث ان ما في اخلاق الواحد منهما وطباعه من النقص يتمه الآخر . ومن اتحاد مجموع اخلاقهما وطباعهما المتجاذبة المتآلفة تتكون الوحدة الانسانية التي تبسطنا فيها في تمهيد هذا الكتاب

٢ً — عناصر الحب

ذلك هو حاصل معنى الحب . وأما فعل الحب نفسه المؤدي الى هذا الحاصل فمركب من أفعال متعاونة في توحيد الجانبين وانتاج وحدة انسانية . وهذه الافعال (اوالعناصر المتفاعلة) التي يتركب منها الحب فهي كما ذكرناها في كتاب الحب والزواج ، ونلخصها هنا كما يأتي :

١ً — الغريزة التناسلية ، وهي التوق المتبادل بين الذكر و الأنثى ، واقوى العناصر واعمها ، وغايتها حفظ حياة السلالة

٢ً — الاعجاب بالجمال ، وبينه وبين الغريزة التناسلية تلعب الالفة الحية دورها العظيم . فالغريزة قوة دافعة من قبل المحب ، والجمال قوة جاذبة من قبل المحبوب . والجمال هو السلم التي يتصاعد عليها الهوى الشعري

٣ً — العطف ، جاذب بين المتحابين يقوّي الالفة الحبية . وبمقدار هذا التعاطف المتبادل يمتاز الانسان على الحيوان

٤ً — الفضيلة ، نشأت في حضن الحب . لأن الانسان شرع يمارس الفضائل من صدق وعدل ورحمة الخ منذ ادرك ان معاملة حبيبه بمقتضى الفضيلة تجتذبه اليه . وأول فضيلة نشأت في الانسان كانت متجهة الى محبوبه

٥ً — التضحية ، وهي التمادي في الحب الى أن يتجاوز حب النفس . وبالتضحية يجتذب المحب المحبوب ، ولهذا يستلذها

٦ً — الاحترام ، وهو ان يستعظم المحب شخصية المحبوب الى حد أن يؤلهها فيتعبدها أو يحترمها بقدر ما يراها عظيمة

٧ً — الاثرة ، اي ان المحبّ يبتغي الاستئثار بحبيبه كله ، ويشق عليه أن يشاركه غيره بحبهِ له . وكذلك هو يملك نفسه كلها لمحبوبه . والغيرة نتيجة انثلام الاثرة . وبالاثرة يستحيل حب الواحد لاثنين

من هذه العناصر السبعة جميعاً يتألف الحب الانساني . وأول عنصر فيها طبيعي فطريٌّ عام جميع الأحياء ، وهو العامل الاساسي لاستمرار النوع . والستة الاخرى يمتاز بها الانسان . وبحسب شدتها يكون الحب شديداً ، وعليها يتوقف الهوى الشعري

٣ً — حب بلا نعرة جنسية

والفرق بين الحب الجنسي والوداد الصداقي (النسبة الى صداقه) هو ان التلاؤم الذي لابد منه في صداقة الاثنين لا يراد فيه الاتحاد بتكوين وحدة انسانية ، بل يراد به تطابق بين الجانبين يمكن اتفاقهما وتعاضدهما وتفاهمهما وتبادل العواطف الشريفة بينهما ، ومن ثم لا يحدث احتكاك يقدح شرَر شرّ او تنافر يفصل بين الصديقين

فلذلك لا شأن للنعرة التناسلية البتة في الصداقه . فهي مفقودة من الوداد أي

تابع ١١ (ـــــ)

المحبة الصداقية. واما سائر العناصر الاخرى فتقوى وتضعف بحسب اختلاف الاشخاص، واليها تعزى قوة وداد هم. والغالب انها اقوى في الحب القرابي، واقوى جداً في الحب الوالدي

ثم ان الهوى السحري أو الروحاني هو الحب الذي تحلّق فيه النفس معتمده على العناصر الأخرى، غير عنصر النعرة التناسلية، وتعتمد بالاكثر على عنصر التمتع بالجمال. تحلّق فيه النفس بحيث تبعد عن النعرة التناسلية، وتصبح هذه مخبوءة أو كامنة أو خامدة. وفي مدة تحليق النفس في سماء الحب الروحاني قد يمكن أن يسمى هذا الحب هوىً عذرياً اذا تجردت النفس بتاتاً من تأثير النعرة الجنسية. ولكن لما كان تحليق النفس وقتياً ولا يدوم ولابد من نزولها بعد قليل أو كثير، فالهوى العذري بكل معنى الكلمة يعد فرضاً موهوماً أي غير موجود. لأنه لا يتجرد كل التجرّد من تصور النعرة الجنسية

٤ — ضلال النظرة الاولى

فالفتاة وهي تتأهب لعهد الزواج المقدس لا يمكن ان تنكر عليها الحب، وهو امر طبيعي، ولا بد منه لحدوث الاتحاد الزوجي. والاّ كان الزواج اقتراناً لا اتحاداً، وعرضة للانشقاق والتنافر بين الزوجين

قد يمكن أن تنقدح شرارة الحب في قلب الفتاة لأول نظرة، أو من عشرة قصيرة ولكنها لا تستطيع أن تضمن اصابة هذا الحب كبد الصواب، أي لا يمكنها ان تستوثق من ان الحبيب الذي خفق له فؤادها هو الأليف الملائم لها والنصف المكمّل لوحدتها، أو انه يقيم على العهد ويثبت على الوعد. فلذلك يجب ان تتريث طويلا في اعلان حبها، بل عليها ان تكتمه في حنايا ضلوعها كتماناً تاماً الى ان تدرس هذا الحبيب جيداً، وتفهمه فهماً تاماً، وتستوثق من اخلاقه وطباعه ومزاجه وسائر احواله الصالحة للزوجية. بل يجب ان تخمد صوت قلبها ولا تذعن لخفوقه لانه قد يخدعها.

ان الحب لأول نظرة أو لعشرة قصيرة يتحرك لفعل ظواهر الشخص فيها. والظواهر لاتنم دائماً عن البواطن، ولا سيما في معركة الحب. الغالب جداً ان الظواهر غرّارة خدّاعة. والفتى يبذل جهده في اظهار كل اناقة ظاهرية، وكل جمال روحاني

مصطنع لاستهواء الفتاة ، ولا سيما اذا آنس منها ميلا . وانما بعد عشرة طويلة تقع تلك القشور وتظهر الحقائق . وثم لها ان تزن الامور وتحكم .

يكفي الفتاة ان تظهر للفتى الذي خفق له فؤادها ارتياحاً لعشرتهِ ، وعليها ان تبالغ في التصوُّن ، وان تحاذر من التبذل . وبذلك هو يعجب بها وتنكشف لها حقائق بواطنه مع الاحترام لها . والاَّ كانت له حبيبة ، وهيهات ان تصير زوجته . لا يحسن بها قطان تظهر له حباً إلا متى طلب يدها ، وبعد ان تستوثق من كفاءته لها ويوافق ذووها على هذه الكفاءة ، لانهم اصوب حكماً عليه لعدم تأثرهم من مجاملاته ومظاهره

٥ — حب العذراء عذري

في اي حال يجب ان يكون حب الفتاة عذرياً مادامت عذراء . يجب ان تجتذب فتاها الى جمالها الروحاني وتحول حبه الى الحب العذري عمداً . عليها ان تبعد قلبه عن الشهوات المادية ، وترفع نفسه من حمأة هذه الشهوات ، وتدعه يقتنع ان الحب البشري اسمى من تلك النعرة الجنسية ، وان السعادة في هذا الحب العذري .

فاذا كانت تصده عن الطموح الى التمتع بالجمال الظاهري وتمتنع عن السماح له بان يلمسها أو ان يعرض بأمر غير لائق او ان يلمح الى معنى مستقبح أو ان يفرط بكلمة بذيئة ، فلا بد ان تكتسب اعتباره وتزيده حباً ، وتطهر نفسه من ادران الرذائل

قد تظن الخطيبة ان لخطيبها حقاً بقبلة أو باشارة غير لائقة أو بكلمة غرامية منكرة وان الكلفة بينهما قد زالت لأنهما سيصبحان بعد حين زوجين . فهذا الظن اثم وخطأ ؛ لأن الكلفة بينهما لا تزول إلا متى اقترنا واصبحا زوجين شرعيين . وأي تساهل من قبلها يفسد ذلك الحب الطاهر المقدس ، ويعرضها للسقوط أو لزوال الاحترام بينهما

ان القبلة الواحدة تجر الى قبلات ، والقبلات تفتح السبيل الى خلوات خطرة العواقب . وقد تزين لها النفس الامارة بالسوء ان هذا التساهل جائز لانها اصبحت ملكاً لذلك الحبيب كما هو اصبح ملكا لها . ولكن يجب ان تعلم انه منذ حدث

هذا التساهل ضعفت هذه الملكية . وكلما تواتر التساهل ازدادت الملكية ضعفاً الى ان تتلاشى وتنتهي بالانفصال قبل الزواج غالباً

لذلك يجب ان تصر الفتاة على بقاء الهوى بينها وبين حبيبها عذرياً محضاً ، وان تحافظ على عصمتها كأنها لم ترتبط بعهد معه . ولا ضمانة لدوام الحب واستمراره بعد الزواج الا بهذا الاصرار

نشدد النكير بهذا الموضوع لأننا نعلم ان كثيراً من الفتيات خسرن مستقبلهن بهذا التساهل . وبعضهن خسرن عفتهن التي هي ركن حياتهن

ب - حذر الفتيات

١ً — العذراء نور في كم

الفتاة الناهد هي البرعمة المفتحة حديثاً وقد ظهر نَوْرُها الجميل وتأرج عطرها . فهي في إبان نضارتها وبدء رونقها . اذا هبت عليها نسمات السحر تميلها ، واذا عصفت الريح بها فقد تقصف ساقها الرخصة ، واذا لفحتها أشعة الشمس المحرقة تذبلها . ففي إبان نضارتها تحوم حولها النحلات

الفتاة ينبوع الجمال ، والفتيان يحومون حولها لارتشاف رحيق الجمال - يحومون غزاة . فأن لم تصن جمالها من الغزاة سبوه وتركوها زهرة ذابلة ذاوية

كلما تقدمت الفتاة سناً يتورد خداها خجلا لتذكارات خلواتها الماضية التي كانت تدنس فيها طهارتها ولو تخيّلا. فكيف بها اذا طفقت في مستقبل شبابها تتذكر مزاحها للشبان ومداعبتهم لها وتطاولهم على زهرتها وغزوهم لرحيقها ، ألا يحمر وجهها خجلا ؟ ومتى صارت أماً ومرت في مخيلتها تلك الذكريات ألا يكفهر وجهها وجلاً وخوفاً على بناتها أن تعصف على زهراتهن عواصف الشهوات أو تلفحها رياح السموم فتذبلها ؟

٢ً — الفتى نحلة تغزو الزهرة

قد تظن الفتاة الساذجة ان الفتى الذي يمازحها انما هو صديق وفيٌّ معجب بشخصيتها مبتهج بجمالها . ولا يخطر لها انه يغازلها ويتصباها ، ويحاول أن يغزو ذلك

الجمال ، وأن ينهل الرحيق الذي يتضمنه ، وأن يثير عواطفها لكي يلفحها بسموم شهوته .

وقد تميل اليه وتهواه ، ويُسوّغ له هواها أن يشم تلك الوردة ، وينهل من ذلك الرحيق . فيداعبها ، يمسك يدها ، يتأبطها ، يضمها الى جنبه ، يحنك بها وتحنك به . وهو بذلك يزيد عواطفها ثوراناً . ثم يتغفلها في عزلة ، ويختلس منها قبلة . فمن ثم تصبح على شفا الخطر . فأن نفرت وتجافت قال لها : لماذا ؟ هذا أمر عادي ترضى به كل فتاة ، ولا ضرر منه ولا خطر . ولكنها قد تجهل ان الخطر أصبح على قاب قوسين أو أدنى ، وان لم تنفر كان الخطر واقعاً ولو بعد حين .

قد تدنو الفتاة الساذجة من الخطر وهي لا تدري انها زهرة عذبة الرحيق عاطرة الشذاء ، وان الفتى غازٍ يسبي أقدس ما عندها وأعز وأثمن . لا يخسر الفتى في ذلك الا طهارة ضميره الداخلي فقط ... وأما الفتاة فتخسر كل شيء - تخسر جمالها الروحاني وكرامة نفسها - تصبح حقيرة ، حتى في عيني الفتى اذا سلمت من الخطر

لو كانت تدري ماذا يعتقد الشاب بها اذا استطاع مداعبتها وتمكن من تقبيلها وضمها ، وماذا يتحدث مع خلانه عنها كاتماً أو غير كاتم اسمها - لو كانت الفتاة تدري ذلك لكانت تتذعر أو تخجل من نفسها ، ولا تستطيع أن ترى وجهه فيما بعد

قد تبالغ الفتاة بالحرص على عرضها وصون نفسها ، ولكنها تتساهل في الممازحة والمداعبة . تلطم الفتى و يلطمها ، وتجري أمامه ويجري وراءها ، وتقع بين يديه فيضمها ، ثم تفلت منه وتكايده وتعاكسه وتلاعبه في أساليب مختلفة ، وهي تظن ان كل ذلك سائغ الى هذا الحد ، وانها تتصون بعد هذا الحد ، وتعتقد أن لا ضرر في هذه المداعبة ، بل هي تسلك بها طريق الاستمالة للفتى ، لان الفتيان لا يستمالون بالجمود والنفور والجفاء والرسميات . ولكن الحقيقة الراهنة هي ان الفتيان يطلبون دائماً كل ما هو عزيز وصعب ، ويعرضون عن كل ما هو حاصل وسهل

٣ — الحسبة المنزوة لا تكون زوجة

الفتى لا يفتأ أن يحاور كل فتاة ويغازلها ويلاعبها ويداعبها ، ويبذل جهده ان

ينزلها الى ميدان الدعابة . ولكنه لا يطلب زوجة من هؤلاء الفتيات اللواتي نزلن الى هذا الميدان معه ، بل يطلبها من اولئك الفتيات النافرات المجافيات . فالفتاة التي يستميلها الفتى بالمداعبة لا تكون على الارجح زوجته ، بل تكون منبوذة من بين مختاراته

الفتاة التي تتساهل بالدعابة والمزاح لاتخسر فقط مطمعها بذلك الفتى الذي ظنت انها تستميله ، بل تخسر ايضاً كرامتها وعزة نفسها ، وتتثلم سمعتها وتصبح طهارتها تحت الشك وفي المستقبل تخجل لهذه الذكرى . واذا تزوجت تقلق على بناتها مخافة أن يقعن في هذا الخطأ الذي وقعت هي فيه

الزهرة النضيرة انما هي للنظر فقط . والفتاة العذراء انما هي زهرة الجمال الروحاني التي يجب أن تحفظ في كمها طاهرة مقدسة الى أن يأتي القاطف الشرعي الذي يحفظ جمالها وطهارتها ولا يدعها تذبل

فتصوُّن الفتاة لا يقف عند صيانة عرضها فقط ، بل يشمل صيانة آدابها وسمعتها وشرف نفسها وكرامتها

للفتاة أن تحادث وتسامر أي فتى يستحقها ، ولها أن تجامله وتضاحكه وتمازحه ، ولكن ضمن دائرة الآداب . وعليها أن تعرف مركزها الحقيقي ، وأن تسيج روحانيها بسياج الفضائل والاخلاق السامية . يجب أن تحمل الفتى على أن يحترمها دائماً . وكلما تصونت وتحصنت ازداد احترامه لها ؛ ولا تخشى من نفوره وجفائه لقاء تمنعها وتصونها ، لانه في سره يبقى يحترمها ويعجب بها ، واذا خسرته حبيباً فلا بأس في هذه الخسارة ، لأنه هو الخاسر الحقيقي أذ لا يستحقها

٤ — الفتى الغازي يفسد الحب

وكثير من الفتيان الذين يرغبون في استهواء الفتيات وتصبيهن بالممازحة والمداعبة والمغازلة يظنون أو يعتقدون أن الفتيات لا يملن الاَّ للفتيان المزاحين الدعابين ، فيلجأون الى الدعابة . ولكن الدعابة تنتهي بعكس المقصود ، اذا كان المقصود منها استمالة فتاة مختارة لشركة الحياة ، لأن الفتى الناجح بالمداعبة يفشل في الاختيار ، اذ يشعر بقوة

غير منظورة تصدُّه عن الفتاة . وقد كان الذنب ذنبه فيما قصد، لانه ليس في هـذا الطريق يسار في البحث عن الاليفة شريكته في الحياة . قد تكون تلك الفتاة التي استهواها بذلك الاسلوب واستغواها هي الفه الحقيقي، ولكنه افسد هذه الألفة بسوء اسلوبه ، ووقع الظلم على الفتاة ، وهي خالصة النية براء

واذا لمت الفتيان لاستغوائهم الفتيات وعذلتهم لما في عملهم من الشين والاذى قالوا لك : « ليس الذنب ذنبنا . اذا كانت الفتاة تغامز غامزناها . واذا كانت تمازح فماذا يضرنا أن نمازحها ؟ واذا رامت أن تداعب فهل في طبيعتنا ما يصوننا عن المداعبة ؟ ليس الجحود من طبع الشبان . ليست الحشمة من مبادآت الفتيان »

اجل ، إن المرأة حارسة روحانية الرجل ، والرجل حامي جسمانية المرأة . المرأة تحمل الرجل على أن يتأدب ، وأن يتصون عن هراء الكلام و بذائه ، وأن يتحلى بالفضيلة ولو في حضرة المرأة — المرأة تحمل الرجل على هذا المظهر بمبالغتها في الاحتشام والتصون

على اننا لا نرفع عن عاتق الرجل المسأولية في اغراء الفتيات ، وأن كنّ متساهلات عمداً أو جهلا أو سذاجة ، لأنه لابد أن يكون الشاب اخاً لاخت ، وقد كان ابناً لام، وسيكون أباً لبنت . فهل ترتاح نفسه إذ يعلم أو يرى أن احدى هؤلاء الثلاثة مستدرجة الى ميدان الغواية ؟

فالمرأة تصون آداب الرجل بتمنُّعها وتصونها . والرجل يصون مقامها أيضاً بتعففه. أن التهتك والتدنس من قبل الرجل جريمة كما هي من قبل المرأة جريمة . وما هُتِك عرض امرأة الا كان له رجل هاتك . فلماذا يعاقب المقتول و يعفى عن القاتل ؟

ج - المحبة الصداقية

١ — من هو الصديق

للانسان نفسية ادبية اقتضتها حالته الاجتماعية، وهي غير روحانيته الجوهرية الخالدة. لذلك يمكن ان يود ويحب من غير ان يعشق . ويمكن ان يعظم وده الى درجة العشق ،

ولكنه لايكون عشقاً . ولذلك يمكن ان يكون الصديق غير حبيب . فالصداقة غير الحب

اما الحب فقد تبسطنا فيه في كتاب « الحب والزواج » ولم يبق عندنا من مزيد . وكذلك قد بحثنا في الصداقة من وجهة علمية . وهنا ننظر اليها من الوجهة الادبية التي هي سمط هذا الكتاب .

فصديقك هو الشخص الذي تعتقد فيه اعتقادات حسنة ، وتثق بمتانة اخلاقه وفضائله ، ولذلك تحترمه . والذي يعتقد فيك كذلك ويثق هذه الثقة ويحترمك ، والذي تتوقع منه عواطف كثيرة نحوك ويتوقع منك كذلك ، والذي يشجعك على فعل افضل ماتستطيع ، والذي ينبهك الى اغلاطك ولا يستاء اذا نبهته الى اغلاطه ، واخيراً الذى يثق كل الثقة بشرف نفسك وطهارة قلبك ويخلص لك كما انه يثق باخلاصك — هذا هو الصديق المودود الموموق ، والذي يمكن ان لا يكون معشوقاً بمعنى الحب المعروف

٢ — الوالدان خير الاصدقاء

اول الاصدقاء للفتاة واخلصهم لها والداها . لان الحب الوالدي والحب البنوي يتضمنان خواص الصداقة باوسع معانيها ، فضلا عن العطف القرابي الطبيعي المشهور الذي يوازي العشق او يفوق عليه ، وان كان يختلف عنه « عنصرية »

اما الاب فعلاقته الودادية مع بنته قليلة بطبيعة الحال ، لان الام تقوم مقامه في كثير منها . واما الام فهي اعظم صديقة للفتاة ، وصداقتها اطهر واخلص من كل صداقة . ولذلك يمكن الفتاة ان تبسط لامها كل دخائلها بكل ثقة ومن غير تحوط وحذر ؟ خلافاً للصديقة التي هى خارج دائرة العائلة . فليس من الحكمة ان تبسط الفتاة للغريبة لها الدخائل مهما كانت ثقتها بها عظيمة اذ لاضمانة لأمن انقلابها في المستقبل حين تصبح جميع الاسرار عرضة للافتضاح ، ولا سيما اذا كانت تلك الصديقة الغريبة غير متينة الاخلاق . اما الام فلا يخشى من تغير صداقتها لانها مؤيدة بحب والدي لاينتقض . فلذلك تطمئن الفتاة لامها كل الاطمئنان وتستطيع ان تحدثها بشؤونها بغير حذر البتة . ولا يمكن ان تجد الفتاة عطفاً من صديق أو صديقة يضارع عطف الام

٣ — الام مستودع اسرار الفتاة

على ان جانباً من الفتيات يتحاشين هذه الثقة بالأم ويكتمنَ عنها كثيراً من من اسرارهنَّ ودخائلهنَّ ، لاعتقادهنَّ ان الأم تحول في كثير من الاحوال دون أماني الفتاة . فبدلاً من ان تساعدها في الحصول على امنيتها تصدُّها عنها . ولكن اذا كانت الفتاة تامة الثقة بأمها وباختبارها وعلمها وحسن اخلاقها ، فلا تخشى من معارضتها لها في أمانيها وآمالها واحلامها ، إلا لأنها تحسُّ احساساً داخلياً بأن مطمعها هذا الذي تحاول كتمانه عن أمها غير صواب ، وان أمها تجحده . ولهذا تكتمه عنها . فيكفي الفتاة هذا الاحساس رادعاً لها عن هواها ، وقامعاً لرغبتها ومسفهاً لمطمعها

فلذلك يجب على الفتاة ألاَّ تكتم سرًّا أو أمراً من أمورها عن أمها ، لأن الأم ، وهي كتلة حب وحنوّ لبنيها ، يستحيل ان تحرم بنتها أمنيةً لا ضرر فيها عليها

على ان الفتيات معذورات في بعض الاحوال في هذا الكتمان عن الأمهات ، لأن بعض الأمهات لا يعاملن بناتهنَّ معاملة الصديقة للصديقة ، بل معاملة السيدة للمسودة والحاكمة للمحكومة . فلا تعترف الأم من هؤلاء بما لبنتها من الشخصية المستقلة الواجب احترامها واحترام حريتها . ولذلك تفرض على بنتها الاحترام لنفسها فرضاً ، وتوجب عليها الحب لها ايجاباً ، وتحتم عليها الطاعة لها تحتيماً ، بل تطلب منها الطاعة العمياء . فلذلك مهما كانت الفتاة شديدة الثقة بمتانة اخلاق أمها وباخلاصها تنفر من الاستسلام لها في اسرارها واخبارها

فلذلك ننصح للأم ان تدع بنتها تحس أنها هي ذات شخصية مستقلة في البيت كأنها بنت الجيران ، وان تبدي لها احترامها لشخصيتها ، وان تبذل جهدها في ان تكسب حبها لها كسباً ، لا ان تفرضه عليها فرضاً ، وان تنال ثقة بنتها وطاعتها بملء اختيارها ، لا ان تضربها عليها ضربةً محتومة . وبعد ذلك يكفي ان تبرهن الأم بسلوكها وحسن تصرفها وتعقلها وحنكتها أنها أعظم اختباراً وعلماً من بنتها ، وأنها لا تضن على بنتها بكل مسرَّة لا ضرر ولا خسارة فيها . وحينئذ لا تمتنع الفتاة عن افشاء

اسرارها لأمها ، إلاّ اذا كان في ضميرها هاتف يقول لها ان هذا الأمر غير لائق أو غير جائز أو فيه ضرر أو خسارة

٤ — الام الجاهلة خطرة

كذلك قد تعذر الفتاة كل العذر أو بعضه في التكتم عن أمها اذا كانت بنت العصر علماً ومدنية ، وقد اتيح لها في المدرسة تربية راقية ، وكانت أمها من الجيل السابق قليلة المعرفة رجعية المبادىء والاخلاق والعادات . تعذر هذه الفتاة في ان لا تعوّل كثيراً على رأي هذه الأم ونصحها ، ولا تبوح لها بكل دخائلها . وقد تكون الفتاة أقوى اخلافاً من أمها أو ابويها جميعاً فتبوح لهما بأمانيها لكي تزينها لهما ، وثم تستقل هي في سلوكها

فالفتاة التي نشأت في وسط رجعي كهذا سيئة الحظ ، لانها تكون اكثر عرضة للاخطار من اترابها . ولذلك ننصح لها ان تلجأ الى صداقة اقرب الاقرباء اليها ممن تعتمد على خبرتهم وتثق بحسن رأيهم ، ولا تتكل على نفسها لأنها قليلة الاختبار حادّة الآمال . يجب على الفتاة ألاّ تنسى أنها النصف الأدق تركيباً في الحلقة الانسانية المنتظمة في سمط السلالة ، والقسم الرخص من هذه الحلقة والقريب للعطب ، وان تعلم ان اهواء الشبيبة وطيشها وعنفوانها تعرضها كثيراً للعطب . ولذلك يجب ان تعتمد كثيراً على صداقة الأم الحكيمة الخبيرة . فان عدمت أمّاً كهذه فلا بد من التجائها الى صداقة أقرب الناس اليها واكثرهن حنكةً وحكمةً

ثم يجب على الأم الحكيمة ان تبذل كل جهدها في كيفية تصرفها ان تنمي في بنتها الحب البنويّ . وهذا الحب وحده كافٍ لحمل الفتاة ان تضع كل دخائلها واسرارها وآمالها في يدي أمها . فالصداقة بين البنت والأم يجب ان تكون مرتكزة على اساس الحب المتين . يجب ان تكون قبلة الفتاة لأمها قبلة حب قلبي ، لا سنّة عائلية . وللأب نصيبٌ من هذا الحب كنصيب الأم ، وان كان استسلام بنتهِ له يأتي عن طريق أمها ، لأن طبيعة الحال تقضي بذلك

٥ — صداقة الاخوة والاخوات

وتلي هذه الصداقة في القيمة صداقة الاخوة والاخوات . فهي مضمونة الثقة والاخلاص في العائلات الراقية التربية . ولا يخشى فيها أن تفضح الاسرار بتاتاً . وانما لا يعتمد على ارشاد الاخوة والاخوات لقلة الاختبار الا اذا كان بين الفتاة وأخيها أو اختها بونًا واسعاً في العمر ، وقد أصبح الاخ كأنه أب لها ، والأخت كأنها أمٌ لا بد ، ويجب ، أن تكون صداقة الاخوة والاخوات قائمة على الحب الاخوي العميق ، لأنهم تربوا جميعاً في حضانة واحدة ، وسبكوا في قالب من الاخلاص واحد ، فلا يتعذر توافقهم وائتلافهم في صداقة متينة . واذا كانت صداقة الاخوة والاخوات قليلة الجدوى من حيث الارشاد والنصح ، فهي عظيمة الجدوى من حيث الشعور الروحاني

فيلذ للفتاة جداً أن تقطب زراً لقميص اخيها ، وأن توشي له مخدة ، وأن تخيط له قميصاً الى غير ذلك ، كما انه يلذ للفتى جداً أن يصطحب اخته الى المتنزهات والملاهي اللائقة ، ويعنى بها ويخدمها ويحميها ويدللها ويسرّها ويقدم لها مطالبها

ان صداقة الاخوة والاخوات المتبادلة انما هي بهجة للوالدين ، وغبطة للابناء والبنين ، ومدرسة يتمرن فيها الفتيان والفتيات على العشرة والصداقة الخارجية . ولذلك يجب أن يكون نسيجها الاحترام والاعتبار والتعاون بكل غيرية ، وخلواً من الانانية .

ان الفتى الذي يقلل من احترام اخته واكرامها وخدمتها لا يعد متمدناً مهما كان متهذباً ومتعلماً . فكيف به اذا كان يهينها أحياناً أو يضربها أو يظلمها — يعد همجياً .

الفتى الذي لا يبالغ في ملاطفة اخته والعطف عليها لا يوثق به في معاملة غير اخته ، مهما تلطف في مجاملة الفتيات الاخريات ، لان هذا التلطف يحمل على محمل الرياء والمصانعة والزلفى .

٦ — صداقة الصديقة

متى خرجت الصداقة من العائلة يبتدىء الاحتراز والتحوط مهما كانت الصداقة متينة ، لان الزمان يمشي والاحوال تتحول ، والمستقبل مجهول ، والعواطف كالهشيم

على ان الفتيات في اول ربيعهن يكنّ ساذجات صادقات مخلصات كالملائكة وعواطفهن نشيطة فلذلك يندفعن بلا حذر في صداقتهن بعضهن لبعض اندفاعاً يضاهي العشق احياناً . وقد يلوح لك انه لاخطر من تطرف المودة بين الفتاتين ، فتبسم لهما وتدعو لهما بالهناء

ولكن هناك خطرين لابد من التنبيه لهما ومن تنبه الابوين ايضاً :

٧ً — خطر الصداقة على الاسرار

الاول استرسال الفتاة في المودة لفتاة اخرى حتى تنزلها منزلة الاخت تماما . وربما اغفلت اختها انشغالاً بصديقتها . وحب الفتيات الربيعيات مشهور في غلوه ، ولا تجد مثله بين الفتيان . واحياناً يثير غيرة الفتيان اذ تعرض الفتاة عن الفتى الذى يطمع بقلبها وتنشغل بصديقتها . ولعل سببه ان الفتاة لموانع ادبية لاتستطيع ان تغازل الفتى وتجامله كما هو يستطيع ، وليست لها هذه الجرأة ، فتجد في عشرة الصديقة مصرفاً لتيار حبها .

لذلك اذا اشتد حبها لصديقتها وثقت كل الثقة بها ، لاعتقادها ان هذا الحب ابديٌّ ، وان هذه الصداقة لا تفنى ، وان صديقتها اخلص المخلصات لها . فهي صادقة فيما تظن ، لان الحب يزين لها هكذا . والصديقة صادقة ايضاً في اخلاصها وفي عهودها لان الحب يقضي عليها بالاخلاص . ولذلك لاتتردد كل منهما في كشف سرائرها للاخرى . ولكنهما لسذاجتهما تجهلان ان الزمان سائر والعمر يطوى ، والشباب يمر ، والعزوبة تنتهي بزواج يفرقهما ويصبح لكل منهما حبيب اقرب والصق بها من الاخرى . ولا يبعد حينئذ ان يطلع على تلك الاسرار التي تكاشفتاها وتبادلتاها

هذا اذا افرضنا ان حبهما دام الى ذلك العهد الذي يفرق بينهما . ولكن الاختبارات المتواترة دلت على ان الصداقة السريعة التمكن سريعة الانحلال ، والحب السريع النمو سريع الذبول . فقد لا ينقضي ربيع وخريف حتى تتطرأ على صداقتهما طوارىء تحلها ، وتؤلف صداقة اخرى مع فتاة اخرى لكل منهما . وحينئذ تتسرب

اسرار الواحدة من ضمير الاخرى الى الصديقة الجديدة . والصديقة التي كانت أقل حذراً تقع فريسة للأخرى

هذه حال يعرفها كل قارىء وقارئة قد تجاوزا سن الطيش الى دور الرزانة. فلذلك يجب أن تعرف الفتاة التي في أول ربيعها أن لا صداقة في الدنيا تدوم ، بل لا بد أن تتلاشى ؛ وان الثقة والاخلاص ليسا أطول عمراً من الصداقة ، مهما كان الانسان متين الاخلاق . ولذلك يجب عليها أن تجعل حدَّ الصداقة عند باب صدرها ؛ فلا تتجاوزه الى موطن الاسرار .

وقد تظن الفتاة أن كشف صديقتها اسرارها لها يوجب عليها أن تعاملها بالمثل والاَّ عتبت عليها . وهو ظن خطاء لأنه ليس من شروط الصداقة غير العائليَّة اباحة الاسرار بتاتاً ، للاسباب التي قدمناها ، ولا كتمان الاسرار يثلم الصداقة . فيمكن أن تكون كل من الصديقتين مخلصة في صداقتها كل الاخلاص ، من غير أن تفضح لصديقتها امورها الشخصية الداخلية التي لا شأن لها فيها ولا موجب لاباحتها لها . والفتاة النبيلة تتجافى أن تسمع من صديقتها اخبار اسرارها . لأنها هي لا تريد أن تعاملها بالمثل . يكفي أن تظهر جميع شروط الصداقة التي تصدرت بها هذه النبذة لكي تثبت بها كل من الصديقتين صدق ودادها . وأما الدخائل فلا شأن لها في شروط الصداقة الحقيقية

الخطر الثاني تعاشق الصديقتين بحيث لا تعود الواحدة تطيق فراق الاخرى ، ولا يهنأ لها عيش في البعد عنها . فأيان تقابلتا تضامتا وتعانقتا وتلاثمتا بشوق وولع . واذا اجتمعتا تكثر بينهما المهامسات ، ومهما طال الوقت فلا تفرغان من احاديثهما . وفي المجتمعات العائلية تميلان الى الانفراد ، تارة في زاوية المجلس ، واخرى في شرفته أو في غرفة أخرى . ويكثر تضاحكهما ومزاحهما الى غير ذلك مما يدل على شدة الالفة بينهما . ولكن اهلهما وسائر الناس الملاحظين هذه الالفة لا يجدون فيها شيئاً مستهجناً أو منكراً ، وربما سرَّهم أن تكون الصداقة بين الفتاتين وثيقة الى هـذا الحد ، وقد يحسبونها نموذج الصداقات الصادقة الطاهرة الخالصة ، ويتمنون أن تكون صداقتهما باعثاً لتوثيق عرى الصداقة بين العائلتين .

ويمكن ان يروا الفتاتين تذرفان الدموع عند افتراقهما ، فيرثون لهما ويعجبون بهذا الحب الحار الصادق . ولكن :

ولكن اذا بلغ الحب بين الفتاتين الى هذا الحد وجب تحقق احوال العلاقة المتبادلة بينهما اذ يرجح انها علاقة خطرة ، لان حباً كهذا بين شخصين من جنس واحد غير طبيعي . وربما اقتضى الامر تداخل الطبيب ، لانه لا يندر أن تكون هذه العلاقة هوساً شهوانياً . وربما كان بينهما شيء من العادات الفاسدة والدنسة ، أو على الاقل شيء من الاحاديث غير اللائقة

بسبب امكان تطرف الوداد بين الفتاتين الى حد الفساد والدنس يستقبح جداً أن تظهر مودة الصديقتين شديدة الى درجة الحب ، لئلا تثير ظنون الفاهمين بتطوح الطبيعة البشرية الشهوانية . اجل يجب أن تتجنب الفتاة هـذا الاندفاع في المظاهر الوداية بينها وبين صديقتها ، وإن كانت طاهرة البواطن ، لئلا يساء الظن بها ، ويحكم عليها بالهوس العاطفي ، أو الفساد النفساني ، وهي براء .

ومهما يكن الأمر فان هـذا التعاشق بين فتاتين منتقد لا يستحسنه النقادون الاخلاقيون ، لأنه ، بابسط تعليل ، شاذ غير مطابق لسنة التفاعل الطبيعي بين شخصين من جنس واحد

فلذلك يجب ان يكون تواد الفتاتين كوداد الشابين ، اي معتدل العاطفية ، فلا يستغرق الاحساسات والعواطف ، بل يوغل في دائرة الاداب والاخلاق العالية الشريفة

فالشابان المتوادان قلما يتلاثمان ، ولكنهما يتصافحان بشدة ، وقلما ينفردان ، ولكنهما يقفان جنباً الى جنب حينما يدعو الامر تساندهما وتضامنهما . ولا يتنافسان في الاعراب عن حبهما الواحد للآخر ، ولكنهما يحبان الى حد التضحية من غير أن يقول الواحد للآخر اني احبك . ولا يتباكيان لوداع ، وانما يتمنيان كل منهما نجاح الآخر ، ويعرض عليه خدمه

هذه هي مظاهر الصداقة الحقيقية ، وهي كما لا يخفى غير مظاهر الحب والعشق . وليس بين شخصين من جنس واحد من شكل للالفة غير الصداقة الودية على هذا النحو

فلذلك يجب على الفتاة ان يكون ودادها لصديقتها « رجلياً » اخلاقياً لا نسوياً عاطفياً . يجب عليها ان تظهر بمظهر الانسان العالي النفس القوي الخلق المتين السجايا. يجب ان تخلص لصديقها ، وان تثق باخلاصها ، وان تضحي لاجلها ، وان تسعفها في الملمات ، وبذلك تثبت صداقتها . وأما ان تعشقها عشقاً فما العشق بين فتاتين صداقة ، بل هو مرض يستوجب ان يفحصه الطبيب ويعالجه

اذا كانت الفتاة لا تزال حديثة السن وتجهل هذه الاعتبارات الادبية فعلى ابويها ان ينبهاها الى هذا التصرف المنتقد ،وان يفهماها وجوه النقد فيهِ

د - عشرة الفتيان والفتيات

١ — الغواية

في الحرص على الآداب العمومية والاخلاق الشريفة والنفسانيات العالية مسألولية عظمى على المرأة . وربما كانت هي أعظم ، مسألولية من الرجل . فليس عليها أن تصون عرضها وعزة نفسها وشرف عواطفها فقط ، بل أن تصون أيضاً آداب الرجل واخلاقه من الفساد

ان الغواية تطرقت الى نفس آدم عن يد حواء . فهي قطعت التفاحة ثم اطعمته. والحيَّة المغوية لم تتقدم الى آدم بل تقدمت الى حواء . لأن عدة الغواية وأدواتها موجودة في حواء — في حواء عناصر الجمال المحرّضة للعواطف . لذلك استخدمتها الحية للشر ، بعد أن خلقها الله معيناً لآدم في الخير .

فالمرأة ، والفتاة على الخصوص ، مسألولة عن كل ثورة نفسانية شريرة فاسدة في الرجل أو الفتى . فلذلك يجب أن يكون مظهرها لدى الفتيان في منتهى الحشمة ،لا يشف الاَّ عن جمالها الروحاني

فاذا كان مظهرها يشغل الفتى في النظر الى زيها وبهجة ثوبها وخضاب تبرجها ورشاقة حركاتها أو خلاعتها — اذا كان هذا المظهر يشغله عن النظر الى عينيها وما

تبديانهِ من ذكاء، والى شفتيها ولسانها وما تبديه من اخلاق ونبل، فانما هي حواء وقد اغوتها الحية لكي تغوي ادمها الفتى، لأن مظهرها الخارجي هذا لا يشف الا عن جمالها الجسماني، ويخفي وراءه جمالها الروحاني.

٢ — مظاهر الفتاة المغوية

اذا كانت الفتاة من محبذات الازياء الحديثة والعادات الطليقة، عارية الساعدين ومكشوفة الصدر الى مقترب النهدين، وقصيرة الثوب الى مافوق الركبتين، وكان الثوب ضيقاً يبرز فيه وركاها، ويتكوّر ردفاها، ويكاد ينبثق منه نهداها. وخفيفاً يكاد يشف عما وراءه من جمال مادّيّ فاتن — اذا كانت الفتاة تظهر في أي مجلس هكذا فهل تظن أنها تبث للحضّار جمال روحانيتها، من سمو نفس، ودماثة خلق، وطهر روح؟

متى كانت الفتاة بهذا المظهر الذي وصفناه كانت ولا شك مجتذب الانظار الى تمثالها الصناعي الذي يبث جمالها الحيواني. فيمر الحضّار على قائمة اصناف هذا الجمال من قمة الرأس الى الاخمصين. وهل يمكن أن يحوّل جمالها الروحاني انظارهم عن هذا التمثال الفاتن؟ بل هل يمكن أن تصد روحانيتها اللطيفة اذهانهم عن تخيل ذلك الجمال الحيواني المخبوء ضمن هذا التمثال، واذا انشغلت ابصارهم في تامل قائمة الجمال الصناعي في هذا التمثال، واستغرقت افكارهم في تخيل صور الجمال الحيواني المتواري، فهل في روحانيتها الطاهرة ما يقمع ثورة عواطفهم الشهوانية ويكبح جماح نعراتهم البهميّة؟

واذا كانت الفتاة تزيد على هذا المظهر انها تتمادى في عشرة الفتى فتمازحهُ تارة ثم تكايده اخرى، ثم يلكزها حيناً فتلطمه حيناً اخر، وربما تماديا في المداعبة الى أن يطاردها وتطارده، ثم يظفر بها ويضمها ويطرحها على الأرض متظاهراً بالفوز — اذا كانت الفتاة تقف عند هذا الحد أو مثل هذا الحد وتمتنع عن تجاوزه، فهل تنتظر أن يكون الفتى مفتوناً بجمال روحانيتها ولطف نفسانيتها وطهارة قلبها؟ الغالب ان الفتاة التي تنتهج هذا النهج في عشرتها مع الفتيان تجهل انها تلعب بالنار — تجهل ان الفتى الذي تتصبّاهُ على هذا النحو لا ترفع روحه الى عرش الجمال الروحاني، بل بالعكس تهيج عواطفه البهمية التي تخنق هذه الروح. ولا يبعد أنه متى افترق عنها مضى تواً

الى حيث تدفعه هذه العواطف ويأكل الثمرة « البرية » المنهي عنها لأنها هي قدمتها اليه ، يأثم الاثم الذي تعصم نفسها عنه ، وقد حرّضته عليه

وبكل اسف نقول ان الابوين والام على الخصوص يبرّجان بنتهما ، ويبهرجانها ويلبسانها اقل الازياء حشمةً ، ويطلقان لها العنان في معاشرة الشبان على امل ان تستهوي عريساً لها ، وهما يجهلان ان هذا الاسلوب في الاستهواء لايصطاد عرساناً بل عشاقاً . والعريس الذي لايستمال الاّ بهذا الاسلوب قلما يصلح زوجا

العريس الصالح زوجاً هو الذي يستشف بساطة مظهر الفتاة وحشمتها عن جمال روحانيتها ، لاالذي يستشف اناقة زيها وشفافية ثوبها عن فتنة جمالها الحيواني . فلكي تستقدم الفتاة إلفاً لروحانيتها يجب ان تظهر في منتهى الحشمة والوقار في لبسها وتبرجها وعشرتها وحديثها وحركاتها ورشاقتها ، وفي مقلتيها وحاجبيها وثغرها ، وفي ابتسامتها ومجاملتها وجلوسها ومشيها ، بحيث لايشف مظهرها الاّ عن نبالة نفسها واناقة خلقها ولطف روحها ونقاوة قلبها وطهارة حياتها

٣ — صداقة الفتاة للفتى

لسنا نعني ان تجافي الفتاة الفتيان وتصدهم عنها ، بل بالعكس نعني ان تبدي لهم من الوداد الى آخر حدٍّ من الصداقة ، لا الى درجة الحب او العشق . لأن الصداقة مهما عظمت تبقى وداداً عذرياً . واما الحب العذري ففرضٌ موهوم لايثبت عند الحقيقة . في الصداقة تبقى الفتاة محافظة على حرمتها نائلة احترامها ، حاصلة على الثقة المتبادلة ، محرزة الصديق الذي يعجب بها ، ويمكن ان يتحوّل اخيراً الى محب يتوخّى حباً شريفاً مقدّساً ، وان يكون خطيباً فزوجاً

لاحرج على الفتاة في مصادقة الفتيان صداقة عذرية مادامت ضمن دائرة هذه الصداقة بحيث لاتؤذن للفتى ان يمازحها ويغض من كرامتها ، أو أن يمد يده اليها ، او يفوه بكلام هراء او بذاء في حضرتها ، بل تضطره بحسن تصرفها وانفتها وعزة نفسها ان يحترمها ويوقر مجلسها . تستطيع ان تصادق بضعة فتيان على هذا النحو ، لان

تابع ١٢ (——)

الصداقة ليست حباً يستحيل حدوثه بين اكثر من اثنين . ولذلك تثير الصداقة الغيرة كما يثيرها الحب .

فالصداقة اذاً جائزة ومحتملة بين فتى وبنت ، على انها عرضةٌ جداً للتحول الى حب فعشق . ولهذا يجدر بالفتاة ان تكون شديدة الحذر في عشرة الشبان ، متريثة كابحة جماح نفسها عن الحب الى دائرة الصداقة ، مدققة في الاختيار والتحري ودرس طباع الصديق ، حتى اذا تحولت الصداقة الى حب كانت واثقة ان الحب شريف ، وان مصيره الزواج المقدس

واذا كان على الفتاة ان تحاذر في عشرة الصديقة وان لاتدع حد صداقتها يتجاوز الى دائرة الشخصيات والدخائل العائلية ، فكم هو حريٌّ بها ان تحاذر في عشرة الصديق او الاصدقاء من الشبان ، وان تعتصم بحبل حرمتها وتتحصن في حصن عفافها ، وان تبالغ في صيانة كرامتها وعزة نفسها

يجب ان تعلم الفتاة ان موقفها في صداقة الفتيان موقف المدافع ، لأن الفتى يحاول دائما التهجم ، وطبيعته المادية تدفعه دائما الى دائرة جمال الفتاة لانتهال رحيقه . لذلك يجب على الفتاة ان تبذل كل جهدها في صده ، لئلاً يتجاوز جمالها الروحاني الى ابتغاء التمتع بجمالها الجسماني ، الذي لايسوغ له الاَّ متى اصبحا الفتى ، اي نصفي الواحد الانساني الحقيقي

٤ — استطلاع الفتاة اخلاق الفتى

قلما يطول عهد الصداقة بين الفتى والفتاة ، فان لم يتحول الى حب انتهى في أمد قصير ، ولا سيما من قبل الفتيان ، لأن هؤلاء طلاَّب حب ، غزاة قلوب . فالغدير الذي لا يصادفون فيه شراباً سائغاً لذيذاً يغادرونه الى سواه

فاذا كانت الفتاة تحس بهوى نحو الصديق وتشعر بقشعريرة كهربائية أو بخفوق في مجلسهِ ، وجب ان تتحوط في عشرتهِ قبل ان تستوثق من حسن قصده وشرف غايته ونبالة نفسهِ ، لئلاَّ تقع في حبٍّ مورث للندم

في هذه الحالة تميل الفتاة الى الانزواء بالفتى أو اعتزال المجلس العائلي الى زاوية

أو شرفة لكي تأخذ حريتها في محادثتهِ ومسامرته لظنها أنها بهذا الانفراد به تستطيع ان تدرُسَهُ جيداً . والحقيقة عكس ذلك على خط مستقيم . في عزلتهما وانفرادهما لا تستطيع ان تستشف بواطنه ، أو ان تستكنه اسرار اخلاقهِ ، لانه حينئذ لا تبرز منه إلاَّ عواطفه الغرامية ، فما هو الذي يتكلم ويجامل ويتلطف ويغازل ويتأدب ويتناحف ، بل الحب هو الذي يتمثل حينئذ ويبرز الى الساحة ، ويخفي وراءه حقائق الاخلاق والآداب والمزاج

لا يمكن الفتاة ان تفهم الفتى جيداً وهي في عزلة معه ، مهما طالت عشرتهما وتكررت مجالستهما . وانما تستطيع ان تدرسه جيداً وتفهمه معظم الفهم اذا كانت تلاحظ عشرته لاقرانه واصحابه واهله في المجالس العائلية ، وتراقب معاملتهُ لهم ونسق حديثه وكيفية مجاملته ودرجة تأدبه وماهية فضائله ، لأنه في العشرة العمومية يقل التصنع وتبدو الحقائق

فلذلك يجب ان تتجنَّب الفتاة ما أمكن الانفراد بالصديق الفتى لكيلا يتاح له التغرير بها واغرائها ، ولكيلا تفتتن بمجاملته ومغازلاته التي يغلب ان تكون ناطقة بها طبيعتهُ المادية لا الروحانية ، ولكيلا تنخدع بمظاهره ومغالاة عواطفهِ في مغازلتها

والفتاة العاقلة الحكيمة الحذور لا تقبل مغازلة ومجاملة عاطفية من فتى قبل ان يصبح خطيبها . ولا تقبله خطيباً قبل ان تكون قد درسته على نحو ما تقدم ، واستوثقت من حسن اخلاقهِ وطهارة قلبه وروحانية حبهِ

٥ — عهد الفتيان المتقلقل

اننا نحذر الفتاة كثيراً من الاستسلام للهوى العذري الذي هو شرك الحب الفاسد . فطبيعة الفتيان ان يستهدفوا قلوبهم لسهام كيوبد إله الحب وان يعرضوه لها كل يوم ، ولسان حالهم قول المتنبي

وصرت اذا اصابتني سهام تكسَّرت النصال على النصال

وفي إبان ثورة الحب أو نشوة الغرام يكثر الفتى من الوعود والعهود . ويغلب ان يكون صادقاً حسن النية مخلصاً في العهد . ولكن لا يندر ان تنقضي تلك الثورة

وتزول تلك النشوة ، ويحس الفتى بندم على مافرط منه من وعد أو ما عقده من عهد ، ويرى ان نكث عهدهِ شرٌ اخف من الاسترسال في خطائهِ .

والغريب في طبيعة الفتيان أنهم لا يشعرون بخطائهم في هذا الأمر إلاَّ حين يكون تساهل الفتاة في عشرتهم مغرياً لهم على عهودهم في إبان ثورة غرامهم . لأن هذا التساهل ينزل قيمة الفتاة في عيني الفتى ، وهو طلاَّب دائماً للصعب المنال ، معرض عن الحاصل غير الممتنع

٥ — خطر المكاتبة

واذا كانت الفتاة حرية بالتحفظ جدًّا والتحوُّط في عشرة الفتى وصداقتهِ ، وبالمبالغة في التصون والتحصن حرصاً على حرمتها وكرامتها ، تفادياً لتعريض قلبها للوقوع في حبٍّ خائب ، فكم هو حرِيٌّ بها ان تحاذر في مكاتبته

ان ما ينسب الى الفتاة أو تتهم بهِ من حديث حب وكلام هوى وقول غرام يحتاج الى اثبات . ولذلك يمكن ان تنكره أو تتملص من سمعتهِ . ولكن ما تكتبه في خطاب انما هو بلاغ من قلبها مسجَّل عليها لا تستطيع انكاره والتملص من عارهِ اذا انقلب الحبيب بغيضاً ، أو اذا وقع في أيدي خصوم لهم مصلحة في النكاية ، أو في طبيعتهم الرديئة حب الانتقام . ومن يستطيع ان يضمن قلباً يثبت في حب أو خلقاً يثبت على عهد ؟

الفتاة في ربيع حياتها ساذجة قليلة الاختبار ، لا تعلم هذه الحقائق ولا يخطر لها أنَّ من يقسم بجمالها ويحلف بحبها يمكن ان ينكث عهده لها ، ويخون ودها . لذلك نود من الفتاة التي تطالع هذا الكتاب ان تقف عند هذا الفصل وتفكر جيداً ، وتعلم ان الطبيعة الانسانية اميل الى الشر منها الى الخير ، وان الحب مهما كان شديداً يمكن ان يخمد ، وحينئذ لا يبقى في نفس العاشق ما يعصم نفسه عن الخيانة . فآمن السبيل لها ان تثق ان هذه المقالة مجمل اختبار الانسانية في اجيال لا تحصى ، وان الحقائق المندرجة فيها راهنة كالحقائق الرياضية . فاذا كانت هي لم تختبر العالم بعد

فلتتمتع بفوائد هذا الاختبار على حساب غيرها ممن سبقوها ، ولا تدفع له ثمناً من حياتها ، لأن الثمن الذي تدفعه قد لا يعوَّض

اذاً لكي تأمن الفتاة السلامة في المكاتبة الافضل لها ان لا تكاتب فتى بتاتاً. واذا اضطرَّت لمكاتبة خطيبها فعليها ان تضع نصب عينيها ان خطابها قد يعلن أو يستعمل سلاحاً ضدها في حين ولسبب لا تدريه . يجب ان تتجنب في مكاتبة خطيبها كل عبارة تشف عن حب أو غرام أو اشارة تدل على لقاء منتقد أو نحو ذلك. لا تكتب له إلا الرسالة التي يمكن ان يطلع عليها الغريب قبل القريب ، ولا يستطيع ان ينتقد فيها شيئاً ، بل بالعكس يعجب بآداب وفضائل من كتبتها

لا تجوز كتابة العواطف إلا بين الزوجين لأنها لو أذيعت حتى بعد خلاف من الزوجين كانت تشريفاً للزوجة (أو الزوج) لأنها تثبت حبها الخالص لزوجها .

كذلك جدير بالفتاة ان تحاذر في مكاتبة الصديقة ، فلا تكتب ما ينتقد ، لأن الصديقة كالصديق والحبيب عرضة للانقلاب

٧ — التساهل في المخالطة

في البلاد الغربية تساهل في العشرة بين الفتيات والفتيان بحيث يؤذن الوالدون للفتاة ان تذهب مع صديقها الفتى الى المتنزه والملهى وحدهما ، على اني ارى هذا التساهل خطراً . والغالب انه اقل خطراً في تلك البلاد منه عندنا ،لأن اخلاق الفتاة الغربية مؤسسة غالباً على تربية منزلية واخرى مدرسية وكلتاهما متينتان . والفتاة هناك تعرف معظم حقائق هذا الكتاب. والمعرفة تكون لها في نفسها واعظاً ومنذراً وزاجراً يقيها من السقوط الى حد . ومع ذلك فلما يكون هذا التساهل عندهم مأمون العاقبة

فالى اليوم لا احبذ قط هذا التساهل في الشرق، لأن التربية عندنا ضعيفة جداً ، بحيث أنه حتى الساعة قلما نجد امهات مربيات . فاذا كانت معظم الامهات غير متربيات فكيف ننتظر أن تكون البنات متينات التربية . ولذلك احذر من السماح باختلاط البنات والشبان من غير مراقبة كافية ، لأنه لا يندر أن يكون وخيم العواقب .

نود جداً أن ينزع الستار بين الشبان والشابات لأنَّ نزعه يكون دليلا على ارتقاء تربيتنا ومتانة اخلاقنا . فلذلك نود أن يسبق هذا الاختلاط تربية متينة للناشئة ترفع الاخلاق وتدمثها ، وتعلي النفوس الى عرش الروحانية . حينئذٍ بدل أن يكون اختلاط الجنسين تجربة واغراء للسقوط الأدبي يصبح حامياً للآداب وحريصاً على الفضائل وموجباً للاحترام المتبادل بينهما

حاشية — شرعت الجامعة الاميركية في بيروت أن تزيل الستار بين الجنسين اذ جعلت تقبل طالبات مع طلاب في اقسامها العليا . وانما ابقت عينها ساهرة . فعسى أن تنجح التجربة وتبرهن لنا متانة الاخلاق في الشرق

الفصل السادس

الصراط المستقيم

الى الزواج

أ - اساسيات الحب الزواجي

١ً — مسألة الانتخاب
٢ً — التجانس العقلي
٣ً — التعاطف الروحاني
٤ً — ضلال الفتى عن روحانية الفتاة
٥ً — التجاذب الخلقي والخلقي
٦ً — قيمة الشخصية المادية

ب - المحاذير - سنة الوراثة

١ً — المحاذير الخفية
٢ً — الوراثة الطبيعية
٣ً — الوراثة الاجتماعية
٤ً — الوراثة المرضية
٥ً — نواميس الوراثة
٦ً — شأن الوراثة في الزواج

ج - الموبقات الموروثة

١ً — داء السكر وراثي
٢ً — خطر الزواج بسكير
٣ً — وراثة عواقب المخدرات
٤ً — اورث الامراض الخبيثة
٥ً — تعذر التحقيق

ا - اساسيات الحب الزواجي

لايكفي ان يكون الحب وحده مبرّراً للزواج لان الحب لايرى الاّ من خلال عدسية ملونة ، فلا يركن الى نظره ، ولا يمكن وحده ان يضمن السعادة الزوجية وسلامة الذرية ورفاهتها . يجب ايضاً ان يقترن مع الحب ثلاثة امور رئيسية :

اولاً — التجانس العقلي بين الزوجين

ثانياً — توافر التعاطف الروحاني بينهما

ثالثاً — توافر التجاذب الخُلُقي والخَلْقي بينهما بحيث يمكن تطابقهما وانحادهما

على هذه القواعد يجب ان يعتمد كلٌّ من الفتى والفتاة في اختيار رفيق الحياة

١ — المسأولية في الانتخاب

ومع ان الفتاة تكون عادة ، ولا سيما في شرقنا ، مطلوبة لا طالبة ، فهي اجدر بالتدقيق في اختيار الزوج . نعم لاتخولها منزلتها الاجتماعية حق الاختيار ، وانما صارت تخولها الآن حق القبول والرفض . ولهذا صار في امكانها ان تدقق في التحقيق عن شخصية الطالب قبل ان تقبل او ترفض . وربما كان هذا التحقيق متعذّرا عليها . فهو على ابويها او سائر ذويها غير متعذّر

اجل يجب التدقيق في التحقيق ، لان المسأولية في الزواج اعظم جداً مما يظنها اهل الشرق : اولاً لان سر الحياة السعيدة مكنون في الحياة الزوجية . فاذا كان الزواج غير مستوفٍ شروط التوافق بين الزوجين على نحو ماتقدم ، كان جحيماً ، وكان الذنب فيهِ على من كان عليه واجب التحقيق والتدقيق . والغالب ان يكون هذا الواجب على الاهل ، لان البنين والبنات يجهلون قيمة التحقيق ولزومه ، او انهم لايستطيعونه . وقد يكون الذنب في عنق الفتى والفتاة لخضوعهما لسلطان الحب الذي تغلب عليهما فاضاع رشدهما وحال دونهما ودون نصائح الاهل

ثانياً لأن المسأولية في الزواج لا تنتهي عند ارتباط الزوجين ، بل تعظم جداً حين يشرعان يأتيان الى الوجود باشخاص جديدين لم يستشيراهم في هذا الاتيان .

فهما مسأولان كل المسأولية عن سعادتهم وسلامتهم . والاَّ فكل شقاء ينتاب هؤلاء الاشخاص الذين كانا علة وجودهم يكون لعنة عليهما ، وعلى من سبب زواجهما

فلذلك نحذر الفتى والفتاة من الاتكال في الزواج على صوت الحب وحده ، لأنه ليس صوت العلم والمعرفة ، بل هو صوت النعرات والعواطف والشهوات ، ولا يكترث بمسأولية أو بنتيجة مستقبلة . وكذلك نحذر الابوين من ترك بنيهم وبناتهم يستسلمون لداعي الحب وحده ، بل عليهم أن يقفوا على حقيقة شخصية النسيب أو النسيبة ، وما يقترن بها من محامد أو قبائح ، وما فيها من ملائمات أو مناقضات ، لكيلا يكون الزواج نافراً مقلقلا أو نكبة على الزوجين

٢ — التجانس العقلي

بناء على القاعدة الأولى يجب أن يكون الطرفان متشابهين في الصيغة العقلية ، ليس في الكيفية فقط ، بل في الكمية أيضاً ، أي يجب أن يكونا متعادلين في عقليتهما

اما من حيث الكمية فلا يحسن قط أن يكون أحد الطرفين عديم الذكاء والاخر حادَّهُ ، ولا أن يكون الواحد وافر العلم والآخر قليله جداً أو نادره . بل يجب أن يكونا متقاربين ، ان لم يكونا متعادلين في ذلك ، لئلاَّ يكون هـذا التفاوت سبباً في تفاوت الاحترام المتبادل بينهما . لأنه حالما يقوم سببٌ لاستهتار أحدهما بالآخر وازدرائه لقلة معرفتهِ أو ضعف ذكائهِ ، أو يقوم ظن عند هذا باستعلاء ذاك ، نشأ سبب النفار والخصام الآئل الى حلّ الاتحاد حتماً ، والحل متعذر بحكم السنن الاجتماعية . وكلا الاتحاد والحل في هذه الحالة مجلبة للنكد

واما من حيث الكيفية فلا يحسن أن تكون التربية العقلية من حيث التعليم والتثقيف مختلفة عند الطرفين . ولسوء الحظ ان الشرق مصاب بتعدُّد اشكال الثقافات كتعدُّد الطائفية فيه . فهناك ثقافة أهلية وثقافة اكليريكية ، وثقافة « فريرية » وثقافة « جزويتية » وثقافة انكليزية وثقافة اميركية وثقافات اجنبية متعدّدة . وكل ثقافة تختلف عن الاخرى في برنامجها وفي مبادئها الرئيسية ، وفي الوجهة التي توجه اليها نفسية

الطلبة والطالبات . ولهذا تشبُّ عندنا الناشئة من فتيان وفتيات مختلفي العقلية اختلافاً بيّناً، بحيث يتعذر التلاؤم فيما بينهم في العشرة ، فكيف في الزوجية . ان اختلاف الثقافات هذا عندنا في الشرق كله يسبب كثيراً من سوء التفاهم بين الفئات والجماعات والاسرات ، وكثيراً ما يسبب التنافر والتجافي ويحل الالفة . فكيف به اذا كان بين زوجين ؟ فلا يندر ان يكون علة سوء تفاهم بينهما ، وقد يفضي سوء التفاهم هذا الى التخاصم ، ما دام الزوجان محتكين فيما بينهما ، ولا مناص لهما من الاحتكاك

لذلك يجب ان يلاحظ جيداً التكافؤ في درجة العقلية وصفتها ، وفي نوع الثقافة بين الطرفين تفادياً للتنافر . وليس هذا الأمر بالصعب اذا حُسب شرطاً جوهرياً للزواج لأن العقلية لا تختفي ولا تتوارى ، ولا يمكن التمويه عليها؛ والثقافة ظاهرة معروفة .

ولكن لسوء الحظ انه قلَّ من ينظر الى هذه المسألة بعين الاعتبار ، ولا يقدر الناس اهميتها حق قدرها ، ولا سيما الفتاة وأهلها ، لانهم اكثر تسرُّعاً من الفتيان في الأمر خوفاً من ضياع فرصة ،أو اغتناماً لزواج لاينتظرون مثله كل حين . فيتساهلون بهذا الشرط لظنهم انه غير ضروري . ولكن اذا خاب الزواج حظاً من السعادة بسبب التخالف البيّن بين الزوجين شعر الزوجان واهلهما بالخطاء حين يتعذّر تلافيهِ

٣ — التعاطف الروحاني

اما الشرط الثاني فيقضي ان يكون الحب مرتكزاً على الجمال الروحاني ؛ فيه تقدم الفتاة للفتى من جمال نفسيتها الداخلية ، ويتقبل الفتى ذلك الجمال متجاوزاً الملاحة المادية والزخارف الخارجية ، فيه تتجلى روح الفتاة اللطيفة الطاهرة على عرش بهائها ، ويتعبد الفتى طهر هذه الروح . الحب الذي يرتكز على هذا التفاعل الروحاني هو الحب الذي يلتئم بهِ القلبان ويتحدان ، أو هو الالفة الاثيرية التي تربط الالفين ،كما تربط الالفة الكيمية العناصر المادية

فاذا كان الفتى ممن يترفعون عن الشهوات المادية ويتوخون امتاع النفس بالجمال الروحاني، ويبتغون من رفيقة الحياة جوهرها لا اعراضها، فلا تغرهم بهارج الفتاة الخارجية، وتبرجها المصطنع ، واناقة ازيائها ، ونفاسة حليها ، الى غير ذلك من الطلاء والتمويه

العرضي على الحقائق الجوهرية ، حتى ولا ثقافتها السطحية المزخرفة . بل قد ينفرون من هذه كلها لانها تحجب عن بصيرة نفسيتهم ذلك الجمال الروحاني الحقيقي . ولكن اين هؤلاء الفتيان وهم اندر من النادر ؟

بالاسف نقول ان معظم مساومات العرض والطلب في سوق الزواج دائرة على محور الزخارف الخارجية . وقلما يُعبأ بالمحاسن الداخلية . فأهل الفتاة يقصرون ثقافتها على قشور المعارف البسيطة النظرية لا العملية ، وعلى اجادة التكلم الى حد قصير ببعض اللغات الاجنبية ، وعلى شيء من سطحيات الفنون الجميلة ، كالضرب على البيانو والتصوير والوشي والتطريز والرقص ، الى ما هنالك من المعارف الثانوية . ثم تبذل الام جهدها في تزيين بنتها على احدث الازياء وابعدها عن الحشمة ، وتبالغ في اناقة ثوبها وزخرفهِ ونفاسة الاقمشة ، وفي تطرية وجهها وطلائه بالمساحيق . وقد تلوّن شفتيها بالاحمر وتزجج حاجبيها وتكحل عينيها ، الى غير ذلك من الزينة الخارجية . فتظهر الفتاة على هذا النحو تمثالاً بديعاً . وربما كانت تمتاز على التمثال الجميل بروحانية جميلة . ولكن هذه الروحانية تصبح بذلك الطلاء سجينة ضمن صدر هذا التمثال

فهذا التمويه الخارجي الخدّاع يغوي الفتيان ، لانه يثير فيهم من عناصر الحب [1] النعرة البهمية اولاً ويغلبها على سائر عناصره . والفتى في شرخ شبابه اول مايثور فيه هذه النعرة . فهو معذور اذا كانت وجهة حبه شهوانية مادية ، لاروحانية سحرية ، ولا سيما اذا كان لايرى من الفتيات الاَّ هذه التماثيل المبهرجة . ولا بدع ان يتغلب في اختيار الزوجات الملاحة الظاهرية على المحاسن الداخلية ، لان الحب يدور حينئذ على محور الجمال المادي «البراني» . ولا عجب اذاً ان تنعقد اكثر الزيجات على قاعدة هذا الحب ، وان يحدث الاتحاد بين الاليفين برابط النعرات البهمية ، والاهواء المادية . ولكن بعد الزواج ينقطع هذا الرباط ، لانه واهٍ ، وتسقط قشور الجمال المادي الذي كان يثير الحب ، فتنطفيء جمرة الحب نفسه أو تتبدَّد عناصره اذا لم يبدُ وراءه جمال روحاني يحل محله في إثارة الحب ، ويظهر الزواج حينئذ فشلاً وخيبة ، بعد ان كان يرجى مطمعاً ومغنماً

---

(١) انظر الفصل الاول حرف ب من كتاب الحب والزواج

بسعادة تامة مكينة . ذلك لان الحب لم يدر على محور التعاطف الروحاني بين الطرفين بل على محور الشهوات المادية . ولكن الحياة الزوجية ، حياة النضوج ، ليست حياة مادية فقط ، بل هي حياة روحانية اولاً . فلما نقصها الرباط الروحاني بدت فشلاً وخيبة ، لانها لم تكن اتحاداً بكل معنى الالفة ، بل ظهرت اختلاطاً بلا ارتباط

لذلك نرى ان الاهل يخطئون كثيراً في الاقتصار على تثقيف بناتهم ثقافة سطحية ، وعلى المبالغة في بهرجتهن الخارجية لعرضهن للزواج . وكذلك يخطيء الشبان جداً في التعويل على هذه البهارج في اختيار الزوجات . لانها مضللة عن طريق الاهتداء الى الالف الحقيقي

٤ — ضلال الفتى عن روحانية الفتاة

على ان اهل البنات يعتذرون عن تماديهم في تزيين بناتهم كالاصنام ، بان الشبان لايميلون إلاّ للملاحة الخارجية ، ولا يستهويهم الا هذه البهارج ، وان الفتيات اللواتي تجمّلن هذا التجمل الصناعي كنّ اوفر حظاً في الزواج من الفتيات اللواتي عولن على التجمل الروحاني . ولذلك يلجأون الى هذا التجمل الخارجي لئلا تكسد بناتهم

اذاً الخطأ مشترك وتبعته واقعة على الفريقين . والوسيلة الوحيدة لاصلاح هذا الخطاء والنجاة من ارتكابه فيما بعد انما هي تحسين التربية الاخلاقية العمومية ، وترقيتها بحيث تترفع الاخلاق ، وتعلو النفوس ، فتأنف من طبعها هذا الجمال الخارجي المصطنع الغرار الخداع ، وتعدل الفتيات واهلهن عن اصطناعه ، ويعدل الفتيان عن اعتباره

ويضاف الى الخطاء المشار اليه آنفا خطاء آخر ربما كان اسوأ نتيجة ، وهو انه لا يحسب حساباً لقلب الفتاة في المساومة في سوق الزواج ، أي انه قلما ينظر ان كانت تحب هذا الفتى الطالب أو لا تحبه . يكفي ان يقول اهلها انه « موافق » ، فتوافق ويحدث الزواج . أما الفتى فما طلب الا لأنه احب ، وعلى الغالب احب لأن الجمال المصطنع استهواه . ولكن الفتاة تقبل الطلب وتقدم قلبها ، لانه يقال لها : « ان فاتتها هذه الفرصة فقد لا تعود ، فالافضل ان تغتنمها » . فان كانت لا تحب العريس فهي تحب العرس . وان كانت لا تعلل النفس بآمالها من الزوج فتعللها بامالها من الزواج . لذلك تكثر

الزيجات التي لايكون الحب فيها متبادلاً تبادلا حقيقياً ، لان الفتاة التي توقت الى عريس استهواه جمالها الظاهري فقط ، تشعر انها تقدم له جسدها لا روحها ، وانه لا يحب فيها الا هذا الجسد ، وان الروح لا قيمة لها عنده ، فتضعف روحانيتها وتحس بمثل خيبة ، كأنها لا تستطيع ان تستهويه بروحانيتها الجميلة . والمرأة كما علمت تعول في حياتها على هذه الروحانية اكثر من الرجل .

لذلك يكثر جداً ان تتزوج الفتاة فتى لا تستطيع ان تحبه ، لأنه لم يتقدم لها بالشخصية التي تحب ، الشخصية التي تبتغي الجمال الروحاني . لا تستطيع ان تحبه لانها تشعر بخيبة في سر الحياة . تقبل به وتوده باخلاص لانه هو النصيب الذي كتبه القدر لها . فالخطاء الفظيع هنا في الشبان الذين لايدرون كيف يقدمون انفسهم للفتاة بالصيغة المحبوبة - صيغة الاعجاب بجمال الفتاة الداخلي . وجهل الرجال لهذا السر في النساء يضطرهن الى التعويل على المظاهر المادية الخارجية والبذخ في التبرج لكي يستهوينهم

ان اسعد حال للفتاة هو ان تكون عالمة وواثقة ان الفتى لم يعبأ بمظاهرها الخارجية ، ولا باحوالها المادية ، بل هو يقدس فيها شخصيتها الروحانية . حينئذ تبث له جمالها الروحاني محمولاً على اجنحة الحب لكي يتمتع به ، ويرد لها صدى هذا الحب بالاستزادة من هذا الجمال .

هذه هي السعادة التي تتوخاها الفتاة . وبحصولها عليها تحب الحب الحقيقي

٥ — التجاذب الخَلقي والخُلقي

الشرط الثالث هو توافر التجاذب الخُلقي والخَلقي . وهو شرط جوهري عظيم الشان في ضمانة سعادة الحياة الزوجية .

ان هذا التجاذب لا يزال في دار العلم سراً عجيباً ، ولا تزال فلسفة الفلاسفة تقصر عن تعليله تعليلاً مقنعاً تمام الاقناع . اجل انه لسرٌ مكنون اذ لا تستطيع أن تفهم لماذا يميل زيد الى هند ولا يميل الى دعد ، ولماذا تميل هند اليه لا الى عمرو . لا تستطيع أن تقول ان هند أجمل من دعد ، لأن بكراً أحب دعداً ولم يحب هنداً التي فضلها زيد على دعد ، فالجمال في عين الرائي . ولكل شخص نظر في الجمال يختلف عن نظر

غيره ، وصور الجمال لانهاية لعديدها . فالسر في الالفة بين الفتى والفتاة ، انهم اذا كان الحب بينهما روحانياً متبادلاً على قاعدة عطاء الجمال الروحاني واخذه . هذه الالفة تشابه الالفة الكيمية من بعض الوجوه . فكما ان سر هذه لا يفهم تماماً كذلك سر تلك . وقد بحثنا في هذا الموضوع بحثاً علمياً في كتاب الحب والزواج فليراجع هناك (١) وفحواه ان كلاً من الرجل والمرأة مكمّل لنقص في الآخر في السجايا والاخلاق والاميال والنزعات الخ . فاذا تدانيا في حب فزواج تطابقا وتمّا في شخصية واحدة بالاتحاد الزواجي . فقد علمت في تمهيد هذا الكتاب انه لا الرجل ولا المرأة شخص كامل يكفي أن يكون وحده حلقة في سلسلة السلالة ، بل هو قسم من الحلقة ، والحلقة لا تكمل الا بانضمام القسم الآخر اليه واتحادهما . واتحادهما لا يتم الا بتطابقهما . وتطابقهما لا يتم الا اذا كان الواحد منهما مكملا لنقص الآخر . فهما ليسا نصفي واحد متماثلين ، بل هما قسما هذا الواحد مختلفين شكلا . فتصورهما كقسمي كرة أو قرص ولم ينقسما في سطح مستوٍ ، بل في سطح متعرّج فالمنخفضات في القسم الواحد يجب ان تقابل نواتيء مماثلة لها في القسم الآخر ، لكي يتطابقا ، والاّ استحال اتحاد القسمين وتكوين كرة تامة منهما .

هذا جلّ ما نفهمه من معنى التجاذب بين الرجل والمرأة . وهكذا يمكننا أن نتصوره . واما ما هي المنخفضات في احدهما والنواتيء المقابلة لها في الآخر ، اي ماهي نواقص الواحد ومكملاتها في الاخر ، وكيف تكون واين تكون ، فهو ما يعجز الاستقراء عن تحقيقه على ما نظن . والغالب ان الشخصين المتحابين لا يقدران أن يفهما بالتدقيق النواقص والمكملات فيهما ، وجل ما يفهمانه أن بينهما تجاذباً قوياً يضمهما ويدفع غيرهما عنهما

فهذا التجاذب بين الاثنين لتطابق بينهما في السجايا والاخلاق الخ شرط ضروري للزواج ، لأنه هو الحب الطبيعي المجرد عن غايات ومطامع واغراض مادية . فاذا تحابّ فتى وفتاة ، وقد تم لهما الشرطان السابقان ، كان حبهما صائباً . واذا اعترض بينهما الأهل لاسباب اخرى غير جوهرية كانوا معتدين على حق مقدس . نقول كذلك لان كثيراً

---

(١) فصل ٣ حرف هـ صفحة ٨٢ من كتاب الحب والزواج

ما يحدث أن يتحابَّ فتى وفتاة ولا مانع من زواجهما الا امور اجتماعية أو عائلية غير قانونية ولا جوهرية ، يتمسك بها اهل احدهما أو اهل الفريقين ، ويمنعونهما من الزواج بالرغم من اصرارهما عليهِ . وهو افتئات على الحرية الشخصية .

على ان هذا التجاذب قد يكون ضالاً عن محجة الصواب بسبب ما بسطناه فيما تقدم من تمويهِ الظواهر على البواطن . فينخدع أحد الطرفين ، أو ينخدعان كلاهما معاً ، حتى متى تم الزواج ظهر تنافر بينهما لامور كانت مموَّهة

وكذلك قد يكون بين فتى وفتاة تطابق في الصفات المختلفة ، ولكن تلك التمويهات الظاهرية على الحقائق الباطنية تضلل أحد الطرفين ولا سيما الفتى وتصده . ولهذا كثيراً ماترى الفتى حائراً وهو يبحث عن فتاة تكون الفه الحقيقي فلا يجد . وقد تكون الفتاة التي ينشدها اقرب الناس اليه ، اي انها من جملة معارفهِ ، ولكنه لايجد فيها الجاذب الذي يجذبه اليها ، بسبب ما فيها من تصنع وتجمل خارجي وتظاهر بغير الحقيقة الطبيعية .

لذلك نعتقد ان الفتاة المستوفية شروط الزوجية ، واللائقة لان تكون زوجة فاضلة صالحة ، اذا ظهرت بمظهرها الطبيعي ببساطة بلا افراط في التبرج والتمويه . كانت اضمن لسعادتها الزوجية من المتصنعة . لا نعني بذلك ان تظهر الفتاة متحشفة (اي درويشة) عديمة الاناقة شاذة الزيّ . بل يجب ان تكون في مظهر من الجمال لائق بجمال روحانيتها بلا افراط ولا تفريط ، فذلك اكفل لجاذبيتها للفتى . وكذلك الفتى لاينبغي ان يكون مفرطاً في التأنق أو أن يغالي في التظاهر بمحاسن الرجال ، اولاً لكيلا يخدع ، وثانياً لكي يضمن جاذبية فيه طبيعية اكفل لسعادته الزوجية

٦ — قيمة الشخصية المادية

يجب ان يكون الفتى والفتاة متوازيين من حيث المنزلة الاجتماعية ، اي انهما في درجة واحدة ، أو من طبقة واحدة ، وان كان هذا التوازي في الدرجة الثانية من الاهمية ، بالنسبة الى الشروط الثلاثة السابقة . وانما نقول ان هذا الشرط واجب ايضاً لاننا لانقدر ان نجرد الحياة الزوجية من بيئتها الاجتماعية التي لها شأن عظيم في المعيشة

فالناس يتفاوتون من حيث الجاه والنفوذ والقيمة الاقتصادية . فاذا كان احدهما احطّ درجة من الآخر انحط الآخر معه ، وان توفقا كانا في مركز متوسط بينهما . ولكن الغالب انهما لايتوفقان ، فلا بد ان يستعلي اعلاهما على الآخر ، وفي هذا الاستعلاء مايفسد الحب الزوجي على الغالب

فلنفرض ان وجيهاً نافذاً نشأ في بيئة نبيلة ، وعليه ان يظهر في بيئته بمظهر الابهة والنبل ، ولنفرض ايضاً انه تزوج فتاة وضيعة نشأت في بيئة السذاجة والضعة . فالغالب انه يتعذر عليها ان تملأ المقام الاجتماعي الذي رفعها اليه ، ويستحيل ان تتجرد من بيئتها الاولى ، ولها اهل لايليق ان تنكرهم وتصدهم . فلذلك تكون حياتهما الزوجية مشوّهة من حيث هذه المظاهر الاجتماعية . وقد يحدث تشوهها نفوراً وتراخياً في الحب ، وربما افضى الامر الى شرود الزوج

واذا فرضنا العكس ، اي ان فتاة من اسرة وجيهة رفيعة المقام ، تزوجت بدافع الحب الاعمى ، فتى وضيعاً لا وجاهة له وليس هو اهلا لأن يكتسب لنفسه وجاهة بسعيه وعمله ، فلا ريب ان الفتاة تنحط الى منزلته ، لان مسألة المقام تتوقف على اهلية الرجل بالدرجة الاولى . وهذا التفاوت بينهما لا بد ان يحدث نفوراً ، ويسبب شقاء عائلياً ، مهما كان لها من الحكمة والاخلاق الحميدة في التصرف ، لأن النفس الطموح تصر على مطامعها وتأنف التخاذل والانحطاط

هذا من حيث الوجاهة . واما من حيث القيمة الاقتصادية فلا بأس ان تكون الفقيرة زوجة لغني اذا كان لها من الاخلاق والثقافة ما يعادل غنى الفتى ، لانه لايطلب في الحياة الزوجية من الزوجة اكثر من ذلك . بل هي افضل من الفتاة الغنية الضعيفة الاخلاق والثقافة .

واما اذا كانت فقيرة مالا واخلاقا ومعرفة فلا يتوفقان في زواجهما ، إلا اذا كان الزوج فقيراً مثلها بالاخلاق والثقافة ، لأن المال لايجعله اعظم قيمة منها

واما اذا كانت هي غنية وهو فقير وليس في شخصيته واهليته الاقتصادية من القيمة مايوازي مالها ، كان زواجهما شاذاً عن جاد الصواب ، وكان الغالب وبالا عليهما . ولا يخفف هذا الوبال الا ان تراضيا على ان تكون هي سيدة وهو مسوداً بكل

معنى الكلمتين . ولا يخفى ان السيادة حرية والمسودية عبودية . فكيف يكون الزواج اتحاداً روحانياً بين سيدة وعبد .

وأما اذا كانت للزوج اهلية ومقدرة على تثمير مال الزوجة ، وهي تثق بمقدرته وتستسلم له فلا بأس بزواجهما ، لأن لاهلية هذا قيمة اقتصادية تساوي مالها ، وربما زادت عليه

لذلك نحذر من ارتكاب الخطاء في الزواج مع هذا التفاوت الذي تبسطنا فيه انقياداً لسلطان الحب الذي تزول سلطته متى برزت مشاغل الحياة ومقتضياتها الى الوجود ، وصار للامور الاجتماعية شأن في الحياة الزوجية . حينئذ تنشأ الخلافات بين الزوجين وتنغص عيشهما تنغيصاً لا يجهله احد ، فلا داعي لسرد الامثلة والشواهد عليه

لذلك يجب ان يبنى الزواج على قاعدة الحب المجرد من المطامع المادية والمظاهر الاجتماعية . يجب ان يكون الحب بين متكافئين من كل قبيل ، لكي يدوم ويبقى ملاكه مرفرفاً فوقهما .

فحبذا ان ينظر كل من الفتى والفتاة الى هذه الاعتبارات التي لا بد ان يكون لها شأنها في المستقبل ، ولا يغترّا ببهجة الحب المادي الخداعة ، لأنها وقتية ولا بد ان تزول ولا يبقى الاّ الحب المتكافيء

ب - المحاذير - سنة الوراثة

١ — المحاذير الخفية

اذا توفق اليفان ، فتى وفتاة ، الى تفاهم صادق تحت راية الحب ، ووثقا انهما استوفيا فيهما شروط الائتلاف ، شعرا بسعادة فائقة ، اذ يرسخ في ذهنهما ان الله قد قرن روحيهما منذ الازل . عسى كل إلفين ان يتوفقا هذا التوفيق . ولكني اراني مضطراً ان الفت نظر كل فتى وفتاة متحابين الى محاذير جوهرية تحول بين زواجهما. فاذا تخطياها تعرضا لتعاسة زوجية وعائلية لا مناص منها

فلا يخفى ان المدنية الحالية على ما فيها من رقي عجيب من كل قبيل ، مشوهة بما فيها من آفات وعيوب واخطار . وقد علمت فيما سبق من مباحث هذا الكتاب ان

بعض الامراض الخبيثة والعادات الضارة منتشرة بين العناصر المتمدنة كأنها من لوازم مدنيتها . وهي تزداد انتشاراً بالاختلاط والتزاوج الممتزج ، لعدم التحذر وقلة التحوط منها ، وعدم الاهتداء لكيفية تدارك انتقالها . فلذلك يجب على كل من الفتى والفتاة قبل التمادي في المحبة وقطع العهود ان يستوثق من سلامة الآخر من هذه الآفات والعادات لئلا يشترك بالمصيبة مع الاخر منخدعاً ، وهو قد كان في غنى عن زواج تعس كهذا

لا يتيسر بسهولة لاحد الطرفين تحقيق سلامة الآخر ، ولا سيما اذا كان الآخر يجهل اهمية الامر ، أو انه اناني يستحل أن يضحي بسعادة غيره لاجل اشباع شهوته الدنيئة أو الحصول على مطمعه . وانما يمكن الواحد درس مظاهر الآخر واستطلاع الاحوال والظروف المحيطة به ، حتى اذا لاحظ اموراً تدعو للشبهة عمد الى التحقيق الفعلي باي الوسائل الخفية الممكنة لكي يتأكد ان كان اليفه الموموق سليما أو غير سليم

أما الامور التي يجب الحذر منها وتحقيقها فهي الامراض والعادات التي تنغص حياة الزوجين وتنتقل الى ذريتهما . وقد تبسطنا في اخبثها من الوجهة الطبية في الفصل الثاني . والان نبحث فيها من قبيل انها وراثية تتعس العائلة والسلالة ، الامر الذي يعظم خطرها ويستوجب الحذر منها . ولذلك نتبسط في سنة الوراثة في النبذة التالية تمهيداً لهذا الموضوع والفاتاً لنظر القارىء الى اهميته

***

للوراثة شأن عظيم في الهيأة الفردية كشأنها في الحياة الاجتماعية . فهي تلعب دوراً مهما في مستقبل المرء سعيداً أو تعساً ، كما انها تلعب دورها في تطور الجماعة . لذلك يعد هذا الكتاب ناقصاً اذا اغفلنا هذا البحث ، ولا سيما لان الفتى والفتاة يعتمدان كثيراً على سنة الوراثة في انتقاء رفيق الحياة .

٢ — الوراثة الطبيعية

أما ان الوراثة سنة طبيعية فأمر واضح لا يحتاج الى زيادة ايضاح . فكل بزر ينبت نباتاً بزره كجنسه . فلا يمكن ان يخرج من الشوك عنب ولا من العوسج تين .

وبزرة التفاح لا يمكن ان تنبت الا شجرة تفاح ، وبيضة الدجاجة تنقف فرخ دجاج وهلم جرّا

ومعنى ذلك ان في الجرثومة التي يتكون منها جنين كل حيّ كل العناصر الجوهرية التي يتكون منها مولود ذلك الحي من نوعه بل من صنفه ، فالوردة الحمراء النابتة من بزرة وردة حمراء تزهر وردة حمراء لا صفراء ولا بيضاء . والقطة البيضاء الملقحة من ذكر ابيض تلد قطة بيضاء

ولا يقتصر عمل الوراثة على حفظ صفات النوع لنوعه أو الصنف لصنفه ، بل يتناول أيضاً غرائز الاسرة وسجاياها وسلائقها وخلالها . فالسلالة التي عرفت بالقوة البدنية وسلامة الاعضاء وشدة البأس تكون مواليدها كذلك . والعكس بالعكس. والسلالة التي عرفت بحدة الذكاء والنبوغ والعبقرية تكون مواليدها كذلك ، اذا لم تمتزج بالمزاوجة مع سلالة اخرى ضعيفة من هذا القبيل .

هذا هو ناموس الوراثة من الوجهة البيولوجية . أي أنه بواسطة هـذا الناموس تنتقل خواص السلالة الحيوية من الاجداد الى الاحفاد عن يد الجراثيم التناسلية التي تتكون منها الاجنة . ولا محل هنا للتبسط في سائر سنن الوراثة الفرعية وما يطرأ عليها من التغير والتطور على تمادي الاجيال . ومن شاء ان يعرف مزيداً من هـذا الموضوع فعليه بكتابنا الثاني في علم الاجتماع ففيه شرح كاف لمن يروم معرفة رئيسيات هـذا البحث . ومن رام بحثاً مستفيضاً فليرجع الى الكتب الخاصة بهذا الموضوع

٣ — الوراثة الاجتماعية

وهناك ضرب ثان من الوراثة ، نعني به الوراثة الاجتماعية . وهو ذو شأن كبير في الحياة الفردية ، وعلى الفتى والفتاة ان يعيراه جانباً من الاهتمام في انتقاء شريكة الحياة أو شريكها

قوام هذه الوراثة العشرة المنزلية أو الاختلاط العائلي. فلا غرو ان الاولاد يرثون كثيراً من اخلاق ابويهم وسائر كبار البيت وعاداتهم وتصرفاتهم وحركاتهم . بل ان الصغار يكونون نسخاً من الكبار بكل شيء تقريباً . فاذا رأيت ابن صديقك لاول

مرة فقد تعرف أنه ابنه من غير أن يقول لك قائل، لانك تجد فيه لهجة ابيه في الكلام، وشكل مشيته وحركات يديه وسائر اعضائه الخارجية وضحكته وعبوسته ورضاه وحلمه وغضبه، الى غير ذلك من خصائص الاب، وخصائص الام أيضاً، لان الولد من صغره يأخذ كل شيء من ابويه بالمحاكاة والاقتداء والاقتباس، ويتمكن فيه بحيث يتعذر نسخه منه في كبره. قد تهذبه المدرسة والعشرة الخارجية بعض التهذيب. ولكن الخلال الرئيسية تبقى ظاهرة واضحة فيه

فالابن الذي يتربى في بيت التقوى والفضائل يغلب ان يشب تقياً فاضلا. والابن الذي يسمع من ابويه الالفاظ البذيئة والشتائم يتعلم هذه الالفاظ ويقولها كلما لاح له ان يقولها لاقل سبب، والابن الذي يرى اباه يعامل أمه معاملة سيئة كانها خادمة يعامل أمه وأخته كذلك، ومتى تزوج يجرؤ أن يعامل زوجته هكذا. واذا كان يرى اباه يغضب ويخاصم ويقاتل لاقل سبب يكون هو كذلك أيضاً. واذا رأى أباه يشرب ويسكر فلا يتردد هو ان يشرب الكاس بعد الكاس ويشب سكيراً كأبيه. وقس على ذلك كل حالة بلا استثناء.

والبنت التي ترى أمها مولعة بالترتيب والنظافة تشب على هاتين المزيتين، والعكس بالعكس. واذا كانت الام شريرة سليطة كانت بنتها كذلك غالباً. واذا كانت الام تفرط بالتبرج وتميل الى الخلاعة والتهتك فماذا يمنع بنتها أن تقتدي بها؟ وهكذا يمكنك أن تتحقق اخلاق وعادات فتى او فتاة من سيرة والديهما واجدادهما. فان الخلال تنتقل بالوراثة الاجتماعية على نحو ما فهمت

٤ — الوراثة المرضية

وبين زينك الضربين من الوراثة الطبيعية والاجتماعية، ضرب متوسط يتردد بينهما، ويستند تارة على الواحدة وطوراً على الاخرى، واحياناً على كليتهما، ونعني به انتقال الامراض والافات والعلل في الابوين الى البنين. واليك امثلتها.

١ — الاستعداد لمرض السل. فان الاولاد يرثون من ابويهم هذا الاستعداد عن طريق الوراثة البيولوجية، اذا كانت السلالة مصابة بالضعف الذي يعجز الجسم

عن مقاومة هـذا الداء ، ولا سيما اذا كان الدم فقيراً بالخاصة التي يمتاز بها ،وهي قدرة الكريات البيضاء على محاربة المكروبات المرضية . كذلك يحتمل جداً ان يرث الاولاد في زمن الرضاعة مكروب السل نفسه من الام بواسطة اللبن . ويمكن ايضاً أن يرث الاولاد السل من أي الابوين بالمخالطة الدائمة اذا كان مصاباً به

٢ً — كذلك داء الزهري ينتقل من الاب الى البنين والبنات عن طريق الجرثومة الملقحة ، ومن الام ايضاً اذا كانت مصابة بالداء

٣ً — وبعض العلماء يزعمون ان للآفات التي تطرأ على الابوين بسبب ادمان المسكرات وسائر المخدرات تنتقل ولو ضعيفة للاولاد . وبعضهم يؤكدون ان الميل لادمان المسكرات وراثي ايضاً

٤ً — ويقولون ان داء السرطان وراثيٌّ من هـذا القبيل ايضاً ، اي انه لوحظ بالاستقراء ان اسراتٍ دون اخرى مختصة بالاستعداد لهذا المرض الفظيع . فاذا كان بعض افراد اسرة مصابين بهذا الداء ، فيحتمل ان يصاب به اولادهم واحفادهم ايضاً اكثر مما يحتمل ان يصاب به افراد من اسرة لم يطرأ عليها هذا الداء

٥ً — ويقول بعض الاطباء ان البول السكري وراثي ايضاً . وانما يُشك بصحة هذا القول

٦ً — اما الامراض العقلية كالبله والجنون ونحوهما فيرجحون جداً ،بل يؤكدون انها وراثية . فاذا كان في افراد العائلة السابقين والحاليين بُلهٌ او مجانين كان مرجحاً جداً ان يكون في الاولاد والأحفاد مثلهم

٧ً — الامراض العصبية كالصرع والهستيريا والنوراستينا والتمتمة في الكلام الخ تنتقل بالوراثة على الغالب . ولا شبهة في ان المزاج العصبي بالاجمال وراثي

٨ً — وقد ثبت بالاستقراء ان الصلع وسائر آفات الشعر تنتقل بالوراثة ايضاً

٩ً — وبعض الافات الجلدية كالاكزيما ينتقل الاستعداد لها بالوراثة

١٠ً — ويزعم آخرون ان الميل الى الاجرام وراثي ايضاً . ولا بدع فان في الوراثة الطبيعية والوراثة الاجتماعية تعليلا لكل ذلك

٥ً — نواميس الوراثة

ويمكن اجمال نواميس الوراثة ، طبيعية واجتماعية فيما يلي : —

١ً — اذا كان الاب والام من اسرة واحدة تغلبت جداً صفات الاسرة في المولود وقلما يشذ بشيء عنها

٢ً — اذا كان الزوجان من اسرتين مختلفتين كان المولود منهما حاصلاً على بعض صفات كل من الاسرتين دون البعض . ويمكن ان تتعدّل الصفات المشتركة بين الاسرتين

٣ً — اذا كان في احد الزوجين صفة او صفات غالبة جيدة او رديئة ظهرت في المواليد او في اكثرها

٤ً — يقال ان مواليد الزوجين المختلفي الاسرة اقوي بنية وافضل صفات من مواليد زوجين من اسرة واحدة . وهو قول فيه نظر . وقد اختلف فيه الباحثون ولكنه راجح

٥ً — اغلبية العلماء والفلاسفة يقررون ان الخواصّ والصفات التي تنتقل بالوراثة هي الصفات والخواص العريقة بالقدم التي تأصلت في السلالة . واما الصفات المكتسبة التي يكتسبها الفرد فلا تنتقل الى ذريته . على ان بعضهم يرد على هذا القول بانه اذا لم يمكن انتقال الصفات المكتسبة فكيف يمكن اذاً ان يحدث التنوع . لأنه بحسب القول السابق يبقى كل نوع مستقلا بخواص نوعه الى الابد . ويقول العلامة الاستاذ المورجانس الاميركي ان تلك النظرية مخالفة للواقع . لانه روّض بعض الكلاب ودرّبها وعلمها بحيث صارت تميز بين سبعة أو ثمانية انواع من اللون الاخضر أو الاحمر . ولما فحص نخاع بعضها تحت المكرسكوب وجد ان الخليات التي في مركز النظر متزايدة تزايداً عظيماً ، الأمر الذي يدل على ان التدريب والتعليم سبّبا تكوين مادة دماغية لازمة للقيام بوظيفة النظر . ثم فحص مواليد هذه الكلاب جيداً بعد جيل فوجد هذه الزيادة في خليات المركز البصري اكثر من المعتاد في الكلاب الاخرى . ولا يخفى ما في ذلك من الدلالة على ان الصفات المكتسبة محتملة الانتقال بالوراثة ، اذا لم نقل انها مؤكدة الانتقال

وقد ظهر من تجارب هذا الاستاذ ان الكلاب التي تتربى في الظلمة المطلقة تنقص مراكز البصر فيها كثيراً من خلياتها . ويظهر هذا النقص في مواليدها ايضاً .

٦ً — شأن الوراثة في الزواج

وسواء صح برهان هذا الاستاذ أو لم يصح فالنقطة الاساسية الجوهرية هي ان الخلال والصفات والسجايا والاستعدادات للامراض تنتقل بالوراثة . ولا يهمنا ان كانت اصلية أو مكتسبة .

وانما المهم هنا هو أن يعول الفتى والفتاة كثيراً على سنة الوراثة هذه في انتقاء رفيق الحياة لغرضين رئيسيين : الأول ، لأجل ضمان ان يكون الرفيق صالحاً للزوجية وملائماً لرفقة الحياة ، ومحققا الرجاء بسعادة الزواج وهنائه

والثاني لضمانة جودة النسل وحسن صحة البنين وقوة بنيتهم وسلامة اجسامهم من الآفات وعقولهم من العيوب واخلاقهم من الشواذ . والأ فميرات الاولاد اي عيب او آفة او ضعف او علة يسحق قلب الابوين اسىً وغماً وينغص عيشهما

اعرف صديقاً كان دائم التنغُّص والتحسر والتألم ، لان له ابناً ولد ضعيف القلب ، وكان الاطباء يحذرون اباه من تكليفه اي جهاد عضلي او عقلي والاَّ قضي عليه . فمنع بناتاً عن المدرسة ، وكان يُحْمَل حملاً في الصعود على درج البيت ، ولا يترك ليمشي ، بل يؤخذ في مركبة مهما كانت المسافة قصيرة . فان طال عمر الغلام بسبب هذه العناية الفائقة فسيبقي عالة على ابويه ، ثم على اخوته . لذلك يتنغص ابواه جداً لرؤيته في هذه الحال نغصة دائمة لانقضاء لها . وليس الذنب في ذلك ذنب الغلام بل هو ذنب احد ابويه او بعض اجداده اذا ورثوه هذه العلة . ربما كان سببها وراثة داء الزهري من احد الاجداد

ج - الموبقات الموروثة

١ً — داء السكر وراثي

قد تستغرب ان يقال لك ان عادة السكر وراثية تنتقل من الوالدين الى الاولاد

ليس من الطريق الاجتماعي فقط ، بل من الطريق البيولوجي أيضاً . والآفات التي تنتج عن ادمان المسكرات تنتقل أيضاً بالوراثة الى الاولاد

ذلك لان ادمان المسكرات يسبب انحطاطاً عصبياً مستمراً . واذا طالت مدة الادمان فلا يرجى ترميم الاعصاب ورجوعها الى حالها الاصلية ، وأن امكن الامتناع عن الشرب . ومن نتائج هذا الانحطاط العصبي أو سقم الاعصاب وضمورها الهستيريا والتشنجات العصبية والغضب والحرد لغير سبب ، والانفعال النفساني لاقل محرك ، والخمود او الونى والوهي والوهن الجسماني العمومي ، واختلال قوة التعقل بحيث تكثر الشكوك ، وتسيء الظنون ، وتقل الثقة .

فظهور أي ظاهرة من هذه الظواهر العصبية يدل على احتمال انها نتيجة النشوة الخمرية غالباً . ويمكن ان تكون لاسباب طبية اخرى . ومهما يكن الأمر فيجب التحذر منها وتحقيق اسبابها . فقد يكون الشخص نفسه مدمنا المسكر ، أو انه قد ورث هذا الضعف العصبي عن اهله ، ويحتمل جداً ان يكون قد ورث ايضاً الميل الى المسكرات

ولا يقتصر خطر المسكرات على ظهور الاعراض ، ولا حدوث هذه الاعراض يقف عند هذا الحد ، بل يحتمل جداً ان يزداد هـذا الانحطاط العصبي بعوامل اخرى فيسبب الصرع (داء النقطة) والبله والجنون والميل الى الانتحار . وقد ثبت بالملاحظات والاستقراء ان المصاب بهذه الاعراض العصبية يكون شـديد التأثر من تأثيرات المسكرات . فاولا يكون ميالا للشرب . وثانياً يؤثر الـكحل في جهازه العصبي سريعاً . وثالثاً ان بنيته تكون قريبة جداً للعطب تحت فعل المسكر .

لذلك ترى ان البله والنشوة والهستيريا الى غير ذلك من الادواء العقلية والعصبية تزداد في الامة المتمدنة لتماديها في ادمان المسكرات . وهذا احد عيوب المدنية .

ولا ريب ان الآفات التي تنتجها المسكرات تنتقل الى الذرية بسبب اضـعافها للجهاز العصبي كما تقدم القول .

---

(١) هذا القول مسند الى الدكتور كروزرس الاميركي (انظر What a young woman ought to know صفحة ٢٢٤) وقد اضاف الى هذا القول قوله ان سبب هذا الانحطاط ادمان المسكرات واستعمال العقاقير المخدرة

قال الدكتور مك متشل [1] بهذا الصدد . « أي شكل من اشكال الجنون او الاختلال العقلي يكون اشد خطراً في الام منه في الاب على الذرية . ولهذا السبب تكون بنت الابوين السكيرين قوية الجاذبية للفتيان الشديدي التأثر والعصبي المزاج (لما فيها من خفة وطيش) ولهذا يجب أن يتجنبها الفتيان الباحثون عن عرائس. والشاب الذي يتزوج بنت سكير لا يعرض سعادته الشخصية فقط للخطر بل يعرض اولاده للانحطاط العصبي والآفات الناجمة عنه ».

كذلك الفتاة التي تتزوج فتى مدمن الخمرة تتعرض واولادها لمثل هذا الخطر. وكذلك يجب التحقيق عن والدي الفتى او الفتاة ان كانا من مدمني الخمرة ، لان آفات الادمان تظهر في البنين والبنات ، وإن كانوا هم لم يدمنوها بعد . ولهذا لا يحسن ان تُشجب عادة اطالة مدة الخطبة ، لانه اذا كان الفتى (أو الفتاة) قد ورث عادة السكر وآفاته من والديه فلا بد ان تظهر فيه آثار هذا الميراث مع الوقت ، وحينئذ يمكن أن ينقذ الطرف الآخر من الخطر - خطر الزواج بسكير

٢ — خطر الزواج بسكير

والرجال اكثر من النساء ارتكاباً لهذه الجريمة ، جريمة السكر ، ولا سيما في الشرق ، لانه يندر حتى الآن أن تدمن الشرقيات المسكرات. والعادة عندنا نحن الشرقيين أن نتساهل كثيراً مع الرجل ونشدد النكير كثيراً على المرأة. فلا بأس عندنا ان يكون الرجل نصف شيطان وأما المرأة فيجب أن تكون ملاكا مضاعفاً . وبسبب هذا المبدأ الفاسد تتساهل الفتيات واهلهن في الزواج بمدمني الخمرة ، وقد لا يحسبون ادمانها آفة . فربما قالوا: « متى تزوج يتغير ويعدل عن الشرب» . او ربما حمس الهوى الفتاة فقالت . « اني اتزوجه لكي اخلصهُ وارده عن هذه الموبقة واكسب له حياته » . كأنها تعني انها تفتديه ، وتخاطر بنفسها وباولادها منه في فدائه .

---

(١) قوله مقتبس من كتاب What a young woman aught to know صفحة ٢٢٨

حسن هذا القول لو كان ادمان المسكرات جريمة أو ذنباً أو معصية ، فقد يغتفر الأثم بالتوبة وتمحى الجريمة بالكفارة . ولكن الادمان يبتدي، إثماً وجريمة ولكنه لا يلبث ان يصبح مرضاً ، ومرضاً موروثاً، مرضاً مزمناً . والتوبة والكفارة لا يشفيان مرضاً عقاماً .

فلذلك تكون الفتاة الراضية بزواج فتىً مدمن مجازفة فعلاً ،لانها ان افلحت في حمله على التوبة ، وهو امر بعيد الامكان ، فلا يمكن ان تفلح في شفائه من آفات الشرب، ولا حيلة لها فيها . اجل ،تكون مجازفة بسعادتها الزوجية من جهة ، وجانية على اولادها من جهة اخرى ، لانهم لابد ان يرثوا عواقب فعل الخمرة في ابيهم

قد يتراءى للقارىء اننا نغالي في مانعزوه لادمان المسكرات من الآفات والعواقب السيئات، او اننا مهولون على الفتيان والفتيات باهوال المسكرات . قد يتراءى للكثيرين الأمر هكذا لانهم يرون كثيراً من الرجال المدمنين عاشوا حياةً غير قصيرة وهم في صحة وعافية . هـذا هو الظاهر الذي يرونه واما مالا يرونه فلا يدخل في قائمة الحساب . فليبحثوا اولا عن نهاية حياة هؤلاء الاشخاص كيف كانت . وثانياً عن ذريتهم كيف هي . كان شخص يقول انه يشرب كل يوم زجاجة من الوسكي ولم يصب بمرض . ولكنه غضَّ نظره عن انه رزق ١٢ ولداً ، فلم يعش منهم الاَّ اثنان والثالث معتوه . ثم نسي ان له آخرة لا يدري كيف تكون

يعرف كاتب هـذا الكتاب رجلا كان نادرة في قوة بدنه ، حتى انه راهن على مغالبة دب كان مع احد المشعوذين ، على انه اذا غلبه القاه في الجب، اذ كان في مكان المصارعة بئر قديمة . فغالب الدب وغلبه وطرحه في الجب فعلا . وكان هـذا الرجل شرِّيباً . ولكنه لم يكن يسكر الاَّ كل مدة بعد مدة طويلة وانما كان سكره جنونياً . فما بلغ الاربعين من عمره حتى ظهر عليه السل فسل روحه من بدنه في ٦ اشهر . وفي الستة اشهر تحول من شكل خروف معلوفٍ الى هيكل عظام مغلف بجلد رقيق أدكن. ولم يزل شكله الفظيع حين رأيته قبل وفاته ماثلاً في مخيلتي

٣ — وراثة عواقب المخدرات

اذا كان الزواج برجل مدمن للخمرة خطراً هكذا، وهذه جنايته على الذرية. فما قولك بعادة المخدرات الاخرى؟ الافيون والمورفين والهيروين والكوكايين والحشيش الخ: لانظن ان فتى (أوفتاة) يجهل فظاعة هذه العادات الخبيثة. ولانظن فتاة تجرأ على الزواج بفتي وقع في احدى هذه العادات، ولا سيما لان اضرارها تظهر في الشخص عاجلاً، وآثارها كافية للنفور منهُ الاَّ اذا كان في بدء العادة فيكون الخطر منه كبيراً. لذلك يجب ان تستوثق الفتاة ان الفتي الذي ازمعت ان تهبه قلبها ليس كوكايينياً، والاَّ كانت تلقي بنفسها في التهلكة، لان اصحاب هذه العادات لايبرأون منها. اعرف طبيباً اعتاد الكوكايين. وقد سجن ٣ مرات في المستشفى فكان يشفى من العادة ولكنه لا يلبث ان يقع ثانية فيها واخيراً مات في كهولته من جراء هذه العادة. ومن حسن الحظ انه لم يتزوج. وكان اذا قيل له: «لماذا لاتتزوج يادكتور؟» كان يقول: «لقد خسرت الرجولة الصالحة للزوجية. لم ابق نافعاً لشيء».

ان الفتاة التي تقدم على زواج الفتي المعتاد هذه المخدرات، لظنها انه يتغير بعد الزواج، او تساهلا لجهلها فظاعة العقبى، او مجازفة - ترمي بنفسها في التهلكة لا محالة. وقد تكون حرَّة ان تفعل بنفسها ماتشاء، ولكنها ليست حرَّة ان تجني على اولادها وهم براء من اثمها

لو كنت مشترعاً لكنت اعاقب كل رجل وامرأة يلدان أولاداً وارثي آفات جرائمهما. وكنت اخوّل للبنين حقَّ مداعاة والديهم اذا كانا مورثيهم آفات جرائمهما

٤ — ارث الامراض الخبيثة

ولو اقتصرت محاذير الزواج على هذه الموبقات، اي عادات المسكرات والمخدرات لربما سهل اتقاء الوقوع في تهلكتها، لانها في اغلب الاحوال غير خفية، بل هي ظاهرة لمن يحسب حساب عواقبها ويروم تحايدها. ولكن محاذير الامراض الخبيثة التي يغلب ان تكون ضعيفة، وعواقبها ويلات هائلة، تمتد من الاجداد الى الاحفاد

لقد علمت فيما تقدم ولا سيما في نبذة الوراثة، ان امراض الزهري والسيلان والسل فظيعة خبيثة مخيفة ، أولا لأنها ادواء عقامة يكاد يستحيل شفاؤها ، وافضل العلاجات التي جربت فيها لم تقطع شأفتها . وثانياً أن نهايتها في المصاب بها اليمة فظيعة تنتهي بموت رهيب . وثالثاً لانها تنتقل بالعدوى سريعاً . ورابعاً لأنها وراثية وراثة طبيعية أو اجتماعية أو كليهما . وتليها فظاعة الامراض العصبية المتأتية عنها أو عن المسكرات . وربما كان السيلان خلياً من خطر الوراثة ولكنه يعدي الاطفال كما علمت

فلذلك يجب على الفتاة واهلها أن يتأكدوا ، أو يتحققوا الى أن يتأكدوا ، أن الفتى الذي يصاهرهم ليس مصاباً باحد هذه الأمراض، ولا كان أحد أبويه أو أجداده مصاباً بهِ — يجب أن يستوثقوا من ذلك . أولا لكيلا تعدى بنتهم وتشترك معه في عواقب دائهِ المبرحة . وثانياً لكيلا يجنوا على أولادهما وسائر الذرية المقبلة .

كذلك يجب على الفتى السليم أن يستوثق ان كان والد الفتاة وأجدادها سليمين من هذه الامراض للسببين الآنفين ،لما هو ثابت من وراثة هذه الادواء الخبيثة ووراثة عواقبها وافاتها

إن الخطر من هذه الامراض الخبيثة لاعظم مما يتصوره السليم الجسم والبنية . ولذلك نحذّر منه كل الحذر لان الوقوع فيه لا يقل عن الوقوع فى جهنم . أعرف فتاة كانت كالملاك خلقاً وكاملة الجمال خلقاً ، تزوجت فتى كان لسوء حظها « مزهوراً » فما لبثت أن اصيبت بدائهِ فكانت الاصابة حادة، فعطبت عقلها بعد ان ولدت ٣ أطفال (مصابين طبعاً) فاستردها اهلها من ذلك الزوج اللئيم وهي انسان بلا عقل . وقد عالجوها العلاجات المعروفة فلم تنجع فيها . ربما كان العلاج قد اضعف المكروب فيها ولكنه لم يصلح العطب الذي اصاب دماغها . ولهذا تقيم فى بيت اهلها سبياً لغصتهم لانزعاجهم من العناية بها، وتدارك اخطار جنونها على نفسها وأنفسهم . وذلك الزوج اللئيم الذي استحل هذه الجناية نبذها مشنشناً ان الداء فى والديها لافيهِ. والحقيقة انه كاذب

هذا مثل من الوف الامثال على عواقب الزواج من غير تحقيق عن سلامة جسم كل من الطرفين من هذه الامراض الفظيعة .

٥ — تعذر التحقيق

وهنا يقف امامنا اعتراض وجيه وهو : كيف يمكن تحقيق هذه الامراض السرية في ذويها . فمن يعرف انه مصاب (فتى او فتاة) ويطلب عروسة ، او تطلب عريساً، لايكون صالح الضمير فلا يعترف بدائهِ . ومن يجهل انه مصاب او مستعد للاصابة يصر على انه سليم ، ولا تسلم عزة نفسه بان يخضع لتحقيق . والافراد الصالحو الضمير الذين يعرفون باصابتهم ويتجنبون الزواج ، او الذين يجهلون اصابتهم او استعدادهم للاصابة ويسلمون بالتحقيق ، قليلون جداً ولا يمكن التثبت من صلاح ضمائرهم - اذاً كيف يمكن التحقيق من جهتي الطرفين ؟

الحق ان هذا الاعتراض وجيه ، وصعوبة التحقيق تكون تارة سبباً للوقوع في الخطر ، وطوراً سبباً لشدة الحذر عند وجود الشك ، وقد يكون الحذر في غير محله فتضيع الفرصة

لحسن الحظ ان الأمم المتمدنة اخذت تتنبه لهذا الأمر وتشترع الشريعة الكافلة صحة الحذر . ولا ندري حتى الآن ان كانت أمة من الأمم قد انجزت شريعة تامة كهذه . ولا ينتظر ان تستتب في شرقنا شرائع مستوفية تدارك المحاذير . فلذلك نحن مضطرون الى اتخاذ الوسائل غير الرسمية والممكنة لهذا التحقيق

فاولاً يمكن البحث خفية عن تاريخ حياة العائلة من الوجهة الصحية ، وبأي الأمراض اصيب افرادها وماتوا . فقد يمكن التوصل الى حقائق جازمة عن وجود بعض هذه الامراض في الابوين او الاجداد ، فترجح الشبهة في الفتى والفتاة ويتغلب المحذور

ثانياً تمكن ملاحظة سلوك افراد العائلة جميعاً وخصوصاً اهل الفتى (او الفتاة) الذي تحت التحقيق . فان ظهر في تصرفاتهم او سلوكهم واخلاقهم اعراض لعواقب المسكرات او للامراض الخبيثة المشار اليها وجد المحذور ووجبت زيادة التحقيق

ثالثاً يمكن الالتجاء الى طبيب صديق يساعد في التحقيق بالملاحظة ودرس الاعراض والاستطلاع على تاريخ العائلة التي تحت التحقيق . هذا اذا ترجحت الشبهة

رابعاً تمكن الاستعانة بطبيب العائلة التي هي تحت التحقيق ، او بالطبيب الذي عالج

كثيراً من اعضائها في بعض الاحوال . ولكن الاطباء يختلفون في نظرية الاباحة بما عرفوه من دخائل العائلة التي يعالجونها . فبعضهم لايرى نفسه ملزماً بوجه من الوجوه ان يبوح بما يعلمه من اسرار العائلة الصحية التي يعالجها . وبعضهم يرى انه يجوز له ان يبوح بسر مرضٍ عقام ينتقل بالعدوى والوراثة ، اذا كان في المسألة مشروع زواج ، والخطر لايتدارك الاَّ بافشائه السر لذوي الشأن فقط

فلذلك تبقي وسيلة واحدة للتحقيق فيما اذا عظمت الشبهة ، وهي ان يطلب من الفتى او الفتاة شهادة ولو شفهية من طبيبه تؤكد سلامتهُ من المرض . فان ابى تلبية هذا الطلب ، ولو بدعوى انه جارح لعزة نفسه ، وجب الحذر ، بل وجد المحذور من الزواج ، لان الامتناع عنه اضمن للسلامة

هذا جل ما يمكن ان نشير اليه من النصائح والارشادات في هذا الموضوع . ولكن بكل اسف نقول انه يندر جداً من يدققون في هذا الامر ، ولايتركون المسألة للقضاء والقدر ، مع ان القدر والقضاء ليس لهما من عمل في مجهولات يمكن تحقيقها . ولهذا يظلم الناس القضاء والقدر كثيراً بقولهم هذا حظه او حظها ، وبخته او بختها ، او قسمته او قسمتها ، حين يقع الزوجان في بلية بسبب اهمال هذا التحقيق وامكان الاطلاع على الحقائق

الفصل السابع

الزواج

مجمع الصواب

أ - لا ندحة من الزواج

١ً — « الزواج خير من التحرق »
٢ً — تهيب مطالب الزواج

ب - من لا يجوز ان يتزوج

١ً — القليل العدة
٢ً — ذو الداء العقام
٣ً — ذو الدعارة
٤ً — الشيخ المتصابي والارمل المسن

ج - متى ومن!

١ — سن الزواج
٢ً — مزايا الزواج الباكر
٣ً — الفرق بين الزوجين في السن
٤ً — التزاوج مع الاجانب
٥ً — اختلاف الطائفة في الزواج

د - تعدد الزوجات

١ً — ارادة الله تجحد التعدد
٢ً — التعدد لا يكثر النسل
٣ً — التعدد يثقل الحمل

هـ - انتخاب الالف

١ً — المعبة، الصنم
٢ً — جيدة الصحة
٣ً — المثقفة
٤ً — ربة المنزل
٥ً — الثقافة السقيمة .
٦ً — الامومة
٧ً — الشخصية
٨ً — طاقة الزوج

و - التعاقد

١ً — الخطبة
٢ً — الجهاز والتأثيث
٣ً — حفلة العرس
٤ً — عشرة الخطبة
٥ً — مدة الخطبة
٦ً — عقد الزواج

ا - لا ندحة من الزواج

رأيت فيما تقدم ان حياة الدعارة في عهد الشباب تسلبك نصيبك من التمتع بنعمة الجمال الروحاني التي هي مصدر السعادة والهناء في الحياة الزوجية التي يتمها اتحادك القوي مع نصفك الآخر . فلا تكن قصير النظر سخيف العقل شهواني النفس فتضيع مستقبل الحياة السعيدة الحقيقية لاجل لذة حيوانية وقتية تعقبها تعاسة لا نهاية لها الا بنهاية الحياة

١ً — « الزواج خير من التحرق »

كذا قال بولس الرسول ، أي أن الزواج الشرعي هو الواقي من شرور الدعارة قد تحدثك نفسك وتزين لك شهوتك ان هذه الغريزة التناسلية قوية لا تقاوم فلا بد لها من منافذ تتصرف فيها، وان التبتل امر مستحيل، وقمع الشهوة ضار بالجسد والعقل . ولذلك تتساهل مع نفسك وتجعل الدعارة منفذاً لهذه الغريزة محاذراً من بلاياها ما امكن الحذر . أو أن تقتصر على مساكنة الخليلة متقياً وبال الأمراض الفحشية ، وفي الوقت نفسه تكون متلافياً ضرر التحرق أذ تظن ان للتبتل ضرراً. فاعلم ياصاح ان التبتل أو قمع الشهوة لا يفضي الى ما ظننت من ضعف الجسد. ان كثيرين

من الشبان حافظوا على عفتهم كل مدة شبيبتهم ، فكانوا اصح جسماً وعقلاً من المنطوحين في الفاحشة . واذا استفتيت علوم الطب افتتك بأن التبتل اصون لسلامة الجسد والعقل من الفحش . ولماذا لاتسقم الفتيات المتبتلات وهنّ والفتيان سواء لقاء هذه الغريزة التي تشكو من سلطتها العنيفة . ولماذا لا تسقم الحيوانات الداجنة التي يصد ذووها غريزتها العنيفة ويمنعونها من المزاوجة . فلا تدع هذا الوهم يتسلط عليك. تستطيع أن تقمع شهوتك الى أن يتاح لك أن ترتبط بعهد الزواج المقدس ، فهو الطريق الوحيد الذي جعله الله منفذاً لقوة هذه الغريزة في البشر . فاياه اقصد وفيه اسلك . والله يبارِكك ويجعل حياتك سعيدة . اجل ان الله خلق هذه الغريزة وجعلها أعظم نعمة للانسان ليتمتع بها ويعمل نصيبه من العمل في استمرار السلالة . ولهذا « ذكراً وانثى خلقهم » وقال لهم « انموا واكثروا واملأوا الأرض » . وانما جعل الزواج الشرعي سنة لهذه النعمة . لذلك يجب عليك أن تجعل الزواج الشرعي غرضك الاسمى في الحياة ، وتسعى الى هذا الغرض ، وتستعد له بكل ما اوتيت من قوة

٢ — تهيب مطالب الزواج

يعتذر كثيرون من الشبان في احجامهم عن الزواج الشرعي بأن مطالب الحياة العائلية فوق الطاقة ، لا يستطيعونها . وهو عذرٌ اقبح من ذنب ، ولا ينتحله الا الشبان الجبناء الضعفاء . فهؤلاء لا يحق لهم أن يكونوا اعضاء في جسم المجتمع ، بل يجب أن ينبذوا من هذا الجسم في كل وجوه الحياة . يجب أن يحرموا حق التمتع بالحياة الاجتماعية على جميع وجوهها . يجب أن يحكم عليهم بالموت الادبي

لكي تكون عضواً حياً في المجتمع تتمتع بنعمهِ وسعادتهِ يجب أن تكون شجاعاً ، وتستعد وتتأهب لمقابلة نفقات الحياة الزوجية وتلبية مطالبها . وما يتيسر لك من الاستعدادات يكفي هذه المطالب ، اذا كنت « على قدر بساطك تمد رجليك » . ثم تكل على الله وأسلك هـذا السبيل بكل استقامة واخلاص واجتهاد . والله حسبك ونعم الوكيل .

ولا يخفى عليك ان كثيراً من مطالب الحياة الزوجية كماليات وزوائد يستغنى

عنها فابحث عن فتاة قنوع توافقك على اختصار المطالب . ولا بد ان تجد هذه الفتاة اذا كنت غير متطرف في الطموح الى الفتيات اللواتي اعلى منك مقاماً واكثر مطالب من طاقتك

ب - من لايجوز ان يتزوج

فيما نحن ننصح لكل فتى أن يسلك السبيل القويم الى المثل الأعلى ، اي الحياة الروحانية السعيدة التي لا توجد الا في الزواج الشرعي، يخطر في بالنا فريق من الشبان الذين ليسوا في أحوال تجيز لهم الزواج ، لأن زواجهم مظلمة للنصف الآخر . فحرام أن يظلموا الزوجة والعائلة بحجة أنهم يسلكون الطريق الشرعي للحياة الزوجية السعيدة

١ً — القليل العدة

فأولاً لا يجوز أن يقدم على الزواج الفتى الذي لم يأخذ له عدّته ، ولم يتأهب له التأهب الكافي بعد . بل يجب أن يصبر الى أن يستوفي معدات الزواج من معرفة وحرفة او مركز اقتصادي، ومن مال ونحو ذلك ، لكي يكون مستعداً لمقابلة كل مطلب من مطالب العائلة اللازمة ، بحسب مركزه ومنزلته في الهيئة الاجتماعية التي يتوخاها ، والا كان يرمي نفسه وزوجته وعائلته في هاوية الشقاء في المستقبل

فالتلميذ والمستخدم الذي لم يترق بعد الى أعلى ما يستطاع له من المناصب ، وذو الحرفة التي لم يبرع بها بعد ، ويصبح مطلوباً فيها لا طالباً ، وذو العمل الاستقلالي الذي لم يتوطد عمله بعد — كل هؤلاء يجب أن يتريثوا في أمر الزواج ، الى ان ينتهوا من دور الاستعداد ويبلغوا الى دور الرسوخ في المسترزق . وعليهم أن يجاهدوا بملء قوتهم الى أن يبلغوا الى هذه الدرجة . واما أن يكسلوا عن الجهاد والسعي الى هذا الغرض فذلك جبن منهم وضعف ، يحرمانهم حق الانتظام في سلك المجتمع .

٢ً — ذو الداء العقام

ثانياً الفتى الذي فيه علة موروثة او مكتسبة لا تبرأ يجب ان يمتنع عن الزواج لئلا

يورث علته لنسله كالصرع والسل والجذام ونحوها . وقد يكون هذا القابل ذا مال او مكاسب وافرة ، فيحسب غناه مبرراً له زواجه . فهذا شخص اناني محب لنفسه . ومع شدة انانيته لا بد ان يشعر بجريمته اذا قيض الله له ان يرى بنيه يقاسون من دائه العقام الذي اورثهم اياه ، وحينئذ يندم ولات ساعة مندم

واذا كان هو انانياً لايحسب حساباً للعواقب فالذين يزوّجونه بنتهم يكونون اشد منه اجراماً . واثمه في عنقهم

ربما كانت بعض العلل كالصرع والجذام كافية وحدها للتنفير من رجل اناني كهذا . لان اعراضها ظاهرة تنم على فظاعتها . وانما داء السل يخفى على الناس في اولى درجاته . ويخفى على المسلول ايضاً متى كان في درجته الثانية ، لان من اعراض هذا الداء الفظيع ان صاحبه يكون شديد الاعتقاد بانه صحيح الجسم سليم من كل مرض ، الاّ اذا كان الطبيب ينذره ويؤكد له انه مسلول . ولكن الطبيب لاينذره بصراحة ، وانما يوصيه ان يتجنب الزواج وكيت وكيت حرصاً على صحته . ومع ذلك يبقى هو معتقداً انه سليم ، ولا يلوح السل في باله . وان لاح نفاه منه الأمل في الحياة . فهذا قلما ينتظر منه ان يحجم عن الزواج . لذلك يجب على ذويه ان يمنعوه عن الزواج بكل وسيلة ممكنة ، وعلى الطبيب الذي يعرف داءه ان يحذر منه ذوي الفتاة التي يطلبها . ولا نظن ان هناك شريعة او قوة ادبية تحظر على الطبيب هذا التحذير

ان زواج المسلول وبال عليه وعلى عائلته من بعده ، لان الطبيب يقرر ان هذا المرض ينتقل بالوراثة حتماً ويرثه البنون . فمهما ورث البنون من مال ابيهم فلا يقيهم ماله من وبال هذا الداء الشنيع

٣ — ذو المرض الدعاري

ثالثاً ان المصاب بداء دعارة كالسيلان والزهري يستحق الاعدام اذا كان يقدم على زواج ، لانه يعلم ماذا تكون عاقبة زواجه على زوجته واولاده . فاقدامه على الزواج جريمة لا تغتفر

أما المصاب بالسيلان فيسوغ له أن يتزوج بعد ان يؤكد له الطبيب المعالج أنه سليم ، وأن جسمه خال من مكروب الداء بتاتاً

وأما المصاب بالزهري فلا يجوز له بتاتاً ان يتزوج لانه أخذ نصيبه من لذة الحياة البهمية فى دعارته . فلم يعد يحق له أن يتمتع بنعمة الحياةِ الزوجية لكيلا يشرك معه زوجته وبنيه بشقاء دائه

٤ — الشيخ المتصابي والارمل المسن

رابعاً العازب الذي تجاوز الكهولة ودخل في الشيخوخة لا يجوز له أن يتزوج مرأة لم تزل في دور الامل والرجاء ، قابلة للحمل والولادة ، لانه ياتي بالبنين ويتركهم قاصرين تحت رحمة الاقدار . وهب أنه ترك لهم شيئاً من الثروة فلا يضمن أن لا تبددها ايدي سبا قبل يبلغوا اشدهم وتسقط قيود الوصاية عنهم .قد يسوغ لمثل هذا ان يتزوج مرأة من سنه أو تقاربه سنا . ولكن هيهات ان يتفقا لانهما شبا وشابا على طباع وعادات متباينة على الغالب ، وصار يتعذر تطبيعهما بطبع واحد . لذلك يرجح ان تكون حياتهما الزوجية منكودة الحظ

ومثل الارملة المس الذي كبر اولاده .فان زواجه يكون هزأة ، ولا سيما اذا كان بنوه لا يزالون غير مستقلين في حياتهم ، ولا يستطيعون الاستقلال بعد . فزواجه يفرق بينه وبينهم ، ويقلب حبهم له الى كره ، واحترامهم له الى احتقار . ويعظم الخطب عليه اذا رزق اولاداً من زوجته الثانية به ، اذ يغلب ان تحتدم العداوة بين الطاقمين من الاولاد ، ولا سيما اذا كان الاب ذا ثروة مطموع فيها ؛ فتثور الغيرة في نفوس بنيه الاولين . وهكذا تنتهي حياته بنكد عائلي قد اشتراه بشهوة . ثم يمضي تاركا خصاما بين أولاده من زوجته . وقد لا ينتهي الخصام الا بانتهاء الثروة التي تركها بين تجاذب الجانبين

د - متى ومن

اما ان تتزوج زواجا شرعياً فامر لابد منه ، لما علمت من الاسباب الطبيعية والشرعية والحيوية . واما أن تصرف الفكر بتاتاً عن الزواج ، حيث لاعذر شرعي لك، فتكون مجرماً جرماً عظيماً لمخالفتك السنن الطبيعية والشرعية . واخف عقاب لهذه الجريمة حرمانك من عضوية المجتمع ، ونبذك كحلقة من سلسلة السلالة . فانت اذاً سقطٌ اجتماعي

اذاً خير البر عاجله

١ — سن الزواج

أبكر سن للزواج حول سن الخامسة والعشرين اذ يتم نضج البلوغ الجسدي والعقلي ويؤمن الضرر الصحي، الذي يخشى منه في حالة الزواج قبل النضج التام . وبالطبع نجب أيضاً ملاحظة الاعتبارات الاجتماعية الاخرى ، كاستيفاء الفتى الاستعدادات العرفانية والاسترزاقية اللازمة كما تقدم القول

وأقصى سن للزواج سن الخامسة والثلاثين . وبعدها يحسب الزواج متأخراً . مع ذلك يبقى حدوثه خيراً من عدمه الى سن الخمسين اذا وفرت فيه المناسبات بين الزوجين . وبعد ذلك يصبح في أكثر الاحوال عدمه خيراً من حدوثه

المدة بين الخامسة والعشرين والخامسة والثلاثين كافية للاستعدادات اللازمة للزواج ، اذا لم تكن أحوال الفتى العمومية عند سن الخامسة والعشرين غير صالحة. لذلك يجب أن يعكف الفتى في هذه المدة على السعي والعمل والجهاد ، لتوطيد مركزه وتوسيع دائرة مسترزقه ، مااستطاع الى ذلك سبيلاً . وليحاذر من ضياع هذه المدة في الطيش والبطالة والانغماس في الدعارة ، لئلا يحصد زوابع النكبات والمصائب من رياح الفساد والبطالة التي زرعتها شهواته

بعد سن الخامسة والثلاثين يصبح للزواج بعض المساوئ ، وأهمها أرجحية مفارقة الاب أولاده الى الابدية ، قبل أن يعدهم للحياة الاستقلالية ، وأحتمال أن

يتركهم بلا سند بعده فيشقون بحريرته . ومن مساوىء الزواج المتأخر احتمال تنافر الزوجين لتعذر تطبعهما بطباع متقاربة في دور الكهولة كما هو معلوم من قبيل الفلسفة الاخلاقية

ومع هذه المساوىء يغلب في معظم الاحوال أن تبقى محامد الزواج راجحة عليها حتى سن الخمسين . هـذا اذا لم يستنفد الرجل في عزوبته الطويلة كل قواه الحيوية والنفسية والاقتصادية ، ولم يضيع كل مزايا شخصيته . لذلك نظل ننصح للعازب أن يتزوج على يقين ان الزواج أفضل له من العزوبة وأضمن لسعادته وأوفى لحق المجتمع الانساني . وكلما عجل به كان أكثر حظاً في التمتع بالسعادة الزيجية المقدسة

وأما بعد الخمسين فلا نعود ننصح للعازب أن يقدم على زواج لان مساوئه حينئذ ترجح على محامده ، وشره يغلب على خيره ، وضره يفوق على نفعه .

وانما هناك أحوال استثنائية لاتقع على قاعدة معينة . ولاشخاصها أنفسهم حق الحكم فيها . فان ضلوا سبيل الصواب كان عقابهم عنيفاً

والقاعدة العامة بهذا الشأن هو أن يضع الفتى منذ بلوغه سن الرشد نصب عينيه غرض الزواج ، وأن يبذل جهده في الاستعداد لهذا الغرض و الاسراع اليه ماأمكن ، وأن يصرف هواه عن الطيش والبطالة لئلاً يعرقلا سبيله الى هذا الغرض الاسمى

٢ — مزايا الزواج الباكر

من أهم محاسن الزواج الباكر ومزاياه ان الزوجين وهما في أول الشباب ورعرعة الحب ونضارة القلب ولطافة النفس يسهل جداً تطبعهما بطابع أخلاقي واحد يضمن توافقهما وتئلافهما على الغالب . و بغير هذا الائتلاف لاترجى لهما حياة زوجية سعيدة . وتلي هذه المزية في الاهمية مزية الوقت الكافي لحضانة الاولاد وتربيتهم واعدادهم للحياة الاستقلالية قبل أن يفارقهم أبوهم . وتعظم سعادة الزوجين متى شاهدا أولادهما يترعرعون ويتقدمون في العمر وينجحون في سباق الحياة .

زد على ذلك ان الزواج الباكر يعصم الزوجين من آثام الدعارة ورذائلها وقبائحها و بلاياها .

ويغلب كثيراً أن يكون تعاون الزوجين العاقلين على الحياة علة نجاحهما الاقتصادي . فقد عرفنا كثيرين توفقوا في أعمالهم ونجحوا في أشغالهم وأثروا في عهد زواجهم لاقبله . ولكن لايجوز أن يتخذ الفتى هذا الشاهد قاعدةً لئلاً يجر غروره عليه وبالاً .

٣ — الفرق بين الزوجين في السن

بقي أمر من جهة السن لا يحسن اغفله . وهو ان الزوج يجب أن يكون أكبر سناً من الزوجة ، لان المرأة تستفيد شبابها قبل الرجل في مشاق الحمل والولادة والحضانة. فاذا كانت أحدث سناً منه لاينعكس الفرق بينهما في الكهولة والشيخوخة

لذلك يجب أن يكون الفرق بينهما في دور الزواج القانوني (بين ٢٥ و ٣٥) لاأقل من خمس سنين ولا أكثر من عشر سنين ، على اعتبار ان هذا الفرق يكثر بحسب تقدمهما في العمر، ويقل بالنسبة الى حداثتهما . وفي دور الزواج المتأخر لاتأس أن يبلغ الفرق الى ١٥ سنة . وما زاد عن هذا العدد يستقبح غالباً ، وقلما يكون محمود العاقبة. لما هو معلوم من تباين طباع الطرفين . ماذا تنتظر من زواج فتاة في العشرين برجل في الاربعين او الخامسة والاربعين او الخمسين مثلاً ؟ هل يمكن أن يتوافقا مشرباً وذوقاً ؟ وهل يمكن أن تضمن الامانة بينهما في عهد شيخوخة الزوج ؟ وهل يرجح امتناع الزوجة عن زواج ثان اذا ترملت ولها أولاد صغار يجب أن تقف نفسها لتربيتهم ؟ وباي حق يجوز أن تترك صبية في شرخ شبابها أرملاً موقوفة حياتها على العناية باولادها ولا معين لها ؟ كل هذه اعتبارات يجب أن يلاحظها طالب الزواج ، ويقدر عواقبها حق قدرها ، ويحسب حسابها، قبل الاقدام على الزواج، لئلاً يقع في شر عمله

أعظم من هذا التفاوت بين الزوجين أن تكون الزوجة أكبر سناً من الزوج قليلاً او كثيراً . فهناك يكون الخطر على طهارة العائلة شديداً كلما تقدما في العمر ، فاهيك عن خطر تنافرهما، لان هذا الفرق يتسع في الظاهر كلما تقدما في العمر . وقبل أن يتجاوز الزوج دور الكهولة حتى يتراءى له وللناس كأنّ زوجته أمهُ . والمرأة التي

تتزوج فتى أصغر منها سناً لاسخف عقلاً من هذا الزوج ، لان معظم العقاب يقع على رأسها كما لايخفي

٤ً — الزواج مع الاجانب

قد يلوح للقاريء ان يسأل هذا السؤال : هل يستحسن الزواج بالاجنبيات ؟ وقد لاح لنا هذا السؤال لان فريقاً من قراء هذا الكتاب في شرقنا العربي ، وبينهم كثير من الاجانب ، وفريقاً آخر في المهاجر العديدة المختلفة في اقاصي الغرب واقاصي الشرق . فهؤلاء واولئك يحتكون بالاجانب ، وكثيراً مايقدح الاحتكاك شرر الحب ، وكثيراً ماينتهي الحب بزواج . فهل يعد هذا الزواج حسناً وصالحاً؟

١ — من لوجهة البيولوجية يغلب ان يكون صالحاً اذا كان اكيداً ان تزاوج السلالات المتباعدة يقوي النسل . فاذا كان زواج القاريء او القارئة باجنبية او اجنبي اقوى منهما سلالةً في البدن والعقل والاخلاق فالزواج صالح ومستحب

٢ — من الوجهة الاجتماعية يغلب ان يكون هذا الزواج صالحاً محموداً اذا كان القاريء او القارئة يتزوجان باجنبية او اجنبي ارقى منهما مدنيةً وآداباً واخلاقاً وعقلية اجتماعية ، لان العائلة ترتفع درجة عن مستوي القاريء والقارئة اذا احسنا الاختيار . والاّ فلا مزية لهذا الزواج المتباين في السلالة سوى انه خضوع لسلطان الحب

٣ — من الوجهة الزوجية يغلب ان يكون هذا الزواج خطاء ، غير صالح ، وغير هنيء ، للتبـاين العظيم بين الطرفين في الاخلاق والعـادات والعقلية والاداب . والاختبار برهن على صحة القول السائر : « من تزوج من ملة غير ملته مات بعلة غير علته » اي انه يرجح تنافر الزوجين ونكدهما . ولذلك قلما نشجع هذا الزواج المتباين بين الطرفين

وربما كان هذا الزواج بين المهاجرين اقل خطاء منهُ بين الذين لم يغتربوا ، لان اولئك بمخالطتهم الاجانب مدة طويلة يكتسبون كثيراً من اخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم ويتفهمون طباعهم . فلا يتعذر كثيراً اتفاقهم معهم في الزواج ، خلافاً للذين لم يغتربوا

وما زالوا على عادات اجدادهم وتقاليدهم واخلاقهم ، فقلما ينتظر اندماجهم مع الاجانب والاجنبيات .

٥ — اختلاف الطائفية في الزواج

وتعدد الطوائف في الشرق حيث يكثر قراء هذا الكتاب ينبهنا الى سؤال آخر وهو : هل يجوز التزاوج بين الطوائف المختلفة ؟

الطوائف المسيحية فيما بينهما قلما تحظر الزواج المتباين طائفياً . الكثلكة أكثرها نفوراً من هذا التباين ، والبروتستنتية أكثرها تساهلاً

واما النصرانية على العموم بازاء غيرها فتمنع زواج النصرانية او النصراني بغير نصراني ونصرانية .

اليهودية كذلك تمنع الزواج من غير اهل الطائفة وانما كثير من اليهود يتساهلون فيتجاوزن الشريعة

وأما الاسلام فيحظر زواج المسلمة بغير مسلم ، ولكنه يجيز زواج المسلم بكتابية غير مسلمة . فلسلمون يأخذون ولا يعطون

ولما كانت التقاليد الدينية شديدة الرسوخ في الشرق وقد منعت الامتزاج بين الطوائف المختلفة ، فاستقلت كل طائفة بعادات وأخلاق وتقاليد خاصة — لذلك لا يعد هذا الزواج المتباين طائفياً حسناً أو صواباً : أولاً ، لما فيهِ من مخالفة الشرائع التي لم يزل احترامها أمراً محتوماً ومخالفتها تعد جريمة ومعرة ، والجمهور يستهجنها ويقبحها : وثانياً ، لما بين الفريقين من التباين في الاخلاق والتربية والعادات الأمر الذي يرجح الشك بالسعادة الزوجية : ثالثاً ، ان هذا الزواج يعرض العائلة في المستقبل لمشاكل معقدة جداً من حيث الاحوال الشخصية كالطلاق والارث وحقوق البنين وطائفيتهم . وقد يشتد النزاع فيكون علة تعاسة الزوجين والأولاد

لذلك لا نشجع قط على التزاوج المختلط الطائفية ، حتى للاشخاص الذين لا يهمهم أمر الدين

ومن يدري أن تزول هذه الفوارق الدينية في المستقبل ، ويتقرر الزواج المدني ويكثر الامتزاج بين الطوائف ، فتتلاشى الطائفية من الامة رويداً ، وتصبح الامة اخيراً كتلة واحدة مسبوكة بقالب واحد لا يمكن تفككها كما تتفكك الان لاقل عامل الى احزاب طائفية

دون هذا الامنية عقبات صعبة المرتقى جداً لانتصح لاحد أن يضحي بحياتهِ الاجتماعية فى سبيل ترقيتها . هذه الأمنية امنية امة لا امنية فرد ، فيجب أن تقدم عليها الامة برمتها كما يجري الآن فى تركيا .

ولذلك لا ننصح الآن لمسيحي أو مسلم أو يهودي رجلا وامرأة أن يتزوج من غير طائفته ، لأن هذا الزواج يندر ان يثبت ويكون سعيداً . ونحذر بالاكثر من زواج غير اليهود باليهوديات لأن الشواهد كثيرة على خطائهِ وسوء عواقبهِ .

د - تعدد الزوجات

ولما كان جانب من قراء هذا الكتاب من المسلمين وجب أن نلم بهذا الموضوع أيضاً استيفاء لجميع أطراف البحث

الشريعة الاسلامية لاتحرم تعدد الزوجات ولكنها لاتوجبه بل تقر الزواج بواحدة فقط . ولعلها أباحته لظروف وقتية ، ولولا تلك الظروف لحرمته بتاتا كما حرمته غيرها . لان تعدد الزوجات لاينطبق على الشريعة الطبيعية الصريحة التي سنها الخالق ، ولاتقبل تأويلاً ولا تفسيراً

١ — ارادة الله تجحد التعدد

بعد ماخلق الله آدم قال : ان هذا الانسان وحده فلنصنعن معيناً له . وأخذ من صدر آدم ضلعاً وصنع منه حواء . فكانت حواء زوجةً لآدم . فلو شاء الله اباحة تعدد الزوجات لاخذ ضلعين او ثلاثة او أربعة من صدر آدم وصنع منها أربع زوجات له . ولكنه جل وعلا كان يعلم انه اذا «خصم» منه ٤ أضلاع يضعف جداً ولا يستطيع احتمال ٤ نساء او ثلاث او اثنتين . فحكمته قضت أن يكون لكل آدم واحد

حواء واحدة . وهكذا : « ذكراً وأنثى خلقهم » ولم يخلقهم ذكراً وأنثتين او ثلاث اناث او أربعاً . ولذلك كان عدد الذكور مساوياً لعدد الاناث في كل مكان وزمان ، وان كان أحياناً تفاوتٌ فهو قليل جداً لايذكر . فلو كان الخالق يستحسن تعدّد الزوجات لجعل الاناث أضعاف الذكور ، والاّ فكيف يمكن أن يعدل بين عباده

على ان محبذي تعدد الزوجات يناضلون عنه بحجتين سخيفتين مضحكتين : الاولى ان نظام تعدد الزوجات يكثر النسل . والثانية ان الشخص الذي يستطيع أن يعول أكثر من زوجة يخفف العبء عمن لايستطيع

٢ — التعدد لايكثر النسل

أما الحجة الاولى فعلى سخافتها وتزهتها يعتصم بها كثيرون ممن هم يعدّون علينا في جملة أهل الحصافة والفطن . فكيف عميت بصائرهم عن هذه الترهة ؟ لاندري . ولعلّ الشهوة البهيمية أعمتها .

لايخفى ان عدد النسل وتكثيره يتوقف على عدد النساء وخصبهنّ . فاذا كانت كل مرأة تتزوج واحداً فكل مايمكن أن تنتجه النساء من المواليد ينتج ولا يمكن أن ينتج أكثر منهُ . واذا كان عدد الرجال مساوياً لعدد النساء فكل مرأة محتمل زواجها ، وهو الواقع عند الامم التي تحظر تعدد الزوجات . ولا داعي لتعدّد الزوجات على زوج واحد الاّ اذا كان الذكور أقل جدًّا من الاناث كما هي الحال في بعض الحيوانات الداجنة كالمعزى والغنم والبقر أذ يفرز ذووها جانباً من ذكورها للذبح ويتركون القليل منها لمزاوجة الاناث . ولكن الناس ليسوا بقراً ولاغناماً ولا معزى حتى يحرم جانب من ذكورهم حق الزواج ترضية لشهوة جانب آخر منهم ، اذ لايخفى انه اذا تزوج رجل ٤ نساء حرم ٣ رجال منهنّ كان في امكانهم أن يقوموا بالواجب عليهم نحو اكثار النسل مثله بل أكثر

ثم لا نعلم ان هناك وصية الهيئة او شريعة مدنية او سنة طبيعية تفوض فئة من الناس في تنظيم نظام يزيد النسل ، كأنّ النظام الذي وضعه الخالق غير كافٍ لزيادة النسل ، وكأنّ لاغنى عن ذكاء البشر لاختراع وسائل الزيادة

لو اتيح للبشر ان يتركوا السنة الطبيعية التي خلقها الخالق للتناسل على هواها لكان جدنا آدم قد رأي الكرة الارضية قد امتلأت من احفاده واحفاد احفاده قبل موته اذا صح انهُ عاش نحو الف سنة

فالسنة التي سنها الله لاكثار النسل لاتحتاج الى مساعدة الانسان لها بوسائله . ان كثرة النسل لاتتوقف على تعدد الزوجات ولا على كثرة الزواج البا كر وانما تتوقف على استعداد البيئة لمعيشة النسل . فحيث تكون البيئة خصبة وافرة الرزق يكون التناسل خصباً من طبعه . وحيث تكتظ منطقة الرزق بالناس يقل التناسل من طبعه . ولا حيلة للانسان في تعديل هذه السنة الطبيعية

فاذا كان مؤيدو نظام تعدد الزوجات « قلبهم على النسل » فليريحوا بالهم ، ان التناسل سنة الله لاسنة البشر ، ولن تجد لسنة الله تبديلا . فما هم مكلفون بزيادة النسل . فليلقوا هذه المسأولية عن عاتقهم . واذا كنتم ياهؤلاء غيورين على مصلحة الامة وراغبين فى نموها ووفرة عددها فاهتموا بتحسين المرافق الاقتصادية وتوفير اسباب الرزق للجمهور . وحينئذ تعمل سنة التناسل عملها من نفسها ويتدفق النسل من طبعه

٣ — التعدد يثقل الحمل

اما من حيث الحجة الثانية اي ان من يستطيع ان يعول غير زوجة واحدة ياخذ العبء عن عاتق من لا يستطيع . فهي حجة اسخف من الاولى ، اذ ليس من رجل لايستطيع ان يقوم بقسطهِ من واجب الزواج في طبقته ودرجته ، بل على كل رجل ان يقوم بهذا الواجب . والواقع الشاهد يؤيد قولنا هذا . فما رأينا غنياً يتزوج فقيرتين او ثلاثاً او اربعاً حتى يصح القول انه يخفف اعباءهنَّ عن الرجال الفقراء . ناهيك عن ان معظم الذين يتزوجون غير واحدة هم من الطبقة السافلة المنحطة الفقيرة التي لايستطيع الرجل منها ان يعول واحدة، فيسوقها الى الشغل في الحقل وغيره لكي تعينه على تحصيل الرزق

ثم ان نسل هذه الطبقة اقل من نسل الطبقات العليا لأن سوء المعيشة يذهب بحياة الاطفال قبل البلوغ . فترى في هذه الطبقة نبعاً غزيراً من المواليد ترافقهُ سلسلة

طويلة عريضة من الوفيات . اذاً تعدُّد الزوجات لم يكفل تكاثر النسل ، بل بالعكس افضى الى اقلاله

اجل لا يكثر تعدد الزوجات الا في الطبقات السافلة التي لا تستطيع أن تعول العائلة ويقل جداً في الطبقة الوسطى . وينتفي بتاتاً في الطبقات العليا النبيلة . فالواقع اذاً مناقض للحجة الثانية على خط مستقيم .

أن افاضل الناس وكرامهم ونبلاءهم يستبيحون تعدد الزوجات ، ويستنكفون أن تكون الحياة بهمية بوجود زوجتين أو اكثر في عصمة رجل واحد يتردد بينهن ، وهو يعلم ما في صدورهنَّ من الحقد والغيرة ، وما ينشأ بين أولاده منهنَّ من التنافر . لذلك ترى كرام الناس يفهمون جيداً من قوله تعالى في القرآن الشريف « وإن خفتم أن تعدلوا فواحدة » أنه يعني بالزواج الحياة الروحانية لا الحياة الحيوانية . اذ أنه لا يمكن أن يُعدَل بين الضرائر ، ولا يمكن أن تكون الحياة معهن روحانية ، ولهذا نزلت الآية

لو بحثت عن البيئة البشرية التي يتضخم فيها الشقاء العائلي ، وترتفع اصوات الخصام والشجار وتسفل الاخلاق ، وتنتفي الآداب وتتوحش القلوب وتكثر الجرائم وتتوافر الدسائس بين البنين والوالدين وبين الاخوة ، لوجدتها حيث يكثر تعدد الزوجات

هـ - انتخاب الالف

بعد الذي تبسطنا به في الفصول السابقة صار واضحاً في يقين كل من الفتى والفتاة كيف يجب أن يكون الالف الموافق له ولها ، وقلما يضل كلٌّ منهما سبيل الهدى في انتخاب الرفيق والرفيقة . ولعلَّ القارىء (أو القارئة) لم يسدّد فكره في اثناء مطالعة الفصول الماضية الى موضوع الانتخاب ولم تنطبع في مخيلته صورة واضحة له ، وربما فاتنا التبسط الكافي في بعض نقط هذا الموضوع ، لذلك نفرد له هذه النبذة الخاصة ، ونلم بأهم نقطه الاساسية توفية له حقه .

٦ — لعبة الصنم

اذا كنت تريد في الزواج لعبة تتسلى بها ، أو تمثالاً تتعجب من بداعة فنهِ ، أو ملاذاً لنعرتك الشهوانية ، أو أمةً تستخدمها في بيتك . فثق ان السرور الذي تتوقعه من هذا الزواج لا يدوم بضعة أسابيع أو بضعة اشهر ، وبعد ذلك يصبح زواجك جحيماً

الزوجة المستوفية صفات الزوجية هي التي يصح أن تكون حبيبة وعشيرة واماً وربة منزل في وقت واحد . ولا يدهشك أن اقول لك ان نصف الفتيات أو اكثر من نصفهن لسن كذلك ، وان معظم الفتيان يجهلون ذلك . ومعظم أهل الفتيات أيضاً لا يعلمون اهمية هذه الصفات وكيف تمكن تحلية بناتهم بها . لذلك تحدث الزيجات بين الفتيان والفتيات على أساس متقلقل فينقلق بهِ هناء الزواج وسعادته

كم من زوجين لا يستطيعان أن يتعاشرا ؟ فالزوج يقصد الى اقرانهِ لتسلية نفسهِ بعشرتهم ، والزوجة تكثر من مزاورة الجارات والصديقات ، لأن زوجها لا يأتي الى البيت الاَّ للأكل والمبيت . وما منعهما عن الانفصال الا ارتباطهما بالبنين أو خوف الفضيحة

وكم من ام لا تعرف وسيلة لاسكات ولدها عن البكاء الا أن تلبي له كل طلب ولو كان طلبه قمر السماء . وتجهل ان الوسيلة لاسكاته بسيطة ، وهي أن لا تلبي له طلباً البتة حتى يتيقن أن ما يطلبه لن يناله ، فلا يعود يتطلب .

وكم من زوجة لا تدري دخائل بيتها كما تدريها خادمتها . ولا سلطة لها في بيتها تعادل سلطة خادمتها

وكم أم يموت ابنها بين يديها وهي لا تدري ان غباوتها كانت سبب موتهِ

فاذا كان كل من الفتى والفتاة يفهمان وظيفة كل منهما في الحياة الزوجية كما تبسطنا بها في تضاعيف الفصول السابقة حتى انجلت جيداً لكل ذي بصيرة نيرة وكان كلٌّ منهما يتهيأ لوظيفته — سهل جداً على كل منهما اختيار إلفه

٢ — جيدة الصحة

فبحسب مركز الزوجة ووظيفتها في الحياة الزوجية يجب أن تكون الفتاة التي تختارها زوجة لك جيدة الصحة تماماً : أولاً لكي تستطيع القيام بوظيفتها من غير أن تنوء بها ، او أن تقضي حياتها الزوجية عليلة ويكون بيتها مستشفى وزوجها ممرضاً . وثانياً لكيلا تورث ضعفها لاولادها

أما العلل التي يجب أن تحاذر منها فاهمها : أولاً أمراض الدعارة الخبيثة التي تقدم الكلام عنها غير مرة . فقد تكون الفتاة بالرغم من تصونها وعفافها وارثة هذه الامراض . فيجب التحقيق في أسرتها

ثانياً الامراض الناتجة عن ادمان المسكرات والمخدرات . فمهما كانت الفتاة متعففة ومجافية الاشربة الروحية ، فان كان أحد أبويها او أجدادها مدمناً ، فلا بد أن تظهر فيها آثار الامراض الناتجة عن هذه الموبقات

ثالثاً الفتاة العصبية المزاج ، يغلب أن تكون خطرة على الحياة الزوجية . فهي عرضة للامراض العصبية المختلفة كالهستيريا والنوراستينيا والجنون أحياناً ، ولا سيما اذا كان كثيرون في الاسرة غيرها عصبيي المزاج . وحينئذ يجب أن تتحقق عن الحالة العقلية العمومية في أسرتها

ان المرأة العصبية المزاج عشرتها صعبة جدا على الزوج ، لانها شديدة الحساسة متقلقلة التعقل ، تضعف عندها قوة الحكم في الامور ، وكثيراً ماتضل عن جادة الحق . يكثر عندها النزق لاضعف الاسباب . واذا ضغطت على مزاجها عرضتها للنوب الهستيرية .

واذا قل التلاؤم بين الزوجين في أدق الصلات الزوجية اشتد الهياج العصبي عند الزوجة العصبية . فلذلك يجب أن تدقق جداً في درس حال الفتاة العصبية المزاج قبل ان تقدم على الزواج

قد تعتذر لنفسك أنك تحبها ، ولاجل حبها تضحي براحتك لاجلها ، وتحتمل عصبيتها . فلو كان الظلم في هذا الزواج يقع عليك وحدك لقلنا لك انك حرٌّ بنفسك .

ولـكن الظلم يقع عليها أيضاً لان الحياة الزوجية تضاعف اضطراب عصبيتها وتضاعف عذابها . فاذا كنت ترحمها لانك تحبها فترحمها بان لاتتزوجها

قد تأسف لحالها لان الذنب في هذا المزاج ليس ذنبها ، بل هو ذنب أهلها الذين لم يتداركوا في أنفسهم وفيها أسباب عصبية مزاجها . نعم انها بريئة والذنب ذنب أهلها ، فلماذا تتحمل أنت عقوبة هذا الذنب

ولو اقتصرت العقوبة عليك وعلى زوجتك العصبية وحدكما لقلنا انكما حرّان في تعرضكما لهذه العقوبة . ولـكن عقاب هذا الذنب يتصل الى أولادكما وهم أبرياء . فاتقيا الله فيهم

٣ — المثقفة

حسنٌ أن تكون الزوجة جميلة الخَلق لان الجمال هو العنصر الجوهري في المرأة . وانما لايعزب عن بالك ان الجمال الجسماني ليس الاّ غلافاً للجمال الروحاني . ومتى اتحد الزوجان يصبح هذا الغلاف خارجاً . فاذا لم تجد ان ضمن هذا الغلاف جمالاً أعظم من جماله عدت خائباً فشلاً ، لانك تجد نفسك أمام صنم بلا روح .

أهم القوى العاملة في صوغ الجمال الروحاني المعرفة والعلم . وما الاخلاق الدمثة التي هي صورة الجمال الروحاني الاّ بنت الثقافة . ولذلك حاذر جداً من الزواج بفتاة غبية وقليلة الذكاء ، مهما كانت جميلة او غنية او وجيهة ، لان هذه المزايا تسقط حين ترى في العشرة المنزلية انك لدى تمثال بلا روح ولا عقل . ان الجهل معدن الغرور والعناد والجهل والضلال عن جادة الصواب . فلا تستطيع أن تتفاهم مع جاهلة وهي تظن انها لـكونها زوجة لك يجب أن تكون ذات رأي وكلمة ونفوذ عليك . وما هي أهلة لهذه المساواة

يجب أن تساويك زوجتك معرفة وفهماً وذكاء ، او تقاربك في المعرفة العمومية على الاقل

الفتاة المتعلمة كثيراً ، اي الحاصلة على درجات عليا في العلوم كدرجة البكلوريا اودرجة دكتور في الفلسفة او في الطب الخ ، قلما تصلح زوجة لانها تخطت وظيفتها

الزوجية . لاترتاح للحياة الزوجية لانها تجد نفسها تحت مسؤوليات لم تتأهب لها ،وماهي ضمن دائرة أمالها وأهوائها ومطامعها . لذلك لاتستطيع القيام بوظيفة ربة المنزل الا بصعوبة وتململ وتضجر . وان ضربت صفحاً عن هذه الوظيفة وتركتها لزوجها او لخدمها اختل نظام البيت وساءت حاله وقلت ملاذ الحياة البيتية .

واذا كان الزوج أقل علماً منها فيشعر بالتباين الذي بينهما و يقترن شعوره بشيء من الغيرة والانفة . ولا سيما اذا لم يستطيعا أن يتعاشرا بسبب هذا التباين

و يكثر على وافرة العلم الغرور والاعجاب بالنفس لقلة أترابها ممن هن على حظ من العلم كحظها . وقد تصاب بداء الخيلاء والكبرياء ، فيستحيل حينئذ على اي زوج أن يعاشرها

قد تصلح كثيرة العلم وعاليته زوجة لذي علم عالٍ كالطبيب وغيره ، اللهم اذا كان داء الغرور لم يصبها وقد سلمت من آفة الكبرياء

٤ — ربة المنزل

مهما كانت منزلة المرأة في الجاه والغنى والعلم ، ومهما كانت طبقتها وطبقة زوجها عالية ووجيهة ومتنفذة ، فاذا لم تحسن ارادة مملكتها البيتية فلا تصلح زوجة ، ولا تكون زوجة بالمعنى العائلي الذي أصبحتَ فاهمهُ جيداً من تضاعيف الفصول السابقة ، بل تكون رفيقة ، و يغلب أن تكون رفيقة وقتية .

قد علمت فيما سبق ان وظيفة المرأة في الزواج ابداع الجمال وصوغه واسداؤه. والحياة المنزلية كلها قائمة على التمتع بهذا الجمال . فاذا تنحت المرأة عن ادارة المنزل وتركتها بين أيدي خدمها وخادماتها ، انتفى الجمال من البيت وكانت الحياة العائلية فقيرة به .

قد تقول اني وفر الغنى عريض الجاه واسع النفوذ ، فلا أريد أن تكون زوجتي خادمة . أستطيع أن أستخدم في قصري عشرات من الخادمين والخادمات .

أجل انك تستطيع أن تستأجر بمالك خدّاما وخادمات حتى من أهل الفنون .

ولـكنهم لايستطيعون أن يوجدوا بهجة الجمال الساطعة في بيتك ، اذ ليس عندهم صور للجمال الذي يلذ لك

قد يستطيعون أن يصنعوا او يصوغوا ، ولـكنهم لايستطيعون ان يبتدعوا . لان قوة الابتداع والابداع لبهجة البيت محصورة في نصفك الآخر ، ولايمكن أن ينوب عنه أحد بها

قد تعجبك جميع أصناف الزينة وأشكال الترتيب وكل حركة او حادثة فنية بقطع النظر عن منشيء الفـكرة في هذه الاصناف والاشكال والفنون ، ولـكن اذا كنت تعلم ان مظاهر الجمال هذه انما هي بنات أفكار زوجتك وقد صيغت بقالب من ذوق نصفك الثاني فـكم يكون ابتهاجك عظيماً . واذا كان نصفك الجميل يختصك بتحف ذوقه الفنيّ وينفحك كل حين بعد آخر بنفحة من نماذج جمال روحه فـكم تكون لذتك عظيمة .

ان الخدم يعملون ،ولـكن ربة المنزل ترسم لهم الخطة ، وتهندس الشكل ،وتبث في حاصل عملها روح ذوقها الجميل .فمهما كانت الزوجة على جاه وغنى ونفوذ ، ومهما كان عندها من الخدم والحشم فلا غنى لها عن ادارة منزلها بنفسها . والا كانت كل بهجة في البيت مصطنعة عديمة التأثير في النفس

واذا كانت المرأة تعتزل بتاتاً الادارة المنزلية وتتركها للخدم والحشم ، فبماذا تشغل وقتها وهو غير قصير!

نعرف ونرى ان معظم نساء الاغنياء الباذخات يقضين أوقاتهنّ في اللهو والبطالة الى أن يتمادين في العادات السيئة الضارّة كالقمار والسكر والرقص والهرج والمرح ، ولا يندر أن يتدهورن في الفساد . وما كان نتيجة هذا الاسلوب من الحياة ولا مرة الا تدميراً للحياة الزوجية .

وما كانت الزوجة السالـكة هذا المسلك الارفيقة وقتية لزوجها . ولا تلبث أن تنفصل عنه بطلاق او هجر ، وان تعذر الامران بقيـا متساكنين تساكناً شرعياً ولـكنهما يبقيان متنائيين زواجياً ، وكلٌّ شارد في جهة . اذاً ليسا زوجين ولا هما داخلان تحت أحكام بحثنا هذا

فلكي يكون الزواج اتحاداً للنصفين سعيداً يجب أن تتولى الزوجة وظيفتها، وهي ادارة العائلة . ولكي تحسن هذا التولي يجب أن تتدرّب منذ الحداثة على جميع الفنون المنزلية بالتفصيل والتطويل مهما تراءت بسيطة او حقيرة . لانها لا تعدُّ مبدعة للجمال ما لم تتلقن أحقر فنون التدبير المنزلي ، كما ان الطبيب لايستطيع أن يعبر طبيباً مالم يتعلم الحساب البسيط والجغرافية والخ من العلوم البسيطة التي لاترى لها شأناً في الطب

٥ً — الثقافة السقيمة

بكل اسف اننا مضطرون ان ننوه في هذا الكتاب بضرب من الثقافة شائع في الشرق ، ومقتبس من الثقافة اللاتينية بما فيها من عيوب ، فلا يصلح قط لتخريج الفتيات ليكنّ زوجات صالحات للحياة الزوجية على القواعد التي تبسطنا فيها . وكثير من الامراض الاجتماعية العمومية والعائلية راجع الى عيوب هذه الثقافة .

ان هذه الثقافة السقيمة تقتصر على قشور المعارف الفنية والمبادىء النظرية ، فلا يمكن ان تخرج بها الفتاة ذات شخصية فنية ، ولا مزوَّدة بالعدة اللازمة للحياة الزوجية .

وإنّ ماهو ادعى للاسف ان مثل هذه الثقافة من نصيب فريق من الفتيان ايضاً ، وعيوبها تظهر في حياتهم الاجتماعية بالاجمال . فاذا كان الزوجان مشتركين بهذه الثقافة سهل اتفاقهما . وانما تاسيسهما للعائلة من قبيل التربية الاولية لايكون وطيداً . فاذا تثقف اولادهما كثقافتهما فانظر ماذا تكون النتيجة

ان معظم ضعف الاخلاق في شرقنا مسببٌ عن هذا الضرب من الثقافة . والمؤسف جداً ان ابناء هذه الثقافة لايعتقدون هكذا ؛ على ان بعضهم اصبحوا يشعرون به بالمقارنة مع الثقافات الاخرى

٦ً — الامومة

اذا لم تصلح الزوجة لان تكون اماً كان الزواج حلقة ركيكة جداً في سلسلة

السلالة . وقد تتكسر هذه الحلقة ، وتنتفي من السلسلة . الزوجة التي لاتكون اماً او صالحة للامومة لاتسلم قط من الفواجع بينها . فقد ترزأ ببعضهم او تفجع بمصير بعض الاحياء منهم. وفي اي حال لابد ان يتنغّص الزوجان في حياتهما بسبب احوال اولادهما السيئة من وجوه مختلفة .

الام الصالحة للحياة العائلية تستلزم ان تكون اولاً سليمة الجسم لكي تورث اولادها بنية سليمة ، ولكي تستطيع ان تقوم باعباء الحضانة والتربية . وقد تقدمت الاشارة الى هذا الامر

ثانياً ان تتولى الام بنفسها ارضاع ولدها ، مهما كانت غنية ووجيهة وتستطيع ان تقتني من المراضع . ان ملكة اسبانيا حفيدة الملكة فكتوريا الانكليزية ابت الاان ترضع اولادها من ثدييها ، لانها فهمت قيمة ارضاع الام ومزيته على ارضاع المرضع . ان الام التي تروغ من واجب الارضاع لأي سبب (الا السبب الصحي الموجب) لاتحب ولدها . اذاً ليست امه الروحانية ، حتى ولا الحيوانية ، لان انثى الحيوان تقف حياتها على حضانة طفلها . اذاً هي ام صنمية وثنية . والام التي فيها علل تحول دون ارضاع ولدها لاتصلح زوجة فكان يجب ان لا تكون اماً ولا زوجة .

ثالثاً ، ان تتولى الام بنفسها حضانة ولدها وتربيته جسدياً وعقلياً الى ان تسلمه المدرسة ، وبعد ذلك ايضاً . والام التي تترك ولدها للخدم والخادمات لابد ان تخسر عطفه وقلبه . ثم تسلبه حقه من عطفها وقلبها . وزد على ذلك ان الولد الذي يتولاه الخدم والخادمات صغيراً يشب سيّء التربية . ولا يندر ان تكون تربيته السيئة سبباً في سوء مصيره او في اعتلاله او في اجرامه ، وانحطاط احواله الاقتصادية والاجتماعية

يجب على المرأة ان تكون اماً ضمني قدر كونها زوجةً ، لان الغاية القصوى من الزواج تهيئة الهيكل الجديد لاله الجمال الذي تمتع به الزوجان في حياتهما الزوجية ، اي تهيئة هذا الهيكل في الولد لكي يكون جميلاً نفساً وجسداً ومتيناً وقوياً

وبكل اسف نقول ان الثقافة الشرقية مقصرة جداً في تخريج الفتيات ليكنّ زوجات . وكثير من الوالدين يصابون بنغصات وفواجع باولادهم بسبب هذا النقص في التثقيف .

في هذه الاثناء حكم على بعض الشبان بالموت وقتل بعض آخرون . والسبب في مصيرهم هـذا واضح وهو سوء تربية والديهم لهم . فكأن والديهم قتلوهم او حكموا عليهم بالموت منذ ولدوا

٧ — الشخصية

مع صلاحية الفتاة لتكون حبيبة وعشيرة وذكية وربة منزل واما يجب أيضاً أن تكون ذات شخصية متينة . تتالف الشخصية المتينة من دماثة الاخلاق والفضائل وحسن السمعة

اذا استوفت الفتاة جميع الصفات والمزايا الآنف شرحها ولم تكن دمثة الخلق بل فظة شرسة شكسة حروداً عنيدة فلا يمكن الانتفاع بتلك المزايا . فكأنها ليست صالحة للزوجية

كذلك اذا كانت الفتاة سيئة السلوك ومشتبها بسيرتها وسريرتها فلا يؤمن لسلوكها في عهد زوجيتها . لذلك يحسن بك أن تتحقق سيرة العائلة برمتها وسلوك الفتاة واخوتها وأخواتها . فاذا بدت لك شبهة فخيرٌ الا تقدم على زواجها ، الا اذا ثبت لك ما ينفي الشبهات بتاتاً يجب أن تطلع جيداً على حقيقة الوسط الذي ربيت فيه وأن تعلق عليه اهمية عظمى ، لأنها مهما ظهرت لك فتاة طيبة فلا بد أن تكون مطبوعة بطابع ذلك الوسط . وقد لا يظهر هذا المطبوع الا بعد حين .

ان لشخصية الزوجة شأناً عظيماً في الحياة الزوجية وفي حياة الزوج الاجتماعية . يمكنك ان تقول ان شخصية الرجل الاجتماعية انما هي من صنعة زوجتهِ . فهي تصوغ شخصيتهِ . وهو بمحاسنها ومحامدها وفضائلها وجمالها يظهر للناس . إن الرجل هو المرآة التي تنعكس عنها للناس شخصية زوجتهِ

يمكنك أن تقول ان معظم النجاح الذي احرزه الناجحون في أعمالهم واشغالهم سببهُ قوة شخصية زوجاتهم . كما ان كثيرين من الرجال خابوا وفشلوا في جهاد الحياة لسوء شخصية نسائهم . اجل ليس للزوجة شأن مباشر في أعمال الرجل الاقتصادية .

ولـكن لها كل الشان المباشر في تقوية عقليتهِ واخلاقه وأدبيته وذوقهِ وتحسين مزاجهِ الى غير ذلك من المزايا التي لا بد منها للنجاح في الأعمال

لذلك يجب أن تدقق في اختيار الزوجة . ولـكن لا تكن متطرفاً في الدرس والتحقيق لئلا تضل الطريق الى السراط المستقيم . ولا تتفلسف في التفسير والتعليل لأن آفة الهداية التأويل ومصيره الى التضليل

٨ — طاقة الزوج

وهنا لا بد أن تقول الفتاة القارئة هذا الفصل: حسناً ! اهذه هي الشروط الرئيسية للفتاة الصالحة للزوجية . فما هي الشروط الرئيسية للفتى الصالح لها أيضاً .

وهو سؤال حق. ولـكن الجواب عليه قد مرَّ بامتهاب في غضون فصولنا الماضية، واصبح العود الى هـذا الموضوع تكراراً مملاً . وانما نشير الى امر جوهري يجب على الفتاة أن تعلق عليه اهمية عظمى لأن هناء الزوجية يتوقف عليه، واغفاله او غض النظر عنه يفضي الى شقاء محتوم . وهو : يجب أن يكون طالبك على استعداد تام للقيام بالمعيشة العائلية بحسب ما تقتضيه درجته ،وأن يحصل رزق العائلة مهما كبرت ونمت براحة تامة بلا ارتباك . والا كان الزواج شقاء

وأما قول الفتاة التي تحب الطالب وتغضي عن هذه الحقيقة : « اني أحبه وأقنع معه بالخبز والزيتون » فما هو الا كلام الليل يمحوه النهار ، فمهما كانت تحبه فمتى دخل الفقر من الباب خرج الحب من الشباك . ان معظم شقاء العائلات ناتج عن الفقر . خير لكِ ان تبقي عزباء من أن ترمي بنفسك في هاوية الفقر حيث لاتستطيعين الصعود . انها لهاوية مظلمة ملأى من صنوف الشقاء والعذاب .فحاذري منها

لهذا ننصح للفتيات (ولاهل الفتيات) المتوسطات الحال اللواتي يخشين من عدم التوفق الى زواج حسن أن يتعلمن صناعة نسائية تكون سنداً لهن اذا عدم السند

ولا نظن بعد ماتبسطنا به في الفصول السابقة أن تبقى الفتاة في حاجة للارشاد الى صفات الزوج الاخرى اللازمة للزوجية . وانما اختصصنا مسألة طاقته الاقتصادية بالذكر لاننا رأينا كثيراً من الفتيات وأهلهن لايحسبون حسابها ولايصدقون انهم زوجوا

بناتهم ولو رموهنّ رمياً، بحجة « انّ الزواج ستر » . وهي حجة أردأ من جرم . وكذلك الفتاة لاتصدق انها تزوجت لكي تهرب من اضطهاد زوجات اخوتها، او من منة أقربائها، اذا فقدت أبويها. فتظن ان جحيم الفقر في الزواج أسهل من جحيم العزوبة على ذلك النحو. ولعلّ لبعضهنّ عذراً. ولهذا نكرر النصح بان تحترف الفتاة التي تخاف الفشل في الزواج حرفة تقيها من هذين الشرين

و - التعاقد

٢ً — الخطبة

الشائع عندعامة الناس ان الخطبة يتعارف فيها الخطيبان ان كانا لم يتعارفا بعد، ويدرس كل منهما أحوال الآخر وأخلاقه وسائر عناصر شخصيته قبل الزواج . وبناءً على هذا الاعتقاد يسوّغون فسخ الخطبة اذا نفر أحد الخطيبين لاي سبب .

في هذا الظن خطاء جسيم يفضي بعض الاحيان الى مشاكل واضرار .

ليست الخطبة مهلة خاصة للتعارف ولا للدرس، بل هي تعاقد أولى تمهيدي لتعاقد الزواج ،وفيها مسؤليات أدبية ومدنية أحياناً وان كان يسوغ فسخها . والغرض الاول منها شروع كل من الطرفين في الاستعداد للزواج بناء على وعد الآخر وعهده. الفتى يهتم باعداد منزله وتجهيزه ليكون صالحاً للحياة العائلية . والفتاة تهتم بجهازها لتكون في ظاهرها رمزاً لجمال روحانيتها .

وفي أثناء ذلك يتقارب الخطيبان في العشرة ويشرعان في التفاهم ووضع خطط المستقبل ، حسب ماينا سب حالهما . من ذلك الحين تبتدىء شركتهما . فبؤسانها في دور الخطبة ويشيدانها بعد الزواج . في عهد الخطبة يتهيأ العروسان بتهذيب شخصيتهما على قاعدة التلاؤم لكي يكون الاتحاد محكماً بعد الزواج

فمن جراء هذا التقارب وذاك التعاقد التمهيدي تنشأ المسؤولية ، حتى اذا رام أحد الطرفين فسخ الخطبة لزمه التعويض. والخطيب أكثر مسؤولية .ومسؤوليته مزدوجة، او مثلثة . فاولاً اذا كان أهل الخطيبة قد جهزوها من مالهم ، وهو الغالب ، كان على

الخطيب ، اذا فسخ الخطبة ان يدفع تعويضاً يساوي الخسران من جهاز لم يبق لازماً. ويغلب أن لا يبقى صالحاً للاستعمال، لان ملابس الفتاة غير ملابس الزوجة ، ولان الازياء تتغير. وبعد مدة لا تعود موافقة

وثانياً لان اشتهار فسخ الخطبة من قبل الخطيب ينشيء شبهة في شخصية الخطيبة لايندر أن يثلم سمعتها الى حد أن يضع عقبة في سبيل زواجها بشخص آخر ، وان كانت الشبهة غير صحيحة . ولهذا يلزم الخطيب التعويض

وثالثاً ان هذه الخطبة يمكن أن تكون قد ضيعت فرصة أخرى كانت سانحة لزواج الفتاة بشخص آخر ، فمنعته ولم يعد ممكناً استرداده ، ولهذا أيضاً يلزم الخطيب الفاسخ الخطبة التعويض

والمحاكم في الشرق والغرب تحكم بهذه التعويضات . والمحاكم الاميركية في الولايات المتحدة تحكم بالتعويض لمجرد الوعد بالزواج

أما الخطيب فقلما يستحق تعويضاً اذا كان الفسخ من قبل الخطيبة ، لان خسارته بسيطة او هو غير خاسر لا اقتصادياً ولا أدبياً

فمن ذلك ترى ان الخطبة ليست لعبةً كما يظنها الكثيرون ويقدمون عليها بلا حساب للعواقب ، بل هي ذات مسؤلية خطيرة الشان ، ولاسيما من الوجهة الادبية .

ليست الخطبة للتعارف لأن التعارف يجب أن يكون قد حدث منذ زمان طويل . والزواج الذي يتم اليوم بعد تعارف أمس يكون رملي الاساس غالباً ويغلب أن ينهار . ولذلك اشرنا غير مرة في ما سبق الى الخطاء الذي يرتكبه الشاب في البحث عن عروس بين عائلات غريبة عنه وبعيدة جداً عن بيئته ، ولا يعرف عنها شيئاً ، وليس بينه وبينها تشابه في العادات والاخلاق ونوع التربية . لأنه قلما يجد تلاؤماً بينه وبين الفتاة الغريبة ، وقلما يحتمل أن تهذب عشرة الخطبة شخصيتهما لتمكين التلاؤم

وكذلك ليست الخطبة مهلة للدرس، لأنه مفروض ان الفريقين يعرفان احدهما الآخر جيداً ، وما صح اختيارهما الا لانهما قد درسا أحدهما الآخر كثيراً من قبل، ولا بأس في أن مدة الخطبة تتم هذا الدرس ، وفي اثنائها يتم تهذيب الشخصيتين تمهيداً للتلاؤم اللازم قبل الاتحاد

وحاصل القول انه لايجوز الاقدام على عهد الخطبة الاَّ بعد ان يكون الاثنان قد تثبتا من انهما النصفان المكملان احدهما للآخر . فالخطبة اذاً هي شروع في عقد الزواج. ولهذا نحذر من سوء فهم المراد منها تفادياً لما يمكن ان ينجم من المشاكل والاضرار بسبب فسخها

٢ — الجهاز والتأثيث

من الاغلاط التي يرتكبها الشرقيون انهم يسرفون في الاستعداد للزواج الى ما فوق الطاقة فيبذخون في الجهاز بذخاً قد لايحتمله اهل العروس . وان احتملوه أو لم يحتملوه فقد لايكون لازماً ، ومعظمه يذهب سدى ، ولا سيما بسبب تغيير ازياء السيدات كل فصل . فاذا كان للعروس عدة اثواب فقد لاتستعمل بعضها الا مرة او مرتين وثم تهملها ولا سيما اذا تعذر تغيير زيها . ويغلب ان تكون ثمينة فيذهب الثمن ضياعاً . ولذلك يجب الاعتدال جداً دون الطاقة في تهيئة الجهاز تفادياً لضياع المال سدى، ولمكابدة اهل الفتاة عبئاً فوق طاقتهم . وان كان ذلك في طاقتهم فخير ان يمنحوا بنتهم بدل الزائد من الجهاز نقداً او حلياً تستعين بها فيما لو مستها ضائقة

كذلك كثيراً مايسرف العريس في تأثيث منزله الى ما فوق طاقته . ويمكن ان ينفق كل ما في يده غير حاسب حساب اليوم الاسود . وربما استدان لكي يؤثث منزلاً يباهي به اقرانه ، ويفاخر به امام اهل عروسه . مع ان القول السائر المعروف عندهم جميعاً « ان الذي يتزوج بالدين يأتي اولاده بالفائدة » .

ان التفاخر الذي يعقبه الفشل والخيبة او الارتباك الاقتصادي لهو بلا شك جنون مطبق . والفتاة التي لاترضى هي واهلها الا باثاث لايستطيع عريسها اقتناؤه الا بالدين او بافراغ يده من المال المدَّخر لاتصلح على الغالب زوجة، لأنها تجهل ، او تتجاهل إن عاقبة الارتباك الاقتصادي تقع على رأسها ، كما تقع على رأس عريسها . لذلك يجب ان يتفاهم العروسان جيداً بهذا الشأن قبل ان يقدما على العمل . يجب ان يبتديء التدبير الحكيم منذ عقد الخطبة . واذا ابتدأ قبلها كان افضل تفادياً لعدم امكان التفاهم والاضطرار الى فك الخطبة

٣ — حفلة العرس

وما قيل عن الجهاز والاثاث يقال عن العرس او « الفرح » اي حفلة الزواج . ولا نرى ندحة عن التنويه بهذا الامر ، لان العادة الشائعة في الشرق ، ولا سيما عندنا في هـذا القطر ، ان حفلة الزواج تستنفد مالاً وفراً قد لايتيسر لمنفقهِ . فان كثيرين من الناس يبيعون جانباً من املاكهم لكي يقوموا بنفقات العرس المختلفة المتعددة من ولائم وعوالم وجوقات طرب وخيام الخ . وكل ذلك يذهب في الهواء في ليلة او ليلتين .

ان هـذا الاسراف لجنون ، وان كان يحتمله العريس او اهل العروس اذا اشتركوا بهِ ، لانه بذخ ضائع في وقت قصير و ينسى بعد يوم كأنه ما كان . فاذا كان ذلك المال يبقى للزوجين كان لهما عوناً في يوم مسيس الحاجة ، او ينفقانهِ في تحسين حالهما ، اذا لم تمس الحاجة اليهِ

٤ — عشرة الخطبة

بالرغم من أن الخطبة شروع بالزواج يجب أن لاينسى الخطيبان أيضاً انه عقد مشتمل على مسؤوليات وأنه محتمل الفسخ ، وقد تطرأ طواري. تقضي بالفسخ . ولذلك يجب أن يجعلا للعشرة حداً جائزاً لايتجاوزانهِ . حتى اذا حدث الفسخ ، لاسمح الله ، لايكون أي منهما نادماً ، ولا ضميره موبخاً له

يجب أن يكون العطف والاحترام متجسمين في حب الخطيب لخطيبته . وهذان العطف والاحترام يقضيان أن يكون الخطيب حيّ الضمير ، فلايتمادى في عشرة خطيبته الى حد أن يمس طهارتها او كرامتها لئلا يفسد حبه ، فيخسره ويخسرها أيضاً ، او يخسر احترامها له على الاقل . واذا تجاوز حده فقد يكون لحبه رد فعل ، ويمكن أن تحدثه نفسه بالعدول عنها لتغير اعتقاده ، مع ان الذنب ذنبه أولاً ، فيظلم الفتاة بجريرته

كذلك على الخطيبة أن لاتنسى انها زهرة مصونة بكمها . فعليها أن تحافظ على صيانتهـا الى أن تحل الشريعة بروزها من الـكم . يجب أن تحسب حساب فسخ الخطبة . فلا تأتي أمراً تندم عليه اذا فسخت . يجب أن تبقى منزلها في عيني خطيبها من

الاحترام والاعتبار محفوظة . فان كانت تتساهل أقل تساهل يسقط ذلك الاحترام ، ويضعف ذلك الحب

يجب أن تقتصر عشرة الخطبة على الحب الروحاني الذي تتهذب فيه نفسياتهما وترقى شخصيتهما لكي تستطيع أن تتبوأ على عرش الزوجية المقدس

مدة الخطبة هي مدرسة العشرة الزوجية الحلوة ، يمارسانها فيها لكي يستمرا بها بعد الزواج . يتبادلان الحديث العذب وقلباهما يتبادلان حديث الحب الطاهر الروحاني ، حتى متى تم عقد الزواج بقيا يتلذذان بهذه العشرة الشريفة اللذيذة ، فلا تنقضي لذة الحب بعد الزواج . كما يحدث للبعض ، وكما يظن البعض ان لذة الحب في عهد الخطبة فقط ، وبعد الزواج تزول .

في عشرة الخطبة يجب أن يتم تفاهم العروسين ودماثة أخلاقهما وتلاؤمهما. وفيها يتعودان العطف والاحترام ، ويفهمان سر الاتحاد الروحاني والحياة الزوجية الشعرية. كذا يجب ان يكون هدف عشرتهما . وبه يعظم حبهما ويدوم الى نهاية الحياة

واما التمادي في المزاح والدعابة ونحوهما والتطرف في الكلام الهراء والخروج عن دائرة الآداب ونزع الكلفة الخ — كل ذلك يفسد الحب وقد ينفيه في المستقبل

لاتستحسن قط خلوات الخطيبين وخروجهما للنزهة وحدهما مهما كانا يثقان بمتانة اخلاقهما واعتصامهما بالفضائل والآداب . اولاً لان شيطان الاهواء لايركن اليه ، وثانياً لان هذا الأمر يثير الظنون السيئة عند الآخرين . فالافضل ان تقل الخلوات وان يصطحبا معهما في تنزهاتهما بعض الاهل دفعاً للظنون

لايحسن ايضاً كثرة تلازم الخطيبين لانها تفضي الى الملال احياناً . وتشغل عن الواجبات . وقد تثير الغيرة عند اهل العريس احياناً ، اذ يرون ان حبه لعروسه ولأهلها استغرق كل قلبه وعواطفه ولم يبق لهم منها شيء ، فيشق الأمر عليهم ولا سيما على امه واخوانه اللواتي تعودن عنايته بهن . وهو امر كثير الحدوث ولهذا ننبه اليه . وقد يكون سبب خصام في المستقبل

لذلك يجب على العروس ان تحاذر من هذه النتيجة ولا تدع عريسها يشغل كل وقته بعشرتها ، لئلا تصرف قلبه عن اهله وتشغله عن واجباته

كذلك يجب عليه هو ان يعلم ايضاً انه مهما كان محبوباً في بيت عروسه ، فقد تملُّ الخطيبة عشرته احياناً وقد يتضايق اهلها من دوام وجوده عندهم ولا سيما في السهرات الطويلة . يجب ان « يأتي خفيفاً ويروح خفيفاً » كما يقال

٥ — مدة الخطبة

قلما يستحسن طول امد الخطبة ، لانه كثيراً ما يكون سيء العواقب ، وقد يفسد فيه الحب من جهات مختلفة ، ولا يندر ان يفضي الى الملل وينتهي بالفسخ من غير مبرر سوى هذا الملال من احد الطرفين . وربما اودى بحياة الخطيب الادبية في الخارج . وقد يعلُّ حياة الخطيبة . وليس في الامكان تعداد العواقب السيئة لطول مدة الخطبة ، والشواهد عليها كثيرة ويعلمها كل واحد قد خبر الحياة . فان كان هناك موانع من عقد الزواج فبالاحرى ان تعرف هذه الموانع قبل الخطبة ، فلا تعقد قبل ان تزول الموانع . لان الخطبة كما قلنا ليست الا فترة قصيرة للاستعداد . فاذا لم يكن الاستعداد ممكناً فيجب الاَّ تعقد الخطبة تحامياً لسوء العواقب

٦ — عقد الزواج

متى حان عقد الزواج يجب ان يكون الرضى التام متبادلاً بين الطرفين ، والاعتقاد بالتوافق بينهما متيناً ، وما من شك في صلاحية هذا الزواج ، والا تعرض العروسان لخطر التنافر في المستقبل

اذا نشأ اقل تردُّد عند العروسين وجب ان يمتنع الاثنان عن الزواج . ولا يجوز ان تُجعل العلائق الماضية مهما كانت سبباً للاحراج الى عقد الزواج ، لان شر فسخ الخطبة اسهل من شر الزواج بلا رضى متبادل

ينعكس هذا التحذير اذا كانت العلائق بينهما قد اصبحت زوجية فحينئذ يكون الامتناع عن الزواج جريمة لاغفران لها ، ولها عقابها في الدنيين الحاضرة والآخرة

في الفصل الاخير من كتاب الحب والزواج مباحث مختلفة في موضوع الزواج نلفت اليها نظر القارىء ايضاً

•••

انتهينا هنا بالفتى والفتاة عند باب الزواج . وكنا نود ان نسير معهما الى الحياة الزوجية . ولكن البحث طال ، والمقام ضاق ، والموضوع يشغل مجلداً آخر كهذا ، ربما عدنا اليه في المستقبل اذا انسنا من القراء استحساناً . ونحن لصدى رايهم في هذا الكتاب منتظرون . والله الموفق

فيما يلي ملحق ذو شأن في مسألة سن الزواج

منقول عن مجلة السيدات والرجال

الجزء العاشر السنة الثامنة

شأن العمر في السعادة الزوجية

حقائق راجحة بناء على احصاءات دقيقة

مما شغل عقول المفكرين مسألة السعادة الزوجية لان معظم الزيجات في كل العالم تعد خائبة من أمل السعادة حتى في البلاد المتمدنة كأميركا حيث المرأة والرجل يتساويان في الحرية والشخصية . ولهذا فكر بعضهم أن يبحثوا في المسألة من وجوه علمية عسى أن يستخرجوا قواعد للزواج ، تضمن السعادة الزوجية اذا اتبعت . وقد اطلعنا على نتيجة بحثهم في مجلة العلم العام وهي نتيجة لدرس أحوال الفي زيجة مختلفة . وكانت زبدة ابحاثهم ودروسهم ان السعادة الزوجية تتوقف في الدرجة الاولى على عمر كل من الزوجين . وأما صفاتهما العقلية والاخلاقية والعاطفية وأحوالهما المالية والاجتماعية ففي الدرجة الثانية. ولذلك قصر الباحثون ابحاثهم على تأثير العمر في الزواج ولا سيما لان البحث في الامور الاخرى واحصاءها صعبان

وقد عمل هذا التحقيق بعد اربعة احصاءات مختلفة ، وفي كل منها كان يظهر تأثير العمر في السعادة الزوجية . والامر الذي يلفت النظر و يدعو الى الاعتبار هو أن نتائج الاحصاءات الاربعة من هذا القبيل كانت متطابقة تطابقاً غريباً . ولهذا جعل المحققون مسألة العمر في الدرجة الاولى

التحقيق الاول كان في ١٠٠ حادثة طلاق في سنسناتي من ولاية اوهايو (اميركا) وقد اشتغل فيه هوزيل هارت ومس مك كريستي بادارة القاضي نشاراس هوفمان . وقد ظهر منه مثلا أن الفتاة التي تتزوج قبل العشرين من العمر شابا اكبر منها نحو

٥ سنين أو اكثر قليلا يغلب أن تطلب الطلاق بعدئذ عاجلا أو آجلا . وهي اكثر تعرضاً لابتغاء الطلاق من المرأة التي تتزوج متأخرة رجلا يقاربها بالسن

التحقيق الثاني انته لد كتورة كاترين بيمنت دافيس العالمة الاجتماعية . وكانت زيدة تحقيقها في الف مرأة فظهر لها أن ١١٦ منهن كان زواجهن غير سعيد

التحقيق الثالث انته ماري رينشموند وفرد هول في زيجات احداث . والرابع اتاه ويلمز شيلدش وهورتل هارت في ٥٠٠ زيجة تعسة لجأ فيها ذووها الى المحكمة الشرعية في فيلادلفيا ، وفي ٥٠٠ زيجة أخرى اخذاها من دائرة تسجيل عقود الزواج ومنح الاذن بالزواج . ومن جميع هذه التحقيقات امكن استخراج الجدول التالي لبيان عواقب الزيجات من حيث العمر مطابق لمعظم الحوادث

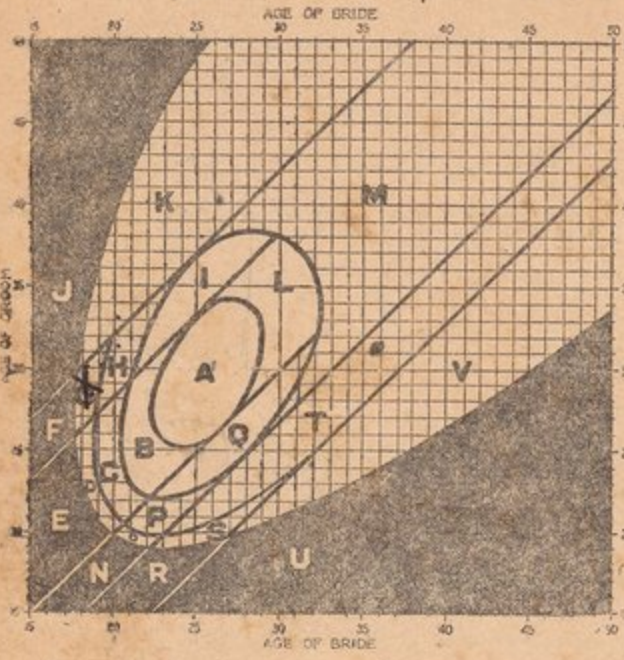

A . المثل الاعلى

السعادة — B . ليس المثل الاعلى . فان كان عندك تردد فانتظر سنة أو سنتين — C مخاطرة تأخر بضع سنين — D خطر جدا كلاهما صغيران جدا — E خطر جدا جدا . فصبراً — F الطلاق راجح — G . اقل خطراً من F — H . العروس اصغر جداً من العريس . فزواجهما تهور وحمق الا اذا كان العروسان عاقلين — I . حظ جيد اذا اتفق الاثنان وتوافقا وتلاءما — J . شقاء ، ويحتمل الطلاق — K . يمكن أن ينجحا اذا توافقا وتلاءما — L ، ينتظر أن يكون الزواج حسناً وأن كانا قد تأخرا طويلا — M . المنتظر حظ حسن — N . هيهات ان يكون الحظ حسناً — O . كلاهما صغيران جداً . يجب ان ينتظرا ٤ سنين على الاقل — P .

العريس صغير . انتظر سنة أو اثنين — Q : حظ حسن — R . حظه ضعيف جداً — S حظ ضعيف — T يمكن ان ينجح الزواج اذا تلاءما — U الفرق في العمر كبير جداً ، تقريباً لا امل بالنجاح والتوفيق — V . الامل ضعيف بالتوفيق .

في كل حال المنطقة البيضاء آمن واضمن ، والمظلمة خطرة ومخاطرة

واما كيفية استعمال هذا الجدول فهي كما يأتي : الخطوط الافقية تدل على عمر الزوج كما هي مرقومة على الجانبين . والخطوط العمودية تدل على عمر الزوجة كما هي مرقومة فوق وتحت

فان شئت ان تعرف حالة زواج اثنين فانظر اين يلتقي خطا عمريهما واقرأ وصف الحالة التي يدل عليها حرف تلك البقعة . لنفرض ان عمر الزوج ٣٥ والزوجة ٣٠ حين تزوجا فهما يلتقيان في بقعة L وهي تدل على زواج اثنين ينتظر أن يكون سعيداً

لاحظ ان الزيجات التي تلتقي خطوط اعمارها في البقع البيضاء يحتمل جداً ان تكون سعيدة ، والتي تقع في البقعات المظلمة يغلب ان تكون تعسة وزواج ذويها مخاطرة ، والتي تقع في البقعات ذات الخطوط المتقاطعة متوسطة في السعادة

ونرى مما تقدم أن الزيجات التي يكون فيها الاثنان دون العشرين تكون مخاطرة من عشرة الى مئة بالمئة بالنسبة الى زواج الثلاثين بالخامسة والعشرين . والزوجات التي فوق ٣٨ سنة تكون ٥ بالمئة مخاطرة

jerbas

E

THE LADIES' & MIN'S REVIEW

(Arabic Magazine)

SHOUBRA' CAIRO' EGYPT

TELEPHONE 32-34

مجلة السيدات والرجال

شهرية مصورة

علوم وآداب . فنون جميلة . روايات وفكاهات
صاحبة امتيازها ومحررة القسم النسائي فيها روضة حداد
محررها المسؤول نقولا الحداد

شبرا . مصر

تليفون نمرة ٣٢٣٤ بستان

لا تجد مثل هذه المجلة جليسا انيسا وعشيرا سميرا ونديما حكيما ورفيقا صديقا

﴿ مواضيعها ﴾ كل مستطرف وجديد وحديث من علم وادب واجتماع وفنون جميلة وتعليمات منزلية متنوعة وروايات كاملة ومسلسلة . وهي عامل من عوامل النهضة الشرقية

﴿ غرضها ﴾ افادة الناشئة وتفكهة للقارىء وتسلية له بعد التعب والعناء وحين الراحة من العمل والعزلة عن الرفقاء والأصدقاء والأقرباء واطلاعه على كل جديد مفيد

﴿ لزومها ﴾ تلزم اولا الرجال متعلمين او بسطاء لأن فيها نخبة المعلومات والمعارف العصرية فضلا عن المباحث الاجتماعية التي تمس حياتنا الحاضرة ومستقبلنا الاجتماعي والسياسي

ثانيا للسيدات لأن فيها جميع المعلومات المنزلية والتعليمات الخاصة بالعيلة كتربية الطفل والقواعد الصحية العمومية ومباحث في « الموضة » وفوائد عن المطبخ والمائدة ومباحث في التبرج والزينة . وفيها فصل خاص عن السيدات في مجالسهن

ثالثا للشبان والشابات والاحداث لما فيها من الفوائد العمومية والفكاهات المضحكة والروايات الجميلة وفيها فصل خاص بالفنون الجميلة للشعر والرسم والموسيقى وفي كل جزء بعد اخر قطعة موسيقيه بالعلامات لكي تعزف على الآلات

﴿ لاشتراك ﴾ في مصر وجميع البلاد العربية جنيه مصري . وفي البلاد الاخرى ٢٥ شلنا أو ما يساويها في عملة كل بلاد . يخصم للطلبة ورجال الدين ٢٥ قرشا

عنوانها — الى ادارة مجلة السيدات والرجال . شبرا . مصر .

تطلب هذه الكتب التالية من ادارة مجلة السيدات والرجال

	ص
علم الاجتماع (مجلدان)	٦٠
الحب والزواج	٢٠
الاشتراكية	١٠
ذكراً وأنثى خلقهم	٢٠
تاريخ الدستور الانكليزي	١٢
تاريخ فرح أنطون ومراثيه مع رواية صلاح الدين ، تمثيلية له	١٢

روايات الاتحاد العربي العام

	ص
فرعونة العرب عند الترك	١٠
جمعية اخوان العهد	١٠
وداعاً أيها الشرق	٨

روايات أمرى

	ص
العالم الجديد	١٢
نبية لبنان	١٠
ثورة عواطف	١٠
حركات السيدات في الانتخابات	٨
فاتنة الامبراطور	٨
ابن الكنز ياشارلوك هولمز	٦
صلاح الدين وفتح بيت المقدس تمثيلية ، لفرح أنطون	٦
زغلولات مصر	٣
الهانم المعتقلة ، او الخطر الهائل	١ ١/٢
مجموعة كل سنة من مجلة السيدات والرجال	١٠٠

تضاف الى الطلب أجرة البريد على معدل ١٠ بالمائة من الثمن . والا فيهمل الطلب

القاموس المدرسي

انجليزي وعربي وبالعكس (تأليف الياس انطون الياس)

قد قررته وزارة المعارف — وثمنه ٥٠ قرشاً

رواية

باردليان

تأليف الروائي الشهير ميشيل زيفاكو

وترجمة الكاتب البليغ المرحوم الاستاذ طانيوس عبده

ليس الاستاذ طانيوس عبده في حاجة الى التنويه بذكره فهو أول من اشتهروا في عالم الترجمة بنقل الروايات الادبيه الشيقة الى لغة العرب ، وامتاز على كثير من المعربين بأنه ينقل رواياته في عبارات سلسلة خلابة .

وهذه الرواية من اشهر الروايات التي ظهرت باللغة العربية الى الآن وهي تقع في ثلاثة اجزاء (بدلا من ثمانية اجزاء في الطبعة الاولى) مجموع صفحاتها ٨٥٠ من القطع الكبير — ومطبوعة على ورق جيد جداً وحرف جميل ومجلد متين وثمن الثلاثة اجزاء ٢٠ قرشاً فقط والبريد (بدلا من ٤٠ قرش للطبعة الأولى) وتليها

الاميرة فوستا

(كاملة في جزئين كبيرين بدلاً من ثمانية اجزاء صغيرة)

وهي تابعة لرواية باردليان — وثمنها ٢٠ قرشاً والبريد وتليها

كبيتان

كاملة في جزئين كبيرين بدلاً من ثمانية أجزاء صغيرة وفيها تكملة حوادث الروايتين السابقتين

(ثمنها ١٦ قرشاً واجرة البريد)

السحر العظيم

تأليف

الكاتب الروائي الشهير ميشيل زيفاكو

وترجمة الكاتب البليغ المرحوم الاستاذ

طانيوس عبده

لم يلق من كل الروايات المنقولة الى اللغة العربية مالاقته هذه الرواية الساحر من الاقبال ، فقد طبعت للان ثلاث طبعات على ورق رديء وطبع ذري ولكنها رغماً عن ذلك وعن غلو ثمنها اذا كانت تطبع فى ٤ اجزاء صغيرة وكل جزء يباع بعشرة قروش كانت تتخاطفها الايدي عند ظهورها

وقد طبعناها الآن في جزئين كبيرين على ورق جيد ، وغلفناها بغلاف جميل وجعلنا ثمنها ١٦ قرشاً فقط والبريد

فارس الملك

تأليف

الكاتب الروائي الشهير ميشيل زيفاكو

وترجمة الكاتب البليغ المرحوم الاستاذ

طانيوس عبده

هذه الرواية لم يسبق طبعها — مترجمة بلغة عذبة ، تقع فى ٢٣٥ صفحة من القطع الكبير في جزء واحد ومطبوعة على ورق جيد ومغلفة بغلاف جميل وثمنها ١٠ قروش فقط والبريد

DATE DUE

J. LIB.
31 JAN 1979
J. Lib.
31 OCT 1985
JAFET LIB.
17 MAY 2005
Circulation Dept.
JAFET LIB.
31 MAY 2018
Circulation Dept.

392.5:H12dA:c.1
الحداد، نقولا
ذكرا وانثى خلقهم او مرشد الشبيبة
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01023794

392.5
H12dA
c.1